هذا

شرح الحكم المسماة بغاية البدايه * في سر حكم النهايه *
وهي تاليف قطب دائرة الولايه * ومن به ظهر اشراقها *
وشدت المعارف والعوارف والاذواق نطقها * وابدت
له العناية اشواقها * ومدت عليه المواهب اللدنية
رواقها * الا وهو الاستاذ والعمدة الملاذ امام
السلوك * وشمس الطريقة دون
دلوك * مولانا الشيخ سيدي
عبد الحفيظ بن محمد
الخنقي رضي الله
عنه
آمين

طبعة اولى

طبع بالمطبعة الرسمية التونسية
١٣١٣
سنة

http://albordj.blogspot.com

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم

الحمد لله الذي اشرقت شمس معرفته في عوالم القلوب * وشملت نعمته التقريبية كل محب ومحبوب * فهذا متقرب اليه بخدمته وهذا مختطف مجذوب * اصلح سرائرهم ونور بصائرهم وزكاهم من دنس العيوب * فنظروا به اليه * واقبلوا منه عليه * وغابوا في حسنه وجماله عن الغيوب * نحمده على ما به انعم والهم * ونشكره شكر عبد منه تلقى وعنه فهم * ونصلي على سيدنا محمد من ام سائر الخلق وعنهم تقدم * وعلى آله واصحابه وتابعيهم ونسلم * وبعد فهذا تقييد لطيف وضعته على الحكم المسماة بغاية البدايه * في سر حكم النهايه * حماني على وضعه * واضطرني الى صنعه * مؤلفها شيخ الوقت والطريقه * وامام السلوك والحقيقه * العارف بالله والدال عليه * ومنهج المريدين في الوصول اليه * الاستاذ سيدنا ومولانا عبد الحفيظ بن محمد بن احمد الحنفي

رضي

رضي الله عنه وارضاه * وجعلنا والمسلمين تحت ظلال بركاته وحماه * آمين وذلك حين عرضي عليه شرحي على منظومته غنية الفقير * فاعترفت له بان باعي في ميدانهم قصير * فضرب بيده المباركة على ظهري قائلا اشرحه هو وما خرج من كلامنا فان الله على كل شيء قدير * فاخذت منه الاذن يرجف به فؤادي ومن قلة بضاعتي في العلمين كاد ان يصير * فصرت مع ذلك اقدم رجلا واوخر اخرى حتى لاحت لي لوائح التيسير * واشتدت رغبات بعض الخلان وحذرني بعد الاذن من التقصير * فتاخر شروعي فيه عن حياته والامر لله العلي الكبير * هذا وانه غير خاف عجزي وضعفي * فاعتذر لاهل الحق بلسان تلطفي * لعلهم يقبلون الاعتذار * فليس ذا سعة كذي اقتار * لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما اتاها من اليسار * وقد ارتكبت في هذا امرا عظيما لكن الرب غفار * فعلى الواقف عليه ان يصلح ما وجده فيه من خلل * بشرط التثبت والتاني في العمل * اذ عسى ان تتقدم المرء شوائب العلل * فتختطف بصر بصيرته من حيث لا يشعر ولا يتخيل * فيبادر الى الانكار في غير محل * عافانا الله من سوء اقداره * وحفظنا من التعرض لحملة اسراره * بمنه وكرمه واست سالكا فيه سبيل الشرح لمعانيه * ولا لايضاح مبانيه * لعدم علمي بما تضمنته عباراتهم * او لاحت اليه اشاراتهم * من مكنون سرائرهم * ومغيب ضمائرهم * فحاشا لله وكلا ان ادعي ذلك * او احوم حول ما هنالك * غير اني احاذيه بحسب ما يبدو لي من كلامه * ويلوح في عالم سري من لوامع مرامه * بقدر الاستطاعه * وما تناله البضاعه * والله اسال ان ينفع به * كما عم النفع باصله * انه جواد كريم وهذا اوان الشروع في المقصود * وبه ابتدائي واليه اعود * فاقول الكلام على البسملة والحمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مقرر معلوم * وفي غير هذا مبين مفهوم * قال المولف رضي الله عنه وعنا به (من علامة الاستقامة على الطاعات التلذذ بقضاء العبادات) اقول الاستقامة اخذ الطريق الاقوم والثبات عليه وهي التوسط في الامور والاخذ فيها على

المنهج المستقيم دون تفريط وافراط وميزان وجودها في اصناف الطاعات وانواع العبادات قولية او فعلية بدنية او قلبية وجود الالتذاذ بها والتنعم بحلاوتها ووجدانها علامة لقبولها لان شجرة الايمان لابد لها من فروع ثابت اصلها دائم اكلها وظهور حلاوة ثمرها دليل على كمال طيبها وجلالة قدرها ابن عطاء الله من وجد ثمرة عمله عاجلا فهو دليل على وجود القبول آجلا ابن عباد ثمرة العمل وجدان الحلاوة فيه والتنعم به ويتصور ذلك في اكثر الاعمال بالمواظبة عليه على حال تركه واستثقاله له هذا هو غالب الامر قال بعض العارفين ليس شئ من البر الّا ودونه عقبة يحتاج الى الصبر فيها فمن صبر على شدتها افضى الى الراحة والسهولة وانما هي مجاهدة النفس ثم مخالفة الهوى ثم مكابدة في ترك الدنيا ثم اللذات والتنعم قال ثابت البناني رضي الله عنه كابدت القرآن عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة وقال بعض كنت اقرا القرآن ولا اجد له حلاوة حتى تلوته كانى اسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوه على اصحابه ثم رفعت الى مقام فوقه وكنت اتلوه كاني اسمعه من جبريل عليه السلام يلقيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاء الله بمنزلة اخرى فانى الآن اسمعه من المتكلم به فعندها وجدت له لذة ونعيما لا اصبر عنه وما ذكرناه من الحلاوة والنعيم انما تثمره الاعمال الصحيحة المستقيمة السالمة من الرياء والدعوى قال ابو تراب رضي الله عنه اذا صدق العبد في العمل وجد حلاوته قبل ان يعمله واذا اخلص فيه وجد حلاوته وقت مباشرة العمل فالاعمال الموصوفة بهذه الصفات مقبولة بفضل الله تعلى اه اذا عرفت هذا علمت انه يجب على الانسان ان يسعى فى تخليص نفسه من سجن هواها ويعمل على فكاكها من قيود ضلالها ودعواها قال تعلى قد افلح من زكاها لان فى تزكيتها فلاحه وفوزه بثمر اعماله عاجلا وآجلا قال تعلى ولمن خاف مقام ربه جنتان اي جنة معجلة في هذه الدار وهي التلذذ بنعيم ثمرات اعماله في كل احواله وجنة موجلة لدار الجزاء ومحل الرضى وكما ان وجود اللذة والحلاوة دليل على القبول والفوز بالمرغوب والمامول ففقدانها دليل على

الصدد قال الحسن رضى الله عنه تفقدوا الحلاوة في ثلاث فان وجدتموها فابشروا بقصدكم وان لم تجدوها فاعلموا ان الباب مغلق عند تلاوة القرآن وعند الذكر وفي السجود وزاد غيره وعند الصدقة وبالاسحار وبالجملة فلذة الطاعة جعلت دليلا على قبول العمل * وخلوصه لله عز وجل * وسلامته من شوائب العلل * والّا فلا وما هي الّا ميزان * تدل فقدا على الطيش ووجودا على الرجحان * ولهذه الحلاوة علامة تدل على صحتها وهي مرارة المعصية فان وجد الم المعصية ومرارتها عند مقارفتها صحت لذته وسلمت نعمته والّا فهي كاذبة ووجود هذه اللذات محض مبشرات يكرم بها الله تعلى بعض عبيده لياخذ بمجامع قلوبهم اليه * ويديم عكوف اسرارهم عليه * والّا فهي ليست مقصودة لذاتها وانما المقصود اخلاص العمل اليه من جميع الشوائب القادحة فيه كما علمت ولما ذكر ان علامة الاستقامة في الاعمال وجود اللذة فيها خشي توهم العامل ان اللذة شيء مطلوب مقصود لذاته مطلقا رفع ذلك التوهم بقوله

(التلذذ بالطاعة مع التفويض وصلة وعدم التفويض في اللذات قطيعة لا تغترن بوجود لذة الطاعات فتحرم المسير في المقامات) يقول التلذذ بمجرده لا يخلو من امرين اما ان يصحبه تفويض او لا فان صحبه تفويض الى المولى جلا وعلا واعراض عن وجوده وتبرا من الحول والقوة في شهوده كان تلذذه بتلك من قبيل الزاد وحسن الاستعداد الموصل بفضل الله وكرمه الى اكمل المراد والكفيل لصاحبه بفيض الامداد وان ركن بقلبه الى اللذات والتطلع الى وجودها ووجه همته الى نيلها وشهودها كانت عليه فتنة ومصيبة ومحنة قاطعة له عن مطلوبه ومقصوده مفوتة لغرضه من قرب معبوده هذا وان الاغترار بها مزلة لاقدام السائرين * وسبب لحرمان مقامات الواصلين * وان اكرمه الله بوجودها فليعلم انها مجرد امارة على القبول * ومبشرة ببلوغ المامول * لا ينبغي له ان يفرح بها ولا ان يقف عندها فيصير عند ذلك متبعا هواه وهو غاية مناه فانه والحالة هذه من قبيل الشرك في الاعمال * المعطل عن بلوغ مقامات الرجال * كيف لا وهو حرف واي حرف قال تعلى ومن الناس من يعبد الله على حرف فان

اصابه خير اطمان به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه فمن اهتم بتحصيلها وسعى في توصيلها وكانت هي اهم اموره * لا شك انه هلك في اودية غروره واعظم شروره * وصارت له شهوة نفسانيه * واغراضا شيطانيه * الهته عن مطلوبه * وقطعته عن محبوبه * ثم ان علة ذلك هي الوقوف مع ما هنالك كما قال (فان الوقوف مع الملذوذ به فرق لجمعيته فالجمعية في فرقيته جمع والفرقية في جمعيته فرق لا الفرقية تنافي الجمعية ولا الجمعية تنافي الفرقية) الفرق ما نسب اليك والجمع ما سلب عنك فما كان من قبل الخلق عبودية فهو تفرقة وما كان من قبل الحق فهو جمع وسياتي تحقيق معنى الجمعية والتفرقة في المناجاة ان شاء الله تعلى وتقريبه هنا ان الجمعية ترجع في المعنى الى حصول الجمعية بمشاهدة الحق والفرقية عبارة عما يناقض ذلك من شهود فرقية كثرة الخلق والغيبة عن مشاهدة الملك الحق كانه يقول مرام السائرين الى الله تعلى بحصول جمعية قلوبهم به وتخليهم من فرقية ما يشتت احوالهم ويشوب اعمالهم حتى يعثروا على مقام يحجبون بالحق عن الخلق ثم الى الاستغراق في الشهود بعد تلاشي كل موجود فيجمعون في هذه الحالة بين الضدين لا يشغلهم فيه شان عن شان اذ انحجاب هذا بهذا دليل على النقصان وهي جمع الجمع كما ياتي ايضا بل لا يزال السائر الى الله تعلى ينتقل من حال الى حال حتى تحصل له الجمعية الحقية ويخرج عن الفرقية الخلقية فاذا تمكنت جمعية الوجود وتلاشت فرقيته في الشهود حتى غاب عن احساسه واسا ذهب عنه تنافي الامرين وصارت كثرته وحدة وتفرقته جمعا بل جمعه جمع جمع لا تحجبه الجمعية عن الفرقية ولا الفرقية عن الجمعية فانحجاب الخلق بالحق فناء وعدمه بقاء فهذا هو الذي يشير اليه بعدم التنافي فافهم فانه دقق ثم قال رضي الله عنه (من كشف له عن الغيب ولم يغب فيه فهو محجوب به ومن نظر الى ما يستحسنه من اعماله عوقب بالرجوع عنه) جرت عادة الله تعلى ان يكرم اهل المعاملات بضروب من الكرامات

ويطلعهم

ويطلعهم على سنى الدرجات ويكشف من اسرارهم ما غاب عن ابصار بصائرهم من سحائب الجهالات فيمشون بين الناس في نهار وجودهم بعد غيهب ليل الظلمات فاخبر رضي الله عنه ان من كشف له الباري عن اسرار غيبه ولم يغب فيه عن غيبه فهو دليل حجبه لانه مجرد كرامة يكرم بها السائر فلا ينبغي له الوقوف عندها ولا الاعتداد بها فالواجب عليه الاعراض عنها وعدم الالتفات بقلبه اليها والاهم والآكد تنقية عيوبه اولى له واحق به من تطلع غيوبه قال ابن عطاء الله تشوفك الى ما بطن فيك من العيوب خير من تشوفك الى ما حجب عنك من الغيوب اي لان المطلوب من المريد التطلع الى ما خفي عليه من معائب نفسه بالبحث والكشف عنها اذ هو حق الحق منها ولا تصفو له معاملة الحق جل جلاله إلّا بتزكيتها والخروج من غرور شهوتها وقد ذكر ابو حامد الغزالي رضي الله عنه حاصل معرفة الانسان عيوب نفسه في اربعة اوجه احدها ان يجلس بين يدي شيخ بصير بالعيوب والآفات فيحكمه على نفسه ويتبع اشارته فيما يشير به عليه والثاني مصاحبة صديق صدوق يجعله رقيبا على احواله واعماله لينبهه على ما يخفى عليه من مذام خلاله والثالث ان يستفيد معرفة عيوبه من اعدائه اذ لا بد من جريان ذلك على السنتهم عند ثلبهم وغيبتهم والرابع ان يستفيد من مخالطة الناس اذ يطلع على مساويهم فيعلم انه لا ينفك عن شيء منها لان الطباع البشرية في ذلك متقاربة وقد يظهر له في نفسه ما هو اعظم مما يراه في غيره ويطالب نفسه حينئذ بالتطهر منها والتنزه عنها قال وهذه كلها حيل من فقد شيخا عارفا زكيا بصيرا بعيوب النفس مشفقا ناصحا في الدين فارغا عن تهذيب نفسه مشغولا بتهذيب عباد الله ناصحا لهم فمن وجد الطبيب فليلازمه فهو الذي يخلصه من مرضه وينجيه من الهلاك الذي هو بصدده اه واما طلبه للغيوب المحجوبة عنه من خفايا القدر ولطائف العبر فلا فائدة فيه لانه محض حق لنفسه لا حق لربه عليه فيه تعالى فليطلب بالاعراض عنها نفسا ولا يشتغل به معنى ولا حسا وما ظهر منها لا يسكن اليه ولا يعول في باطنه

عليه لان ذلك من المصائب القادحة في عبوديته ولهذا قالوا كن طالبا للاستقامة ولا تكن طالبا للكرامة فان نفسك تتحرك وتطلب الكرامة ومولاك يطالبك بالاستقامة ولان تكون بحق مولاك اولى بك من ان تكون بحظ نفسك وقوله ومن نظر الى ما يستحسنه من اعماله عوقب بالرجوع عنه واضح في ان آفة الاعجاب بالعمل آفة مهلكة لان نظر المرء الى حسن اعماله باستحسانه له واهتباله اشراك لانه جعل للنفس حظا ونصيبا بالاشتراك وعقوبة الاعجاب بالعمل معجلة عياذا بالله وهي ابتلاؤه بنزع يد التوفيق ورجوع القهقرى من اثناء الطريق ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم افلا تدبر هذا المسكين قوله تعالى والله خلقكم وما تعملون فاي نسبة له في العمل حتى يعجب به ويسكن اليه واي حول له وقوة حتى يستند اليهما وهل نفذت بصيرته الى ما سبق به القدر فيه اعرف عاقبة امره الى ماذا تئول وهل ادرك من التعبد والتبتل مثل من مضى فذكرهم يطول ردهم سيدهم بعدله الى سابق علمه فيهم فما اغنى عنهم تبتلهم شيئا وما ذاك إلّا لرويتهم لانفسهم والتفاتهم اليها عافانا الله من ذلك بمنه وكرمه فالزاهدون نظروا الى اعمالهم بعين الاحتقار * والى انفسهم بالتقصير والاستصغار * والعارفون تخطت رويتهم جميع الاغيار * فخلصت اعمالهم من شوائب الاكدار * قال في الحكم لا عمل ارجى للقبول من عمل يغيب عنك شهوده ويحتقر عندك وجوده فاذا احتقر المرء اعماله واستصغر احواله زالت عنه علة الاعتماد عليه والاعجاب به والسكون اليه قال ابو سليمان رضي الله عنه ما استحسنت من نفسي شيئا فاحتسبته وقد سئل بعض العارفين ما علامة قبول العمل قال نسيانك اياه وانقطاع نظرك عنه لقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فاذا رفعه لم يبق عندك منه شيء فاذا بقي في نظرك منه شي فانه لم يرتفع لبينونية عنديتك وعنديته فينبغي للعبد اذا عمل عملا ان يكون عنده نسيا منسيا بما ذكرناه من اتهام النفس ورويته التقصير كي يحصل له قبوله اه وقال في الحكم لا تفرح بالطاعة لانها برزت منك وافرح بها لانها

برزت

برزت من الله اليك قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون فالفرح بالطاعة من حيث بروزها من الله على وجه النعمة والمنة والفضل شكر وجزاوه المزيد قال تعلى ولئن شكرتم لازيدنكم والفرح بها من حيث وقوعها من العبد اعجاب وهو كفر وعاقبة امره الى تبار قال تعلى ولئن كفرتم ان عذابى لشديد إلّا ما رحم ربى وقال ايضا قطع السائرين له والواصلين اليه عن روية اعمالهم وشهود احوالهم اما السائرون فلانهم لم يتحققوا الصدق مع الله تعلى فيها واما الواصلون فلانهم غيبوا بشهوده عنها فصورة الطاعة واحدة ومشرب الشاربين مختلف المذاق قد علم كل اناس مشربهم فروية السائرين التقصير في اعمالهم ومشهد الواصلين الغيبة فيه عن اعمالهم واحوالهم كلا نمد هولاء وهولاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محضورا وقال تعلى صنوان وغير صنوان تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل فمدد الله تبارك وتعلى واحد والممدود به متفاوت والله فضل بعضكم على بعض في

الرزق قال رضي الله عنه (من اعظم الافات فناء العمر في البطالات) فايام عمر الانسان مزارع اعماله وظروف انتقاله يحصد منها ما بذره من احواله ان زرع فيها خيرا حصد رغبة وكرامة وان زرع شرا حصد رهبة وندامة وفناء خزانة العمر في غير الطاعات من اعظم المصيبات قال صلى الله عليه وسلم ليس يتحسر اهل الجنة إلّا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله فيها وذلك لما يرون من ثمرات اعمالهم ونتائج احوالهم فيتمنون ان لو قدموا سائر اجزاء اعمارهم لدار قرارهم ولقد قالوا الوقت سيف اقطعه بالعمل وإلّا قطعك بالتسويف فضياع الوقت دليل المقت قال في الحكم العطائية ما فات من عمرك لا عوض له وما حصل لك منه لا قيمة له ابن عباد عمر العبد ميدان لاعماله الصالحة المقربة له من الله تعلى والموجبة له جزيل الثواب في الدار الآخرة قال الجنيدي رضي الله عنه الوقت اذا فات لا يستدرك وليس شئ اعز من الوقت وكل جزء يحصل له من العمر غير خال من ذلك يتوصل به الى ملك كبير لا يفنى ولا قيمة الى ما لا يوصل الى ذلك لانه في غاية الشرف

والنفاسة ولهذا عظمت مراعاة السلف الصالح رضي الله عنهم لانفاسهم ولحظاتهم وبادروا الى اغتنام ساعاتهم واوقاتهم ولم يضيعوا اعمارهم في البطالة والتقصير ولم يقنعوا من انفسهم لمولاهم إلّا بالجد والتشمير وقد قال علي رضي الله عنه وكرم وجهه بقية عمر المرء ما لها ثمن يدرك بها ما فاته ويحيي بها ما امات وقد كان بعض يريد الجمعة فقيل له قف اكلمك فقال لولا اني ابادر لوقفت عليك قال له وما تبادر قال ابادر خروج روحي نعم وهذا مثل ما وقع لبعضهم في اثناء سيره بعد ابتداء امره انه كشف له على ان انفاسه تساق من بدنه كما تساق نفس المحتضر ومكث في ذلك زمانا طويلا وهو صاغ باذن فكرته الى ما يقال له ورامق بطرف قلبه الى ما يفعل به وبهذه الحالة دخل عالم المثال وتمكن منه الحال فاستيقظ من منامه واستسلم لنافذ اقداره وسابق احكامه فاستخرج سر قوله صلى الله عليه وسلم الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وادرك من مكنونه العجائب فلله در اهل الحق ما اعذب احوالهم وازكى اعمالهم وفي الخبر ما من ساعة تاتي على العبد لا يذكر الله فيها إلّا كانت حسرة ويقال ان العبد تعرض عليه ساعاته في اليوم والليلة فيراها خزائن مصفوفة اربعا وعشرين خزانة فيرى في كل خزانة نعيما ولذة وعطاء وجزاء لما كان اودع خزانة من ساعاته في الدنيا من الحسنات فيسره ذلك ويغتبط به فاذا مرت به ساعاته في الدنيا ولم يذكر الله تعالى فيها رآها في الآخرة خزائن فرغا لا عطاء فيها ولا جزاء عليها فيسوءه ذلك ويتحسر كيف فاته حيث لم يدخر فيها شيئا فيرى جزاءه مدحورا ثم يلقى في نفسه الرضى والسكون وفي الخبر حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا فمن ادام محاسبة نفسه استحال ان تفوته ثمرة اوقاته ومن وزن بميزان الشرع اعماله فاز برجحان حسناته بفضل الله وقال رضي الله عنه (ومن اعظم الافات توطين النفس على صور العبادات لان العبادة صورة وروحها لذة الايمان والقيام بالصورة دون الروح موجب لفوات سر حضرة المصور ومن فاته سر حضرة المصور لم تغنه الصورة فافهم) انواع الطاعات صور قائمة

واصول

واصول ثابتة ثمرتها وروحها لذة الايمان فيها فما نصب الينا صور الاعمال لمجرد التلبس بها ولكن نصبها لمشاهدة مصورها وناصبها فالقيام بتشييد ظاهر الصورة دون مراعاة تحصيل حق الروح موجب ومسبب لفوات حضرة المصور ولا يغني عنه تحصيل الصورة بمجردها شيئا مع فوات سر حضرة المصور فصورة العبادة مرآة يرى فيها وجه جماله * ويعرف منها قدر كماله وجلاله * فلكل صورة شهود ولكل طاعة وجود قال ابن عطاء الله تنوعت اجناس الاعمال لتنوع واردات الاحوال فكل عمل واردات الهية ربانية وعلوم عرفانية رحمانية فالوارد صيد عزيز لا يظفر به الّا في شرك الطاعات وانواع القربات ولا تنصب الشرك لذاتها بل ليصاد بها ما يرد من الواردات الالهية عليها فمن قنع بمجرد نصبها وتعلق قلبه بمحض صورتها فاته سرها وقال ابن عطاء الله الاعمال صور قائمة وارواحها وجود سر الاخلاص فيها هذا وان الاخلاص على ضربين فمنتهى درجة اخلاص الابرار سلامة اعمالهم من شوب الرياء واتباع الهوى مع طلبهم ما وعد به المخلصون من جزيل الثواب وهربا مما اوعد به المخالطون من اليم العذاب وتحققوا بمعنى قوله اياك نعبد اي لا نعبد الّا اياك ولا نشرك في عبادتنا غيرك وعملهم على اخراج الخلق من نظرهم في اعمال برهم ولم يقطعوا مادة رويتهم لانفسهم في نسبة الافعال اليها ففاتهم التبري من الحول والقوة واما السادة المقربون فلم يشهدوا لانفسهم اعمالا ولم يثبتوا لها علما ولا حالا فافناهم من وجودهم شهود انفراده وابتلعتهم بالفناء بحار امداده فلم يروا الّا تحريكه وتسكينه شهودا حاليا ومقاما فعاليا اصطلمتهم الجمعية المشرقة عليهم من سماء قوله واياك نستعين اي لا نستعين الّا بك لا بانفسنا ولا حولنا ولا قوتنا وهذا اول تحققهم بالمقام واما آخره فمنتهاه التمكين وشهود حق اليقين فحال اوله تلوين ويبدل آخره بالتمكين فعمل الاول هو العمل لله وعمل الثاني هو العمل بالله فالعمل لله يوجب المثوبة والعمل بالله يوجب القربة والعمل لله يوجب تحقيق العبادة والعمل بالله يوجب تصحيح الارادة والعمل لله نعت كل عابد والعمل بالله وصف كل قاصد والعمل لله قيام باحكام الظواهر والعمل بالله

قيام باحكام الضمائر فاخلاص كل على قدر حاله وهو روح اعماله فاذا نفخ في صور الاعمال روح الاخلاص تلقيت بيمين القبول وصارت اصاحبها مطية موذنة بالوصول وان فقد منها هذا الروح الذي به قوامها قوبلت والعياذ بالله بالرد وما يحصل صاحبها الا مجرد العناء والكد لانها صارت والحالة هذه اشباحا لا ارواح لها وصورا قائمة لا معاني لها قال بعض صحح عملك بالاخلاص وصحح اخلاصك بالتبري من الحول والقوة

ثم قال رضي الله عنه (الذكر مع وجود الكون غفلة والذكر مع عدم وجوده حضور لان تذكره في الغفلة خير من ان تترك الذكر وانت معدوم اليقظة ان لم تذكره في الغفلة لم تشاهده في اليقظة وان ذكرته في اليقظة لم يغب عنك في الغفلة ذكره في اليقظة قربات وذكره في الغفلة تعبدات لا الذكر في اليقظة ينافي الغفلة ولا الذكر في الغفلة ينافي اليقظة اذكره كما كنت يذكرك كما كان) الذكر مراتب اولها ما كان عن غفلة ثم ما كان عن يقظة ثم ما كان عن حضور ثم ما كان عن غيب عما سوى المذكور وهو اجل ما به المرء طلب واولى ما به تعبد وتقرب فلجلالة قدره وعظم شانه وامره كان عموم الطلب به في كل الاوقات وجميع الحالات عادات وعبادات كيف لا وقد جعل مفتاحا لكل باب وسببا للبركة فيما له بال من الاسباب رعيا لمدلوله وطلبا لوصوله فالعقلاء تيقظوا بعموم طلبه الى الاستغراق فابدلت ظلماتهم بشموس الاشراق وهو علامة محبة المذكور كما قال صلى الله عليه وسلم من احب شيئا اكثر من ذكره وقال حبك الشيء يعمي ويصمي اي يعمي ويصمي عما سوى المحبوب فهو هنا محمود قيل وان الذكر منشور الولاية ودليل العناية وعلامة التوفيق والهداية ومن وفق للذكر فقد اعطي المنشور قال الشاعر

والذكر اعظم باب انت داخله ... لله فاجعل له الانفاس حراسا

وقال

وذكر الله يحسن كل وقت ... فحصل حاجة وارجع اليه
ومن ينفع اخاه بغير خير ... متنع الاذكار لم ينكر عليه

فالمطلوب

فالمطلوب من الانسان دوام الذكر على كل حال اذ هو كما علمت من افضل الاعمال واجلها في اثمار سني الاحوال فبادمانه والمثابرة عليه التطهير وبالرعي في روضة جناته التنوير قال صلى الله عليه وسلم ان القلوب لتصدا كما يصدا الحديد وجلاؤها ذكر الله وقال جل من قائل واقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر وقال صلى الله عليه وسلم اذا مررتم بر ياض الجنة فارتعوا قيل وما رياض الجنة يا رسول الله قال حلق الذكر فاغدوا وروحوا فيها وقال تعلى واذكروا الله كذكركم آباءكم او اشد ذكرا وقال ياايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وقال ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا الى غير ذلك من الآي والاحاديث الواردة في فضل الذكر ولو لم يكن فيه الا قوله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه عز وجل انا جليس من ذكرني لكان كافيا وقد علمت ان قلب الغافل عن الذكر مدبر في الحقيقة عن المذكور منطبعة في مرآته صور الاكوان منعت انسان عين قلبه من ابصار رشده وابتغاء قصده كيف لا والذكر مصباح القلوب صقالة للغيوب مطهرة للذنوب قال تعلى والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا فانظر الى ان سبب الاستغفار وعدم الاصرار هو ما وفق له من الاذكار وقال تعلى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وادامة ذكر الله نتيجته صفاء من اغياره وامتلاؤه بانواره فكثرة ترداد الذكر يوثر في القلب صفات المذكور كما سيجيء ذلك ان شاء الله فلا يزال الذاكر مبالغا في ذكره في كل اوقاته حتى يتفضل الله عليه بمحو ما انطبع في مرآة قلبه من الآثار الكونية وانتقش فيه من الصور الغينية فصير حركاته وسكناته طاعه * فيفوز بما استودعه من ايام عمره فلنعم البضاعه * نطقه ذكر وصمته فكر ونظره اعتبار وسعيه كله تقرب اليه دائم اقباله عليه وبالجملة ففضائل الذكر لا تحصى بعد ولا تستقصى بعد فالمطلوب اكثاره في كل حال فلو ترك الذكر في الغفلة فمن اين له بذكر اليقظة وهكذا اذ الحالة الاولى واسطة موصلة لما بعدها فمهما ادمن الذكر على

حال الغفلة ولازم عليه تكرم عليه منة منه وفضلا بذكر اليقظة ومتى لازم على ذكر اليقظة الّا وتفضل عليه بالحضور ومتى اكتنفته انوار الحضور اجتذبته واصطلمته الغيبة فيه عما سوى المذكور فليذكر العبد مولاه على حسب ما هو عليه من الاحوال والمقامات واولاه فمقامه حيث اقامه قال تعلى لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الّا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا فمن كان في عسرة الغفلة عنه ذاكرا دخل يسرة اليقظة شاكرا ومن كان في سعة اليقظة ذاكرا اشرقت عليه شموس الحضور ثم زج به مجذوبا بالغيبة عما سوى المذكور فان ذكرته بما انت عليه من اوصاف عبوديتك ذكرك بما هو عليه من اوصاف ربوبيته فافهم قال ابن عطاء الله لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه لان غفلتك عن وجود ذكره اشد من غفلتك في وجود ذكره فعسى ان يرفعك من ذكر مع وجود غفلة الى ذكر مع وجود يقظة ومن ذكر مع وجود يقظة الى ذكر مع وجود حضور ومن ذكر مع وجود حضور الى غيبة عما سوى المذكور وما ذلك على الله بعزيز انتهى فالذكر على وجه الغفلة نتيجته الثواب وعلى وجه اليقظة القرب من الكريم الوهاب وان حصلت الحضوة بذكر اليقظة زالت عن قلبك نومة الغفلة فدخل سلطان الذكر قرية قلبك باجناده واصطلمها بقهريته وامداده فعاينت كرسي مملكته فيه منصوبا ورواق هيبة جلاله مضروبا اصطفاك عروس حضوره وعم وجودك بنوره فانبعثت جزئياتك بذكره وشربت من خالص خمره فغبت عن احساسك وفنيت فيه عن انفاسك فكنت ذاكرا في كل احوالك غفلتك يقظة ويقظتك حضور في غيبة عما سوى المذكور لا تنافي غفلتك يقظتك ولا غيبتك حضورك غافلا متيقظا ذاكرا ناسيا حاضرا غائبا قال تعلى واصبح فواد ام موسى فارغا ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها ففراغه مما سوى موسى اذهلها حتى كادت ان تبدي ما اكنته في قلبها واضمرته في لبها فكذلك ذكر الحق جل جلاله اذا دخل القلب ومازجه اندك منه جميع ما سواه وبقي الحد لحدوده والعبد لمعبوده لا يشهد في عالم قلبه غير مذكوره فينبعث

الذكر من لسانه غلبة من غير تعمد ولا اجتلاب وهذه علامة ذكر القلب وفوقه علامة ذكر الروح وهو ان لا ترى الذكرى ذكرا لغلبته وجريانه في جميع عوالمك من غير قيد بجارحة او سر او جهر لان مقام الروح له الاطلاق فاذا تمكنت منه واطمانت به غبت في ذكرك هذا عن الذكر بالذكر وهنا ينقطع تكييف ذكرك لانك ذاكر بجميع جوارحك ظاهرك وباطنك حسك ومعناك وقد كان بعضهم حل في هذا المقام وكانت له اعداد من الذكر فلما بلغ هذا الشهود انقطع ادراكه الى كنه ذكره وكل عن معرفة قدره وحصره فاخبر الاستاذ المؤلف بهذا فاجابه بان هذا مقام ذكر الروح ينقطع فيه الذكر بالذكر استغراقا في المذكور وغيبة عما سوى المذكور ولا حاجة الى حركة لسان لتعذرها ولا الى ضبط عد لتعسره وعدم ادراك امره ومدار هذا الامر على الذوق فافهم نعم وصاحب هذا المقام ذكره شهود ووجود ولا يتاتي البحث عن حاضر ولا الكشف عن ناظر والكلام في مقامات الذكر واسع لا يسعه هذا الموضوع وفيما اشرنا اليه كفاية لمن كانت له بطريق القوم عناية فقد تعلق العلم بمعلوم ومن شاء جرد اثواب قلبه من غفلته عن ربه وفي هذا البحر يسبح وفي عوالمه يحوم وقد انثنى عنان القلم للخروج عن المقصود . وقال تعلى واذكر ربك اذا نسيت اي غيره فاذا نسيت غيره صرت ذاكرا ولو كنت بحسب الظاهر صامتا وهذا هو ذكر السوى عندهم بل نسيان السوى هو ذكر المولى قال ابن عباد وفضائل الذكر اكثر من ان تحصى ولو لم يرد فيه الا قوله في كتابه العزيز فاذكروني اذكركم وقوله عز وجل فيما يرويه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم انا عند ظن عبدي بي وانا معه حين يذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منه وان تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا وان تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا وان اتاني يمشي اتيته هرولة لكان في ذلك الشفاء والغنية وهذا الحديث متفق على صحته قال ومن خصائصه انه غير موقت بوقت فما من وقت الا والعبد فيه مطلوب به اما وجوبا واما ندبا وسائر الطاعات جعل لها حدا ينتهي اليه والذكر لا حد

له ولم يعذر في تركه الا مغلوبا على عقله قال تعالى فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم وقال يايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا اي بالليل والنهار والبر والبحر والحضر والسفر والغنى والفقر والصحة والسقم والسر والعلانية وعلى كل حال وقيل الذكر الكثير ان لا ينساه ابدا اه وفيه بعض اعادة لما قدمت اولا وكلام المولف متقارب من حيث المعنى مما يقتضيه مدلول الحديث وهو انا عند ظن عبدي بي الحديث كانه يقول اذكره بما انت عليه يذكرك بما هو عليه تقرب اليه بقدر وسعك يتقرب اليك بقدر طوله وامتنانه وجوده واحسانه يجازي على القليل كثيرا اذكره بوصفك الحادث يذكرك بوصفه القديم اذكره بوصف الفناء يذكرك بوصف البقاء اذكره بوصف العدم يذكرك بوصف الوجود اذكره بنفي الكثرة يذكرك باثبات الوحدة اذكره بنفي فرقيتك يذكرك بثبوت جمعيته اذكره بجمعيتك يغيبك عن شهود معيتك فافهم ولمثل هذا يشير له بالتفهم على اغلب عادته ثم قال رضى الله عنه (ذكره في الحضور غيب عما سوى المذكور والغيبة عنه تقصير في حصول المقدور لان تذكره وانت حاضر معه خير من ان تذكره وانت غائب عنه) نتيجة الذكر الحضور مع المذكور و بوجود الحضور توجد الغيبة عما سوى المذكور ويخلع عليك اذ ذاك اوصاف العز والجبور فتتخلى من اوصافك وتتحلى باوصافه وتلبس حلة حبه وتفني عنك في قربه فيصير سمعك الذي تسمع به و بصرك الذي تبصر به ويدك التي تبطش بها ورجلك التي تمشي بها ولسانك الذي تنطق به وقلبك الذي تهتدي به ان قلت فعن اذنه وان فعلت فعن امره لان مرادك في مراده ان تحركت فبه وان سكنت فله وان اعطيت فاليه وان اخذت فمنه وان اعتمدت فعليه وان حضرت فمعه وان غبت ففيه حضورك غيبة وغيبتك حضور فان انعم الله عليك بهذه النعم والبسك حلل التقريب اليه واعظم فاحمد الله به واشكره منه اليه وان اعوزك وجود الحجاب وتعذرت عليك منازل الاحباب فالزم قرع الباب متضرعا للكريم الوهاب عسى ان يبدل غيبتك بالحضور وظلمتك بالنور ولا يقنطك ذكرك حال الغيبة

من حيث انه تقصير فامر الله قدر مقدور كما قال الشاعر

اخلق بذي الصبر ان يحظى بحاجته ومدمن القرع للابواب ان يلجا

فعلى العبد العمل بما يوجب القرب والرضى * والمولى ما حكم به وقضى * ان اقبل فبفضله وان اعرض فبعدله لا يسال عما يفعل فقوله لان تذكره وانت حاضر معه الى آخره كالبيان لما قبله ثم قال رضي الله عنه

(ليس المقصود منك الذكر باللسان وانما غاية القصد منك الذكر بالجنان الذكر على ظاهر القلب ذكر السادة الابرار والذكر بباطنه ذكر السالكين الاخيار لان تذكره بسر قلبك خير من ان تذكره بظاهر قلبك ولسانك لان ذكر اللسان واسطة للقلب وذكر القلب واسطة للسر وذكر السر واسطة للروح وذكر الروح هو الذكر الحقيقي الذي ليس لغيره عليه سلطان) فمراتب الذكر على ما ذكرهنا اربعة الاولى ذكر آلة اللسان ثم يتلوه القلب ثم السر ثم الروح وكل مرتبة واسطة ووسيلة لما بعدها الى ان تنتهي مراتبه بالبلوغ الى المقصود فتفنى الوسائل اذ لا حاجة لها مع المقصد فلا يزال الذاكر ذاكرا بحركة لسانه معظم زمانه حتى يدخل الذكر الى باطنه فيمتزج معناه بلحمه ودمه فيخامر قلبه ويمازج لبه فيصير ذكره في هذه الحالة قلبيا ومن علاماته ثبوت معنى الاسم في القلب ورسوخه فيه وتمكنه منه وتعلقه به حتى يفضي الى حالة يخرج منه الذكر بقصد وبغير قصد كما تقدم فاذا استقر معناه في سويداء القلب ثبتت له التخلية من الرذائل والتحلية بالفضائل لان اول دخول سلطان الذكر للقلب يدخل بقهريته فلا يبقى فيه ولا يذر وتنقطع منه حجب الذنوب وجميع الهواجس والخواطر الرديئة وتتضح له اذ ذاك كوامن العيوب فيشتغل كما هو المطلوب بتنقيتها ويهتم بتصفيتها كما اشار لهذا في الرحمانية بقوله

يشعل في قلبك مصباح ملكوتي قد لاح
تنظر عيوبك يا صاح تشتغل بالتنقيا

وهذه التنقية هي التخلية وتتفرع عنها التحلية حتى تتبدل اوصافه الرديئة

باوصافه الحميدة كما قال تعلى ومن تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيآتهم حسنات فجميل الصفات كامن في قبيحها كمون الزبد في اللبن او الروح في الجسد فاذا تميزت هذه ظهرت تلك مكانها وكمالات النفس منطوية تحت خبائثها التي تدنست بها بعد زكي فطرتها فاذا اججت عليها نار المكابدة والمجاهدة وضربت بمعول المخالفة زكت سبيكتها من موجبات نقصها فافهم التخلي والتحلي تظهر لك حقيقة المراد ثم اذا تمكن الذكر في قلبه كما ذكرنا قاده الى ذكر السر فيصير ذكره شهوديا كشف له عن مكنون السر الساري في جميع العوالم بواسطة هويته السارية فيها فينظر بعين الحقيقة الى باطن الامر فلا يرى في الحقيقة محركا ولا مسكنا إلّا الله تعلى ويشاهده شهودا ذوقيا حاليا كما ياتي وهذا الشهود من علاماته ومنها انفجار الاسرار الربانية والعلوم العرفانية من قلبه على لسانه كما قال صلى الله عليه وسلم من اخلص لله اربعين صباحا تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وله علامات اخر كالذي قبله وبعده واياك ايها السائر ودعواها من غير حلول فيها فان وخامة وبال نفسك راجعة عليك وما على المربي إلّا ان يدل وعادة النفس الادعاء فما سمعت كمالا إلّا وادعته وزعمت الاتصاف به ولا يغني عنها دعواها شيئا وقد عاينت من جل سالكي الوقت ممن هو بصدد السير يصغى لقلبه فيخيل له انه يسمع نطقه بالاسم المفرد مثلا وهو لا زال في الاسم الاول وكذلك ان كان في الثاني يخيل له انه استحق الثالث بهذه الصفة فليت شعري ما هذه صفة الترقي ولا فهم التلقي بل صفة الترقي يدركها النقاد ذوقا من باطن وحي المنقود له يقظة ومناما ويعرفون امر استحقاقه للتلقين من عدمه مع انضمام وجود بصيرة للناقد فيعرف بها باطن الوحيين هل هما حق او باطل ولا حاجة عندهم الى علامة سبق الاسم الآتي الى القلب ولا علامة فيه اصلا بل هذه الاسماء اتخذت في طريق القوم للاستعانة بها على النقلة من المقام الذي هو فيه الى ما يليه كما اذا كان في الاول فتزول من باطنه صفاته ويتحلى بصفات الذي يليه وهو مقام النفس اللوامة فاذا لاحت على باطنه علاماته النورانية لقن

صاحبه الاسم الثاني وهو الله الله وفاقا للشهود الذي انفتح له فيه من
شهود الوحدانية فيستعين بذلك على انتقاله من مقام اللوم وهكذا واما
ما يجده السائرون في قلوبهم من الاسم الآتي فلا اثر له كما مر وانما
هي تخيلات نفسانية لرغبة النفس في الترقي والانتقال من مقام الى مقام
ومن حال الى حال على عادتها لا غير بل المدار على وجود حقيقة صفة
المقام لا الاسم المجعول له وهنا زلت اقدام كثير وبطات بهم نفوسهم عن
السير عياذا بالله ولو فوض السائر امره لخبيره وصدق معه في مسيره لكان اسلم
له وانجح وما توفيقي الا بالله وبالجملة فمقام ذكر السر هو الثالث
بالنسبة للسادة الخلوتية فيكون صاحبه ذاكرا في شهوده منعدما في وجوده
حضوره غيبة وغيبته حضور ثم ينتقل الى ذكر الروح فيصير ذكره روحانيا
وشهوده عانيا لان هذا مقام العيان والتمكين والاطمئنان لا يوصف
بتعريف ولا يحد بتكييف ومن علاماته كما تقدم تجريبه الغيبة
بالذكر في الذكر عن الذكر حتى لا يرى لذكره ذكرا وكيف يجد لذكره
ذكرا وهو روح الكون في هذا المقام وجميع الموجودات سار فيها سره نافذ فيها
امره لانه بالمكون وهذا وان كان احط مما بعده فهو كمال بالنسبة لما
بعده وفي هذه الحالة يقال في حقه من حيث الاشارة يسالونك عن
الروح قل الروح من امر ربي اذ هو الروح الاعظم المحمدي الذي قد
حدث منه ووجدت الموجودات وظهرت في هذا العالم الدنيوي والاخروي
الكائنات وهو من امر ربي ولا عجب وفي هذا المعنى يشير قوله تعالى
وان من شيء الا يسبح بحمده اي بحمد هذا الكامل وهذه مبادي الخلافة
الكبرى التي جعلت قبلة للملائكة كما اشير اليه في غير هذا ويكفيك
ايها السامع ان لم تفهم قوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم فتسبيحهم له وبه
تسبيح للجمال الذي اشرقت شموسه عليه اذ هو باطن قوله كنت
كنزا لم اعرف فخلقت الخلق لاعرف فبي عرفوني والخلق الذي عرف به
الحق هو هذا الروح الاعظم المحمدي الالهي فافهم وسلم تسلم فهذا اي
ذكر الروح ليس لغيره عليه سلطان نعم وعنوان استقامة الكون بهذا
الروح الاعظم واضح من استقامة هذا البدن الانساني بالروح الذي

سري في عوالمه وكان به جميع تصرفاته وهو سبب انفعاله فكذلك هذا الروح سرى سره في جميع العوالم فكان هو روحها وبه استقام امرها انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وقصد المؤلف رضي الله عنه ارشاد كل من هو في مقام الى ما هو فوقه عسى ان تجذبه نفحة ربانية في شهوة روحانية فترتفع همته الى ما هو اعلا * ويطمح بصره الى ما هو احق به واولى * وهذه الاحوال والمعالم والمراقي كما قال العارف بالله ابن عباد لا يعرف حقائقها الا السالكون وجدانا والعلماء تصديقا وايمانا فاياك والتكذيب بآيات الله تعالى فتكون من الصم البكم في الظلمات اه فذكر اللسان مع ظاهر القلب ذكر الابرار * الدائبين في الخدمة طمعا في الجنة وخوفا من النار * والذكر بالسر والروح ذكر سالكي المقربين الاخيار * المشاهدين ان ما سوى الله اغيار * وليس لهم الى غير محبوبهم سكون ولا قرار * افردوه بالقصد * واشتاقت ارواحهم الى تجديد سالف العهد * فنعيمهم تجلي ولباسهم تحلي طابت انفسهم للقاء * واستبدلوا الفناء بالبقاء * غابوا عما سواه * واجلسوا على كرسي علاه * ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وفي بعض هذا المعنى انشدوا

ما ان ذكرتك اللهم يبلغني … سري وقلبي وروحي عند ذكراك
حتى كان رقيبا منك يهتف بي … اياك ويحك والتذكار اياك
اما ترى الحق قد لاحت شواهده … وواصل الحق من معناه معناك

فيا لهم من رجال * وما الذ حالهم من حال * منحنا الله مما به منحهم بمنه وكرمه لا رب سواه * ولا يرجى على التحقيق الا اياه * ثم قال رضي الله عنه

(ان ذكرته بذكر الافعال ذكرك بالموهبة والافضال وان ذكرته بذكر الاسماء ذكرك بكمال الانس والهيبة والحياء وان ذكرته بذكر الصفات ذكرك بالقرب والتجليات وان ذكرته بذكر الذات ذكرك بوصف كمال جمال جلاله الذاتي لان ذكر الافعال ذكر تحسين وذكر الاسماء ذكر تلوين وذكر الصفات ذكر تمكين وذكر الذات ذكر تعيين فافهم

فذكر

فذكر اللسان له مقام الافعال وذكر القلب له مقام الاسماء وذكر السر له

مقام الصفات وذكر الروح له مقام الذات وبالله التوفيق) استعمل اهل الحق الفاظا يكثر دورانها فيما بينهم اختصوا بها دون غيرهم ليفهموا ما يرد عليهم في تخاطبهم وتحاورهم وذلك كالهيبة والانس والتلوين والتمكين والتجلي والتفرقة والجمع وقد اتى المؤلف بجملة منها غير مجتمعة في محل واحد ونحن ان شاء الله نشير الى ما يسر الله منها فاما التفرقة والجمع فقد مضى الكلام عليهما واما الهيبة والانس فهما فوق القبض والبسط فكما ان القبض فوق رتبة الخوف والبسط فوق رتبة الرجاء فالهيبة اعلا من القبض والانس اعلا من البسط وحق الهيبة الغيبة فكل هائب غائب ثم يتفاوتون في الهيبة على حسب تباينهم في الغيبة وحق الانس صحو بحق فكل مستانس صاح ثم يتفاوتون فيه بحسب تباينهم في الشرب قال بعضهم ادنى محل الانس انه لو طرح في لظى لم يتكدر وقال الجنيدي كنت اسمع السري يقول يبلغ العبد الى حد لو ضرب وجهه بالسيف لم يشعر وكان في قلبي منه شيء حتى بان لي ان الامر كذلك ومع هذا فاهل الحق يعدون صاحب الهيبة والانس لا زال في النقص لانه لم يزل فيه بعض احساس بخلاف من فوقه فلا هيبة ولا انس كما انه لا شعور له ولا حس عن ابي سعيد الخراز انه قال تهت في البادية فكنت اقول

اتيه فلا ادري من التيه من انا ... سوى ما يقول الناس في وفي جنسي
اتيه على جن البلاد وانسها ... فان لم اجد شخصا اتيه على نفسي

قال فسمعت هاتفا يقول

ايا من يرى الاسباب اعلا وجوده ... ويفرح بالتيه الدني وبالانس
فلو كنت من اهل الوجود حقيقة ... لغبت عن الاكوان والعرش والكرسي
وكنت بلا حال مع الله واقفا ... تصان عن التذكار للجن والانس

واما التلوين والتمكين فالاول لاصحاب الاحوال والثاني صفة ارباب الحقائق فما دام العبد في الطريق فهو صاحب تلوين لانه يرتقي من حال الى حال وينتقل من وصف الى وصف فاذا وصل تمكن قال بعضهم

ما زلت انزل من ودادك منزلا   تتحير الالباب عند نزولـــــه

وصاحب التلوين ابدا في زيادة وصاحب التمكين وصل ثم اتصل ويظهر لك الفرق بين موسى ونبينا عليهما الصلاة والسلام فان موسى لما رجع من سماع الكلام غطى وجهه وامسك انفه لئلا يرى او يشم اصوات الخلق وروائحهم لتمكن الحال منه وغلبته عليه بخلاف سيدنا صلى الله عليه وسلم فانه اسري به الى العالم العلوي وكشف له عن العجائب وسمع كلام ربه ورآه ببصره عيانا وكان منه قاب قوسين او ادنى ورجع من مسراه على الحالة التي اسري به عليها لتمكنه من الحق فلم يحجبه عن الخلق بخلاف موسى عليه السلام كما علمت وفي قصة يوسف مع زليخا والنسوة ما يدل له فقد وقع للنسوة عند مشاهدة جماله ما لم يقع لها لتلوينهن ولتمكينها واما التجلي فهو الظهور قال تعلى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وفي الحقيقة هو رفع الحجاب عن الخلق لا عن الحق والّا فهو لا يحجبه شيء ولو حجبه لقهره كيف وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير وفي الخبر ان الله اذا تجلى بشيء خشع له وفي رواية خضع له ويقابله بالضدية الستر فهو للعوام عقوبة لانه حجاب مانع لهم وللخواص رحمة بهم اذ لولا انه يستر عنهم ما يكاشفهم به لتلاشوا كما وقع لموسى عليه السلام حين سال الروية قبل تمكنه قال رب ارني انظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلو كان في تلك الحال بوصف التمكين ما صعق ويباينه وصفه صلى الله عليه وسلم في مسراه حيث كان منه ادنى من قاب قوسين فالادنوية غير محدودة المقدار كما علمت فهي صادقة بنفي موضوع البعد والقرب فافهم ودخل بعض الفقراء البادية فوافى حيا من احياء العرب فاضافه شاب فبينما الشاب في خدمة الفقير اذ غشي عليه فسال الفقير عن حاله فقالوا له بنت عم وقد علقها فمشت في خيمتها فراى الشاب غبار ذيلها فغشي عليه فمضى الفقير الى باب الخيمة وقال ان للغريب فيكم حرمة وذماما وقد جئت مستشفعا اليك في امر هذا الشاب فتعطفي عليه فيما به من هواك فقالت

المراة سبحان الله انت سليم القلب انه لا يطيق شهود غبار ذيلي فكيف يطيق محبتي واما عوام هذه الطائفة عيشهم في التحلي وبلاءهم في ضده ذكر بعض هذا القشيري مع اختصاره جدا ثم نرجع لتتبع كلام المولف رضى الله عنه فاقول احوال الذاكرين لا يدركها حصرا الّا واهبها ولا يحيط بها خبرا الّا مانحها وعلى سبيل الاجمال فذكر المولف رضى الله عنه ان مراتب الشهود اربعة كما ان مراتب الذكر على ما ذكر اربعة مع ما فيه من التسامح في بعضها ذكر الافعال ثم ذكر الاسماء ثم ذكر الصفات ثم ذكر الذات فنتيجة ذكر اللسان الحلول في مقام تجليات الافعال فيحصل له شهود ان لا فاعل في الحقيقة الّا الله تعلى شهودا حاليا ونتيجة ذكر القلب النزول في مقام تجليات الاسماء فينكشف له على خفايا اسرارها ويقتبس سره من اشعة انوارها ونتيجة ذكر السر الانغماس في بحر مقام تجليات الصفات فتخلع على روحه خلع كنت له سمعا وبصرا ويدا ورجلا وفوادا ولسانا فيكون هوهو ونتيجة ذكر الروح التلاشي في مقام تجليات الذات العلية المنزهة عن الجزئية والكلية فتضمحل احساساته وتنقطع ادراكاته فيقال ارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير اذ مقام الذات كالشمس تعطى ناظرها ظلمة وهى هنا ظلمة العجز وذلك عين الادراك فيزداد بظلمة عجزه حيرة فيقول اللهم زدني فيك تحيرا وهي الحيرة المقبولة المنزهة من شوائب الخوض فقد ادته حيرته هذه الى العجز وهو اوصله الى المعرفة وهى افضت به الى الادراك الذي هو العجز عنه فقال العجز عن الادراك ادراك كما وقع لسيدنا ابي بكر الصديق رضى الله عنه وياتي فى المناجاة مزيد بيان لهذا ان شاء الله تعلى نعم وبعض الاكابر انتهى تكلمهم على التجلي الى الصفات ولم يذكروا فى الذات شيئا وبعضهم كالمولف ذكر فيه ما تقدم وياتي وفى هذا المقام الذي حصلت فيه لصاحبه الاكملية التي هي ناشئة عن الفناء التي هى عين البقاء يصح له الرجوع من سماء الحقوق الى ارض الحظوظ فيعطى لكل ذي حق حقه ويوصل لكل ذي قسط قسطه لا يشغله فى هذه الحالة شان عن شان لا تحجبه تفرقته بكثرتها ولا جمع بوحدته لترقيه عن الفناء

الاول الذي ينحجب فيه صاحبه بالحق عن الخلق بخلاف من فني عن الفناء وحصل له البقاء فلا حجب له بالحق عن الخلق ولا بالخلق عن الحق فيجمع بين الضدين وبالله التوفيق والهداية الى معرفته على اقوم طريق بمنه فالذكر بحركة اللسان ذكر موجب بفضل الله المثوبة والتطهير وبالقلب مفض للتلوين والتنوير وبالسر موصل للثبوت والتمكين وبالذات مود الى الاستغراق في الوحدانية والتعيين فان ذكرته بشهود تجلي افعاله منحك من جزيل مواهبه وافضاله وان ذكرته بتجليات الاسماء امدك بكمال الانس به والهيبة منه والحياء واغمرك بشهود الآلاء والنعماء وان ذكرته بصفاته ذكرك باخذ صفاتك والبقاء في صفاته فكنت في القرب منه وجودا بلا شهود وشهودا بلا وجود فلا انت انت موجودا الّا هو هو مشهودا وان ذكرته بتجلي ذاته جملك بصفاته الجمالية وكملك بنعوته الجلالية الذاتية التي لا ترام بتكييف ولا تحاول بتعريف وكلام المؤلف هذا رضي الله عنه قريب من كلام ابن عطاء الله رضي الله عنه دل بوجود آثاره على وجود اسمائه وبوجود اسمائه على ثبوت صفاته وبوجود اوصافه على وجود ذاته اذ محال ان يقوم الوصف بنفسه فارباب الجذب يكشف لهم عن كمال ذاته ثم يردهم الى شهود صفاته ثم يرجعهم الى التعلق باسمائه ثم يردهم الى شهود آثاره والسالكون على عكس هذا فنهاية السالكين بداية المجذوبين لكن لا بمعنى واحد فربما التقيا في الطريق هذا في ترقية وهذا في تدلية اه فقد علمت بهذا ايضا انه دلهم بوجود آثاره شهودا على وجود اسمائه وبوجود اسمائه تعلقا على وجود صفاته وبوجود صفاته تخلقا على وجود ذاته اذ الاثر لابد له من موثر والاسم لابد له من مسمى والوصف لابد له من موصوف لاستحالة وجود اثر بدون موثر او اسم بدون مسمى او وصف بدون موصوف فيكون كل قائما بنفسه فالمسبب لابد له من مسبب فشهود السالكين الاستدلال بالاثر على الموثر والمجذوبين على عكسهم والمجذوبون مسلوك بهم طريق البقاء والصحو والسالكون عملوا على تحقيق الفناء والمحو فحال السالكين ترقي وحال

المجذوبين تدلي وسياتي طرف من الكلام على الفناء والبقاء عند ذكر المؤلف لهما ان شاء الله والعذر لي في الخروج عن المقصود لسريان السهو لي مرات ثم قال رضي الله عنه (وعلامة ذكر الروح فيك ان تذكره بلا ذكر بان لا ترى لذكرك ذكرا لان عدم وجودك في وجوده ذكر لم يفتقر لذكر وان افتقر لذكر فذلك غيب الذكر في الذكر ليس بذكر على الحقيقة وانما الذكر الحقيقي هو حضورك مع المذكور وهو يكفيك عن ذكر له فافهم) تقدم للمؤلف رضي الله عنه التنبيه على مرتبة ذكر الروح في المراتب الاربع التي تقدم ذكرها ونبه هنا على علامته فقال وعلامة ذكر الروح الى آخره اي صفة ذكر صاحب هذا المقام ودلالة حلوله فيه واتصافه به ان يكون ذاكرا بلا ذكر وذلك بان يغيب في الذكر بالذكر عن الذكر فلا يرى لنفسه ذكرا لاضمحلال وجوده في وجود مذكوره وهذا هو الذكر الذي لا يحتاج موصوفه الى ذكر لان الذكر يكون وسيلة الى القرب من المذكور واستبدالا للغيبة والغفلة عنه بالحضور وقد حصل فلا ينبه غير غافل وان افتقر هذا الذاكر الى ذكر فهو لم يزل محجوبا في الذكر بالذكر وغائبا به عنه وليس حينئذ بذكر على الحقيقة الروحانية كما علمت اذ الذكر الحقيقي الروحاني الذي ليس لغيره عليه سلطان هو دوام الحضور والاستغراق في شهود المذكور مع قطع العلائق المناقضة لتحقيق المقام فاذا دام وجوده وصحا شهوده وثبت له التمكين ورسخ قدمه في حق اليقين اغناه ذلك عن وجود التذكار اذ سيآت المقربين حسنات الابرار فالذكر وسيلة الى الحضور مع المذكور ومحو انتقاش ما سواه من الصدور حتى لا يبقى الّا شهود في وجود ووجود في شهود فحينئذ ترك الذكر هو عين حقيقة الذكر ولكل مقام مقال فافهم ثم قال رضي الله عنه (خير الذكر ما ذكر عن فاقة وخير الفاقة ما كان له غنى) الفاقة والاضطرار والذلة والافتقار اوصاف ذاتية لازمة لا تفارق موصوفها بحال غير انها تحجب عن صاحبها بحجب نفسانية وخيالات وهمية حيوانية فاذا كشفت حقيقتها الى احد كان ذلك الوقت

خير اوقاته واجل احواله في جميع لحظاته لانه يعرف بها حقيقة نفسه وهي عين معرفته بربه كما قال اعرفكم بنفسه اعرفكم بربه من عرف نفسه عرف ربه فلما كانت الفاقة والاضطرار والمسكنة والانكسار اوصافا ذاتية كما تقدم ثابتة في كل امرئ على الحقيقة وليس لاحد غنى عنها من الخليقة صح ان تكون خير الاوقات واجل ما يرجع ويصار اليه من الحالات فخير الذكر ما كان بوجه الافتقار اليه قال تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين فالحق جل جلاله اذا علم من ذاكره صحة افتقاره اليه منحه باقباله عليه والفقر هنا والمسكنة من كل الاغيار وحينئذ تكون هي الغنى به عن غيره كما قال وخير الفاقة ما كان له غنى قال ابن عطاء الله فاقتك لك ذاتية وورود الاسباب مذكرات بما خفي عليك منها والفاقة الذاتية لا تدفعها العوارض وقال خير اوقاتك وقت تشهد فيه وجود فاقتك ويردك الى وجود ذلتك اه ابن عباد انما اورد عليك الاسباب التي تضاد وجودك وبقاء وجودك ليذكرك بذلك ما خفي عليك من وجود الفاقة الذاتية لك والاضطرار اللازم لوجودك فتلازم مذكرك وتقوم بحق عبوديتك ولا تجاوز حدك وطورك الى ان قال ولما لم تصل عقول العموم الى ما تعطيه حقائق وجوداتهم سلط الحق عليها الاسباب المثيرة للاضطرار ليعرفوا قهرية ربوبيته وعظمة الهيبة وانما كان خير اوقاتك الوقت الذي تشهد فيه وجود فاقتك لوجود حضورك فيها مع ربك وانقطاع نظرك عن الوسائط والاسباب الموجبة لبعدك وحجبك فهي لا محالة خير اوقاتك وهي مواسمك واعيادك وقال ابن عطاء الله ما طلب منك شيء مثل الاضطرار ولا اسرع بالمواهب اليك مثل الذلة والافتقار وقال الفاقة بسط المواهب ان اردت ورود المواهب عليك صحح الفقر والفاقة لديك انما الصدقات للفقراء اي ان تحققت باوصافك امدك باوصافه تحقق بذلك يمدك بعزه تحقق بفقرك يمدك بغناه تحقق بعجزك يمدك بقدرته تحقق بضعفك يمدك بحوله وقوته قال ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه وتصحيح العبودية بلازمه الفقر والعجز والضعف والذل لله تعالى واضدادها اوصاف الربوبية فما لك

واها

والها فلازم اوصافك وتعلق باوصافه وقل من بساط الفقر الحقيقي يا غني من للفقير غيرك ومن بساط الضعف يا قوي من للضعيف غيرك ومن بساط العجز يا قادر من للعاجز غيرك ومن بساط الذل يا عزيز من للذليل غيرك تجد الاجابة كانها طوع يديك واستعينوا بالله واصبروا ان الله مع الصابرين اه والاضطرار المطلوب منه ان لا يتوهم العبد من نفسه شيئا من الحول والقوة والاضطرار والذلة موجبان لسرعة نصرة الحق الى عبده المتصف بهما كما قال عز من قائل ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فالذلة اوجبت النصرة والعزة كما قيل

وإذا تذللت الرقاب تقربا   منها اليك فعزها في ذلهـــا

وكما قيل

حين اسلمتني الى الذال واللا   م تلقيتني بعـــــين وزاء

ثم قال رضي الله عنه (ذكره في عدم العدم وجود وذكره في وجود الوجود عدم العدم هنا مفقود ووجود الحق فيه ابرزه ولولا منار الحق فيه لم يخرج من العدم سبحان من اظهر الظواهر في السرائر واخفى السرائر في الظواهر)

ما سوى الله عدم وما له في الحقيقة من وجود ولا موجود إلّا الحق في تحقيق الشهود فالذكر في عدم العدم انفراد بالوجود وهو كما علمت ذكر لا يفتقر الى ذكر والذكر في وجود ما ظاهره من المكونات موجودا عدم وان كان في ظاهر الحال مع ذكر لان فراغ القلب من الاكوان الغيرية ذكر وان مع صمت وحشوه بالآثار الكونية وهو الذي عبر عنه بوجود الوجود عدم للذكر وان مع وجوده في ظاهر الحال لان مدار الامر عندهم على خلو الباطن وعمارته وسمى الكون عدما باعتبار ما هو عليه في الحقيقة عند ارباب الشهود وبما يئول اليه عند العامة وظاهر الوجود وكذلك سائر اشاراته فيما هو من هذا القبيل وهذه الاكوان التي عبر عنها المؤلف بالعدم لم تزل على عدميتها وما برز منها إلّا نور الحق فيها وقد اختلفت روية اهل الحق لهذه الاكوان فمنهم من يراها اولا ثم يراه بعدها وهم السالكون انتهاء ومنهم من يراه قبلها وهم اهل الجذب ومنهم من يراه معها وهم اصحاب التلوين في اثناء احوالهم واذا تُحقق لهم الشهود بان لهم

عدم ما سوى الحق تعالى حالا ولكن انطباع الاكوان في مرايا القلوب هي تخيل منها ببادي النظر انها شيء موجود كما يخيل للظمآن قال تعالى كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا فكذلك هذه الاكوان لا حقيقة لها ولا ظاهرية منها ولا باطنية فيها الا ما هو من الحق قال ابن عطاء الله انت مع الاكوان ما لم تشهد المكون فاذا شهدته كانت الاكوان معك ولا يخفى ان للقلب وجهة واحدة وما قابلها انتقش بانطباعه فيها شبه ما ينطبع في المرآة مما يقابلها فتوهم وجود صور الاكوان حجاب عدمي وتحقيق عدمها شهود وجودي فالكون المعبر عنه هنا بالعدم مفقود من اصله ولولا وجود الحق فيه ما برز وظهر ولولا انارة الحق له باشعة انوار وجوده واشراقها عليه ما صح ان يكون له ظاهرا ولا باطنا ولبقي في ظلمة العدم السابق له اذ اشراق شمس الوجود هو الذي ابرز ما هو مشهود قال ابن عطاء الله الكون كله ظلمة وانما اناره ظهور الحق فيه فمن رأى الكون ولم يشهده فيه او عنده او قبله او بعده فقد اعوزه وجود الانوار وحجبت عنه شموس المعارف بشهود الآثار اه وهذه الظروف يجب صرفها لما يليق بها من كونها راجعة لنسبة الشهود لمشاهده لا غير فاعتقد كمال التنزيه واحذر ما يوهمه التمثيل والتشبيه وبالجملة فرؤية وجود الاكوان اية كانت حجاب قهري وشهودها كدر غيري والا فالحق شهود عدمها الآن فلا وجود لها قال تعالى كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون وقال صلى الله عليه وسلم اصدق كلمة قالت الشعراء « الا كل شيء ما خلا الله باطل » قال بعض العارفين ابى المحققون ان يشهدوا غير الله لما حققهم به من شهود القيومية واحاطة الديمومية وقال سيدي ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه انا لننظر الى الله ببصر الايمان والايقان فاغنانا ذلك عن الدليل والبرهان ونستدل به عن الخلق هل في الوجود سوى الواحد الحق قال الشاعر

مذ عرفت الاله لم ار غيرا ... وكذا الغير عندنا ممنوع
مذ تجمعت ما خشيت افتراقا ... وانا اليوم واصل مجموع

فسبحان من ابدى ظواهر مكوناته باسمه الظاهر في اسرار وجوده وستر باطن وجوده بعظمة قهريته عن شهوده ومنشأ هذا التسبيح ما تلاطم عليه من التجليات التي اقتضاها مضمون هذه الجملة ثم قال رضي الله عنه (اتطمع في الحضور معه وانت غائب اتدعي القرب منه وانت بعيد فان لذلك علامة تدل عليه والّا فشواهد الامتحان لك تبيد) اقول الحضور مع الباري جل وعلا لا يكون الّا مع الغيبة عما سواه والقرب منه لا يكون الّا بالبعد عما عداه فمن حضر معه غاب عن غيره ومن دنا منه بعد عن غيره فالحق تعالى غيور لا يرضى بمشاركة معية الغير له وعنديته تقتضي نفي محاضرة عندية الغير لبعد تناسب وصف الحق من حيث الوجود والقدم ونعت الخلق من حيث الحدوث والعدم فالله حق وما سواه باطل فلما جاء الحق زهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ووجوده نور وعدم ما سواه ظلمة فهل يجامع النور الظلام وهل من ثبوت للظلام مع النور ام هل تستوي الظلمات الكونية الخلقية مع الانوار الحقية في نفس الوجود ام يتحقق اجتماعهما في عين الشهود وايضا فالاكوان ظل عدمي مقبوض بالفناء والمكون نور وجودي له البقاء ولا يستوي الظل ولا الحرور فالكون ظل والوجود حرور ولا ثبات للظل الكوني مع شمس الوجود الحقي ولا مقاومة للظل مع مصادمة قهرية الحرور فافهم فلا تطمع في التحلي بوصف قديم الّا بعد تخليك من وصف حادث لوجود تحقيق الضدية الموجبة لبعد التناسب المنافي للعندية واياك ودعوى القرب منه وانت في نعت اهل البعد عنه واياك ودعوى الحضور معه وعلامة الغيبة عنه عليك لائحة ورياح البعد غادية رائحة فان فعلت والّا فشواهد الامتحان منك تبدي ما كان فالمدعي للقرب مع البعد والمدعي للحضور مع الغيبة تبيده دعواه وتهلكه متابعة هواه فوجود اوصافك دليل عدم تحليك باوصافه ووجود اوصافه فيك دليل عدم اوصافك منك فافهم ثم قال رضي الله عنه (فكن معه بالفناء يكن معك بالبقاء لا تكن معه حيث كنت بل كن معه حيث كان)

الفناء سقوط الاوصاف المذمومة والبقاء قيام الاوصاف المحمودة فاذا كان العبد مع ربه فانيا عن اوصافه كان معه ربه بالبقاء باوصافه اي ان تخليت من ذميم اوصافك واتصفت بالفناء عنها وكنت مع مولاك فانيا حالك بحميد اوصافه فصرت به باقيا فمقتضى اوصافك العدم والفناء ومقتضى اوصافه ونعوته الوجود والبقاء فان عرفت نفسك باوصافها البسلك خلع اوصافه من عرف نفسه عرف ربه ولا يعرف نفسه حق المعرفة الّا بالتخلي من رذائل اوصافها الذي هو ثمرة معرفتها ولا يعرف ربه بما يليق به الّا بالتحلي بكمالات اوصافه الذي هو غاية المعرفة به لا مجرد المعرفة العارية عن التخلية والتحلية كما هي معرفة العوام المحجوبين بما هو في الدواوين والرسوم فلا يعرف السوق الّا من تسوقه ولا التخلق الّا من تخلقه ولا ترى نفسك في ميدان الحضور والشهود حتى تخرج عن جميع الوجود ولا تكون معه ما كنت في الكون بل حتى تخرج عن كونك باسره بوصف الفناء وتكون مع ربك حيث كان بوصف البقاء نعم وقد كنت وعدت بذكر تعريف الفناء والبقاء قال الامام القشيري اشار القوم بالفناء الى سقوط الاوصاف المذمومة وبالبقاء الى قيام الاوصاف المحمودة فاذا كان العبد لا يخلو عن هذين القسمين فمن المعلوم انه اذا لم يكن له احد القسمين كان القسم الآخر لا محالة فمن فني عن اوصافه المذمومة ظهرت عليه الخصال المحمودة ومن غلبت عليه الصفات المذمومة استترت عنه الصفات المحمودة واعلم ان الذي به العبد افعال واخلاق واحوال فالافعال تصرفاته باختياره والاخلاق جبلة فيه ولكن تتغير بمعالجته على مستمر العادة والاحوال ترد على العبد على وجه الابتداء لكن صفاؤها بعد زكاء الاعمال فهي كالاخلاق من هذا الوجه لان العبد اذا نازل الاخلاق المحمودة بقلبه استترت عنه المذمومة فينفي بجهده سفسافها من الله عليه بتحسين اخلاقه فكذلك اذا واظب على تزكية اعماله ببذل وسعه من الله عليه بتحسين احواله بل بتوفية احواله فمن ترك مذموم افعاله بلسان الشريعة يقال انه فني عن شهوته فاذا فني عن

شهوته بقي بنيته واخلاصه في عبوديته ومن زهد في دنياه بقلبه يقال فني عن رغبته فاذا فني عن رغبته بقى بصدق انابته ومن عالج قلبه فنفى عنه الحسد والحقد والبخل والشح والغضب والكبر وامثال هذه من رعونات النفس يقال فني عن سوء الخلق واذا فني عن سوء الخلق بقي بالفتوة والصدق ومن شاهد القدرة في تصاريف الاحكام يقال فني عن حسبان الحدثان من الخلق فاذا فني عن توهم الآثار من الاغيار بقي بصفة الحق ومن استولى عليه سلطان الحقيقة حتى لم يشهد من الاغيار لا عينا ولا اثرا ولا رسما ولا طللا يقال انه فني عن الخلق وبقى بالحق ففناء العبد عن افعاله الذميمة واحواله الخسيسة بعدم هذه الافعال وفناؤه عن نفسه وعن الخلق بزوال احساسه بنفسه وبهم فاذا فني عن الافعال والاخلاق والاحوال فلا يجوز ان يكون ما فني عنه من ذلك موجودا واذا قيل فني عن نفسه وعن الخلق فتكون نفسه موجودة والخلق موجودين ولكن لا علم له بهم ولا به ولا احساس ولا خبر فتكون نفسه موجودة والخلق موجودين ولكن غافل عن نفسه وعن الخلق غير محس بهم وقد يرى الرجل يدخل على ذي سلطان او محتشم فيذهل عن نفسه وعن اهل مجلسه هيبة وربما يذهل عن ذلك المحتشم حتى اذا سئل بعد خروجه من عنده من اهل مجلسه وهيئات ذلك الصدر وهيئة نفسه لم يمكنه الاخبار عن شئ قال الله تعلى فلما راينه اكبرنه وقطعن ايديهن لم يجدن عند لقاء يوسف عليه السلام على الوهلة الم قطع الايدي وهن اضعف الناس وقلن ما هذا بشرا ولقد كان بشرا وقلن ان هذا الا ملك كريم ولم يكن ملكا فهذا تغافل مخلوق عن احواله عند لقاء مخلوق فما ظنك بمن يكاشف بشهود الحق سبحانه وتعلى فلو تغافل عن احساسه بنفسه وابناء جنسه فاي اعجوبة فيه فمن فني عن جهله بقي بعلمه ومن فني عن شهوته بقي بانابته ومن فني عن رغبته بقي بزهادته ومن فني عن امشيئته بقي بارادته وكذلك القول في جميع صفاته فاذا فني العبد عن صفته بما جرى ذكره يرتقى بذلك عن فنائه عن روية فنائه والى هذا اشار قائلهم

وقوم تاهوا فيه بارض قفر   وقوم تاهوا في ميدان حبه
فافنوا ثم افنوا ثم افنـــوا   وابقوا بالبقاء بقرب ربـه

فالاول فناء عن نفسه وصفاته ببقائه بصفات الحق ثم فناوه عن صفات الحق بشهود الحق ثم فناوه عن شهود فنائه باستهلاكه في وجود الحق فقد بان لك بهذا تحقيق ذوق الفناء والبقاء وبهما يتبين الشهود والوجود والصحو والمحو والحضور والغيبة وهي متقاربة من حيث المعنى فنق قلبك من اغياره يذق لذيذ اسراره ثم قال رضي الله عنه (اذكره بذكر من لا يخفاه يذكرك بذكر من لا ينساه اذكره بوصف الممات يذكرك بوصف الحياة اذكره بوصف الفناء يذكرك بوصف البقاء اذكره بوصف الغيبة يذكرك بوصف الحضور اذكره بوصف الملك يذكرك بوصف الملكوت اذكره بوصف العبودية يذكرك بوصف الربوبية اذكره بوصف الاتضاع يذكرك بوصف الارتفاع اذكره بوصف العدم يذكرك بوصف الوجود اذكره بوصف ذكرك يذكرك بوصف ذكره اذكره بوصف ما انت فيه يذكرك بوصف ما هو عليه اذكره بوصف لا انت انت يذكرك بوصف هو هو) جميع ما ذكره هنا وما ياتي له بلصقه متقارب وهو تصريح بما اجمله في الجملة التي قدمها وقد اشبعنا الكلام عليه فيها لان مرجع هذه الجمل وان طالت وتكررت للفناء والبقاء كما علمت ومع هذا فهو متقارب المعاني متناسب المباني وهو في النظر بعين التحقيق في جمله فرق دقيق وساحاذي ذلك بحسب الامكان والله المستعان فاقول ان ذكرت ربك بذكر من علم شهود انه لا تخفى عليه منه خافية ذكرك باثبات ذلك وامدك بدوام تحقيق شهود ما هنالك فذكر مقام الاحسان نتيجته دوام الشهود ورفع حجاب النسيان وان ذكرته بوصف من ماتت نفسه وفنيت شهواته ذكرك بوصف من بقي به ودامت حياته ان ذكرته فانيا عن الاغيار ابقاك به وجودك اثار ان ذكرته بوصف الذهول والغيبة واجهك بالحضور معه انسا وهيبة ان

ذكرته في ظواهر الملكية كشف الك بواطن الملكوتية والذكر على بساط الذلة والافتقار في عبوديتك اورثك الاختصاء بوصف الربوبية قال ابن عطاء الله مطلب العارفين من الله الصدق في العبودية والقيام بحقوق الربوبية اه فان ذكرته بذلة واتضاع ذكرك بجلابيب العزة والارتفاع وان ذكرته بوصف ذكرك الحادث ذكرك بوصف ذكره القديم فاذكروني اذكركم بل ذكره سابق لذكرك فلولا سابقية اذكركم ما جاءت لاحقية اذكروني فذكرك الحادث فرع عن ذكره القديم ولولا وارد ذكره الك ما برز ذكرك له كانه يقول ذكرتكم فذكرتموني فافهم فان ذكرته باوصاف ما انت فيه من التفرقة الخلقية ذكرك بما هو عليه من نعوته وكمالاته الجمعية الحقية وان ذكرته بوصف فنائك عن وجود انيتك ذكرك بوصف بقاء هويته السارية في عوالم الوجود الظاهر اشراق شمسها على كل مشهود فلولا هويته ما ظهرت انيتك انت الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا فلولا دلالة شمس هوية الربوبية باستنارة حقيتها ما ظهرت المكونات في ظل خلقيتها وانظر قوله الى ربك ولم يقل الى مد الظل وكذلك قوله ثم جعلنا الشمس عليه دليلا فانهما يدلان على ان المؤثر هو الدال على الاثر كما انه بداية اهل الجذب ونهاية السالكين من ذوي القرب وقد مر طرف من هذا وياتي تمامه ان شاء الله تعلى ثم قال

رضي الله عنه (اذكره بوصف الكثرة يذكرك بوصف الوحدة اذكره بوصف الفرق يذكرك بوصف الجمع اذكره بذكر الخلوة يذكرك بذكر الجلوة ان ذكرته بذكر السر يذكرك بذكر العلانية اذكره بانت المسيء يذكرك بهو المحسن اذكره بوصف ذكرك الحادث يذكرك بوصف ذكره القديم)

قد تقدم الكلام على الجمعية والتفرقة وياتي في المناجاة ان شاء الله مستوفى والوحدة قريبة من الجمعية ومع هذا فمرجع التفرقة والكثرة الى الخلق ومصير الوحدة والجمع الى الحق فالوحدة الانفراد بوحدانية الاحد والغيبة عن شهود كثرة الاغيار الكونية شهودا ووجودا اذا عرفت هذا

علمت ان حصول الذكر من الذاكر في حال استتاره في مقام حجاب الكثرة وسيلة الى الحلول في مقام الوحدة وان الذكر في حال فرقية الخلق ذريعة الى وصول الجمعية بالحق وان الذكر على الخلوة والاعتزال ينتج ثبوت ذكره في الجلوة الملائية والاتصال بان تكون دائم الخلوة به وان كنت في الظاهر مع غيره جزاء وفاقا فان ذكرته سرا في نفسك رفع ذكرك علانية من بين ابناء جنسك كما قال ورفعنا لك ذكرك وان اعترفت بالاساءة اليه وبذلة اقبلت بوجهك عليه وتضرعت في ذلك بين يديه تعرف اليك باحسانه وواجهك باقباله وامتنانه وان التحفت بذكرك الحادث يلبسك رداء ذكره القديم وينظر الى هذا من طرف خفي قوله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه عز وجل انا عند ظن عبدي بي وانا معه اذا هو ذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منه وان تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا وان تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا وان اتاني يمشي اتيته هرولة او كما قال صلى الله عليه وسلم نعم وقد كنت سالت الاستاذ المولف رضي الله عنه عن هذه المقادير المذكورة في الحديث من ذراع وشبر وغيرهما فقال كل مقدار معروف لمن نسب اليه من تقرب مني بقدر ذراعه الخلقي تقربت منه بقدر باعي الحقي وهكذا الامر في جميع المقادير واياك وفهم التشبيه بالجارحة لاستحالتها عليه تعلى وانما هو تمثيل مقرب لفهم السامع كما يقول القائل من فعل في شبر فعلت فيه ذراعا وليس في الموضوع ذراع ولا شبر وانما المراد المبالغة في توفية الجزاء مع استحالة المسافة هنا من اصلها فالتقرب من المخلوق تخليا بقدر ما يناسب حاله والقرب من الحق اليه جزاء بحسب مقتضى جوده ونواله فافهم ثم قال رضي الله عنه (اذكره بالنفس الامارة

يذكرك بالنفس اللوامة اذكره بالنفس اللوامة يذكرك بالنفس الملهمة

اذكره بالنفس الملهمة يذكرك بالنفس المطمئنة الراضية المرضية الكاملة)

مصطلح السادة الخلوتية في ترقيهم ان جعلوا لمريدي سلوك طريق المقربين سبع مقامات وقسموا النفوس الى سبعة لان الحجب ايضا سبعة

وان كانت ترجع في التحقيق والتدقيق الى سبعين او سبعين الفا كما يأتي وهذا التقسيم والتعداد باعتبار اوصافها في كل مقام من مقاماتها فسموها وهي في المقام الاول بالامارة وفي الثاني باللوامة وفي الثالث بالملهمة وفي الرابع بالمطمئنة وفي الخامس بالراضية وفي السادس بالمرضية وفي السابع بالكاملة وهي في الحقيقة نفس واحدة ومهما حلت في مقام من هذه المقامات اتصفت بصفته وعرفت بعلاماته وكانت محجوبة به عما بعده فالامارة حجابها ظلمات الاغيار واللوامة حجابها مشاهدة الانوار والثالث الملهمة الاسرار وهكذا فالامارة محجوبة بظلمات الاغيار عن مشاهدة الانوار واللوامة محجوبة بالانوار عن الاسرار وهكذا الى آخر مقامات الكمال ويلقنونه وهو في المقام الاول لا اله إلّا الله وفي الثاني الله وفي الثالث هو وفي الرابع حق وفي الخامس حي وفي السادس قيوم وفي السابع قهار فاذا تحقق مقام كماله وقوي على شهود جماله وجلاله لقنوه ايضا الله الله الله فاول تلقينهم اياه هذا الاسم في مقام اللوم اشارة للوحدانية وفي هذا المقام الاحدية وفي هذا المقام لو قيل بانه اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به اجاب واذا سئل به اعطي ما بعد كما قيل به لموافقة ذكر الاسم مع تحلي ذاكره بصفات المسمى كما هو النتيجة المقصودة عندهم وتحقيق الترقي وكيفية التدريج منطو في صناديق اسرارهم ومفاتيحه مقاليد انوارهم ولا يسع هذا المختصر بسط الكلام مع اننا لسنا بصدده وإلّا لاتينا فيه بما يليق بالحال ومن اراد مطالعة فعليه بالمصطفى البكري ترقيا وذوقا وشهودا وتحليا ووجودا فعليه بالجد يجد ولا يصرفه عن هذه المطالب قول من اغمي على بصر بصيرته بحجاب غفلاته وغطي عليه بران شهواته انه انقطع كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فالسير موجود في كل زمان والفتح حاصل في كل آن ويذاد عنه من بدل وغير في الطريق وهذه سنة مستمرة قول الغافلين بانقطاع السير والسلوك فمهمى خرج شيخ مشار اليه به إلّا وقيل بانقطاعه بعده وما اظن هذا القائل بهذا إلّا انه سالك به مسلك الترجمة على لسان ابليس ليوقع خلق الله في ظلمات التلبيس والله الموفق والخير باق الى التلاق

ثم نرجع للمقصود قال ان ذكرته بالنفس الامارة التي سميت امارة لكثرة امرها بالسوء كما قال تعلى حاكيا عن الصديق الاكبر وما ابرء نفسي ان النفس لامارة بالسوء وسميت الثانية لوامة لكثرة لومها على صاحبها كما اقسم الله بها حيث قال لا اقسم بالنفس اللوامة اي على الخير ليته اكثر وعلى الشر ليته قصر وسميت الثالثة ملهمة لانها الهمت فجورها وتقواها عرفت الحق حقا والباطل باطلا وكانت فيها قابلية التخلي عن الفجور والتحلي بالخيور قال تعلى فالهمها فجورها وتقواها وسميت الرابعة مطمئنة لقوله تعلى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية والخامسة والسادسة من قوله راضية مرضية والسابعة سميت كاملة لكمالها وتمام تزكيتها فكان لها الدخول في العباد الارشاد ودخول جنة القرب وحضرة اهل الحب وكان المولف رضي الله عنه يشير الى الحديث الذي تقدم ذكره وهو قوله صلى الله عليه وسلم لا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به الحديث فمن ناداه بلسان اضطراره * وتقرب اليه باللهج باذكاره * قربه الى شهود انواره * واختطفه من ظلمات اغياره * وان ناداه من بساط الانوار * وتملق له بلسان الافتقار * رفعه الى بحبوحة اسراره * واشهده خفايا عجائب اقداره * فعاين ما كان معلوما اذ مقامه قبلُ علم اليقين وهنا عين اليقين ومن هذا المقام الى مقام الاطمئنان ومشاهدة الاحسان الذي هو حق اليقين بعد ان كان في عين اليقين والى التمكين بعد ما كان في التلوين الى آخرها فهذا تم ترحيله وانهاه الى المقصود دليله نودي ان الى ربك المنتهى وانظر بسرك الى قوله تعلى حاكيا عن نبيه يونس عليه السلام فنادى في الظلمات ان لا اله الّا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فانه ما اتم النفي بقوله لا اله حتى واجهه بالمحاضرة فقال الّا انت بضمير الخطاب الاخص من ضمير الغيبة ومن الظاهر كما علمت فبغته وارد قهرية جلاله وحملته قوة شهود منته وسلطان جماله ان قال سبحانك منزها له عما كان بصدده من نفي الكثرة واثبات الوحدة اللذين هما دليلا الاحساس بالفرقية والجمعية اني كنت من الظالمين وظلمه هذا

الذي اعترف به من باب حسنات الابرار سيآت المقربين كما اشرنا اليه وبالجملة فكلام المولف صريح في ان من وقف على بساط هو به ودعا ربه منه تكرم عليه بما فوقه وقربه فافهم ثم قال رضى الله عنه

(اذكره بذكر الحمد لله رب العالمين يذكرك بذكر الرحمان الرحيم ملك يوم الدين اذكره بذكر اياك نعبد يذكرك بذكر اياك نستعين اذكره بذكر اهدنا الصراط المستقيم يذكرك بذكر صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) قد علمت من المولف رضى الله عنه في غير ما موضع الكلام في الذكر ولكن في بعضه تجوز لا حقيقة الذكر على بابه المتبادر منه كما هنا وكما ياتي له مثله فذكر في هذه الجملة ما تضمنته سورة الفاتحة واشتملت عليه فقال ان ذكرته بذكر الحمد لله رب العالمين اي ان ذكرته بشهود اوصافه التي توجب له ان يكون محمودا عليها حمدا يستغرق جميعها وحمدته بحمده لنفسه الدال على نعوت الكمال واختصاصه بحقيقة ان الحمد لله لاستحقاقه له واختصاصه به واعترفت له بانه رب للعالمين شهودا منك له بالوحدانية والمالكية الوصفين اللذين تقتضى حقيقتهما كمال التصرف في مخلوقاته الذين اضيفوا له لافادة نسبة الملكية لانه يربيهم وينمي احوالهم فاسم الجلالة افاد هنا الانفراد بالايجاد ولفظ الرب افاد الاختصاص بكمال التصرف في مربوبه وحصول الامداد ذكرك هو بما هو عليه من اوصاف كماله من الرحمانية التي عمت الدنيا والآخرة والرحيمية التي خصت الآخرة والمالكة المختصة به يوم الجزاء حين ترتفع الاملاك المجازية وينفرد هو بالملك الحقيقي في ظاهر الحال وباطنه وذكره لك بهذه الاوصاف بان يفيض عليك من مضمونها ما يقتضيه التحلي بها رحمانية ورحيمية وما يشعر به لفظ الملك نسبة ما فيكون له حظ من الملك اللائق بذلك المقام بمحض الجود عليه والانعام وهو الشفاعة قال تعالى لا يملكون الشفاعة إلّا من اذن له الرحمان واشارة الى انه يجازيه يوم الدين بما يجازى به المرحومين وفيه ايضا اشعار بانه يهب لهم من

رحمته ورحمانيته ما يوجب لهم ان يكونوا راحمين مرحومين كما قال صلى الله عليه وسلم يرحم الله من عباده الرحماء وقال الراحمون يرحمهم الرحمان فلما ان بذلوا له ما هو في وسعهم وذكروه بشهودهم له اثابهم بما يقتضيه وصفه من سوابغ جوده كانه يقول ان بذلت له ما هو منك جمالك بما هو منه وان كان الكل منه واليه على الحقيقة لانه كما قيل من تمام فضله عليك ان خلق ونسب اليك فما قمت بحقوق عبوديتك إلّا وحباك بما تقتضيه نعوت ربوبيته فاذا قلت اياك نعبد بان خصصته باخلاص عبادتك اليه وحققت عبوديتك في ذلك لديه امدك بمضمون اياك نستعين فاياك نعبد تفرقة من اوصاف العبودية واياك نستعين جمعية من نعوت الربوبية لان العبودية صادرة من الخلق والاعانة موردها من الحق هذا ما يتم لاهل التفرقة والجمع واما من كان فى جمع الجمع فهو في فناء عن كلا الوصفين تفرقة وجمعا فشهوده الاستغراقى غيبة عن ان يفرق بين الحق والخلق بل استغراقه في شهوده ابلغ من ذلك فلا يتاتى منه كثرة وتفرقة مع غلبة سلطان حقيقة الوحدة والجمع نعم لفظ الاستعانة اي طلب الاعانة تفرقة وورود الاعانة ممن هى صادرة منه هى الجمعية فافهم فاذا تحققت عبوديتك لديه امدك بالجمعية شهودا اليه واذا وقفت على بساط افتقارك في هداية السبيل اليه ورغبت منه ان يقبل بك عليه منحك مما منح به من انعم عليهم ممن لم يغضب عليهم بعدم اقباله ولم يضلوا بواسطة اضلاله فكانوا مهتدين مرضيا عنهم فكلام المولف في هذه الجملة باطن محض لا مدخل للظاهر فيه بوجه فاولها حمد وآخرها انعام فكان اولها حمد على انعامه اخرها والحمد هنا شهود اسمائى ولفظ الرحمان الرحيم ملك يوم الدين شهود صفاتي وقد علمت ان تجلي الصفات ارفع من تجليات الاسماء فكان بمضمونه يدل على ان من ذكره بتجلي اسمائه رفعه الى تجلي صفاته هذه بداية الامر وخاتمته وهو قوله صراط الذين انعمت عليهم الى آخره يدل على انه حصل لهم الانعام بهدايتهم الى الصراط المستقيم الماخوذ من قوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة

الا

الاّ تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن اولياوكم في الحيٰوة الدنيا وفي الآخرة الآية وخصص ما عمه لفظ الصراط بقوله صراط الذين انعمت عليهم اي بهداية قلوبهم اليك ودلالتهم بك عليك فوصلوك محفوظين من الغضب عليهم بالصد والادبار عنهم والطرد مهتدين في سيرهم بقلوبهم واسرارهم لم يضلوا بالوقوف مع الاغيار ولم تشغلهم عن مشاهدة جمالك انوار ولا اسرار فكانوا في نعيم النظر اليك والتمتع بالحضور لديك فاول الفاتحة منوط بآخرها وآخرها كالسبب في اولها وما بينهما مسافة معنوية وهي العبادة المجازى عليها بالاعانة التي هي خلق القدرة على الطاعة بمعنى التوفيق * الذي هو خلق القدرة على الطاعة والحيلولة بينه وبين مواقعة المعصية المودي الى الهداية الى اقوم طريق * الذي هو سبب في النعيم المقيم بنظر وجهه الكريم فافهم واعلم ان بين الآية التي تقدم ذكرها وبين الفاتحة مناسبة تامة فانظرها بعين بصيرتك تجدها وهذا ما يسر الله والهمنا اياه ذكرناه هنا وقد كان بالقلب معان لم نومر بابدائها ولو ذكرت اخرجت الى الطول ويلوح الى ما قدمه المولف من معنى آخر قوله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه قسمت الصلاة بيني وبين عبدي ولعبدي ما سال الحديث والله اعلم ثم قال رضي الله عنه

(اذكره كما كان معك يذكرك كما كنت معه لان منزلتك عنده بمنزلته عندك ينزلك منه حيث انزلته منك لانه ينزل العبد حيث انزله من نفسه فانظر منزلتك منه) يشير بهذا والله اعلم الى قوله صلى الله عليه وسلم من اراد ان يعرف منزلته عند الله فلينظر منزلة الله عنده فان الله ينزل العبد منه حيث انزله العبد من نفسه او كما قال لان الرب جل جلاله مطلع على اسرار عباده خبير بها عليم بخفيات ما اكنته ضمائرهم من تقديسه وتعظيمه وتمجيده رقيب باحوالهم واعمالهم وهو معهم بما كانوا معه فما حل في قلوبهم من الاوصاف الحميدة له تعلى منحهم بمثلها فما تعرف له وصفا وتثبته له الّا وحلاك به فمشاهد اوصاف الكمال تشرق عليه انوارها ويكشف له عن مغيبات اسرارها ومعتقد اضدادها تضرب عليه استارها ويحرم المواهب الالهية وانوارها ومن عرف ان الله قريب

منه قربه اليه وادناه منه جزاءً وفاقا فكما كنت معه يكون معك وحيث تنزله في سرك يكون حالك معه في قربك قال صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ان خيرا فخير وان شرا فشر او كما قال وقال تعلى وذالكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم فلو ظنوا به خيرا لخاصهم بحسن ظنهم به من الردى فالقرب والاعظام والاجلال والهيبة والاكرام والافضال تفيد تحقيق كمالها لمعتقدها وضده لمعتقد ضدها هذا وانه لا اثر لمجرد الاعتقاد بل لثمرته وهو الوقوف على جادة السبيل ومراقبة الجليل في المقام والرحيل فاله اعتقدت قربه منك انت بذلك جدير ان اطعته فيما امرك واستحييت منه ان يراك فيما عنه نهاك وحذرك وهكذا قال ابن عطاء الله ان اردت تعرف قدرك عنده فانظر فيما ذا يقيمك قال الفضيل بن عياض رضي الله عنه انما يطيع العبد ربه على قدر منزلته منه وقال ابو طالب فاذا كان العبد لنظر مولاه مكرما ولحرماته معظما والى محبوبه ومرضاته مسارعا كان الله عز وجل في آخرته لوجهه ناظرا مكرما ولشانه معظما والى مسرته من النعيم المقيم مسارعا والعكس بالعكس قال وهب ابن منبه قرات في بعض الكتب المنزلة يابن آدم اطعني فيما امرتك ولا تعلمني بما يصلحك اني عالم بخلقي اكرم من اكرمني واهين من هان عليه امري ولست بناظر في حق عبدي حتى ينظر عبدي في حقي اه فقد بان لك بهذا معنى كلامه رضي الله عنه وان كان كلام ابن عطاء الله بالعكس من كلامه فالمرجع واحد كما علمت ثم قال رضي الله عنه (معرفته بالمعارف

توصيل ومعرفة المعارف به تحصيل فاعرفه بلا عرفان يعرفك بلا

وجدان فان معرفته هي التي اوجدت لنا المعارف ولولا ظهور معرفته ما

ظهرت المعارف ووجود الحق في المعارف معرفة فلا تنظر الى المعرفة دون

المعرف فان المعرفة تدل على الموصوف والمعرف به عرفت المعارف)

المعرفة عند العلماء هي العلم فكل معرفة علم وكل علم معرفة فكل عالم عارف وكل عارف عالم وعند هؤلاء القوم المعرفة صفة من عرف الله تعلى

باسمائه وصفاته ثم صدق الله في معاملته ثم تنقى من اخلاقه الردية وآفاته الدنية ثم طال بالباب وقوفه ودام بالقلب اعتكافه فحظي من الله بجميل اقباله وصدق الله في جميع احواله وانقطع عنه هواجس نفسه ولم يصغ بقلبه الى خاطر يدعوه الى غيره فاذا صار من الخلق اجنبيا ومن آفات نفسه بريا ومن المساكنات والملاحظات نقيا ودام في السر مع الله في مناجاته وحق في كل لحظة رجوعه اليه وصار محدثا من قبل الحق بتعريف اسراره فيما يجريه من تصاريف اقداره يسمى عند ذلك عارفا وتسمى حالته معرفة فبقدر اجنبيته عن نفسه تكون معرفته بربه ومن اماراتها الهيبة من الله فمن قويت معرفته قويت هيبته قال صلى الله عليه وسلم انا اعرفكم بالله واخوفكم منه واعلم ان المعرفة هي دعامة الدين قال صلى الله عليه وسلم ان دعامة البيت اساسه ودعامة الدين المعرفة بالله واليقين والعقل القامع قالت عائشة رضي الله عنها بابي انت وامي ما العقل القامع قال الكف عن معاصي الله والحرص على طاعة الله والصبر على مقادير الله او كما قال وايضا ان المعرفة متفاوتة المراتب ولذلك كل يتكلم فيها على قدر ما حظي منها ويدل له حديث انا اعرفكم بالله سمع الشبلي يقول ليس لعارف علاقة ولا لمحب شكوى ولا لعبد دعوى ولا لخائف قرار ولا لاحد من الله فرار وقال ايضا بعد ان سئل عن المعرفة اولها الله وآخرها لا نهاية له قال ابو حفص منذ عرفت الله ما دخل قلبي حق ولا باطل ومحصل معناه ان رجوع العارف الى ربه يوجب له الغيبة عن غيره كما ان العاقل اذا اهمه امر رجع فيه الى قلبه وتفكره فيغيب فيه عن غيره فاذا كان راجعا ذهل عن غيره قال الانطاكي من كان بالله اعرف كان له اخوف وقيل من عرف الله صفا له العيش وطابت له الحياة وهابه كل شيء وذهب عنه خوف المخلوقين وانس بالله تعلى وقيل من عرف الله ذهب عنه رغبة الاشياء فكان بلا فصل ولا وصل وقيل ان المعرفة توجب الحياة والتعظيم كما ان التوحيد يوجب الرضى والتسليم وبهذا تعرف بيان كلام المولف في المعرفة وان تنوع ومراده هنا الكلام على

اصل المعرفة والمعرف والمعرف له كالاستدلال الآتي فاقول ذكر المولف هنا ان الباري جل جلاله جعل لعباده ادلة موصلة لهم الى وجود ذاته وكمال صفاته وتقدس اسمائه وجريان القدرة بواسطة افعاله لان الاثر دال على الموثر والصفة دالة على الموصوف والاسم دال على المسمى فكذلك هذا العالم دال على وجود صانعه فمعرفته بهذه المعارف التي عرف بها توصيل منه الى معرفته كما هو مشهد السالكين ونزه آخرين عن ان يعرفوا قبله شيئا يعرفونه به وتحصل لهم الدلالة منه عليه فلم يروا قبله موجودا او يشاهدوا دونه مشهودا بل راوه قبل مكوناته فعرفوا به افعاله واسماءه وجميل صفاته دلالة موثر على اثر كما هو مشهد المجذوبين وهذا معنى قوله ومعرفة المعارف به تحصيل اي تحصيل ما هو حاصل اذ الفائدة في معرفته هو خاصة ولا حاجة الى معرفة غيره فاعرفه معرفة من لا يرى معرفته لفنائه عن شهوده يعرفك بلا وجدان لنفسك بقاء بوجوده فكان لمن عرفه قبل المعارف الفوز بالتوحيد الكمالي والشهود الجمالي فاولئك عرفوه بالخلق وهولاء عرفوا الخلق بالحق فاولئك وصلوا الى معرفته بالترقي واما هولاء فبالتدلي فعرفوه به ثم به عرفت لهم المعارف فلولا تعريفه بنصب ادلة وجوده ومقتضيات ظهوره وشهوده ما ظهر موجود ولا عرف غائب ولا مشهود فكيف تتوصل لمعرفة معرفك بما نصبه من المعارف اليك فاعرفه باسقاط الوسائط تعرفه به ولا تعرفه بغيره ما استطعت اذ لا يحسن منك معرفته بمعارفه لانه هو الظاهر منها فلولا ظهوره منها واشراق شمس وجوده عليها ما ظهرت فضلا عن ان تعرفه هذا محصل كلامه ان شاء الله ومثله من حيث المعنى دون اللفظ ما اشار له بقوله

(شتان بين من يستدل به ومن يستدل بغيره فان الدال عليه هو المدلول به والمدلول به هو الدال عليه فاغتنم عيشا هنيئا مريئا لك ولا ترد عيشا بطرا جحته عليك العيش الهني يحمد مساغه والعيش البطر الاشر تذم عواقبه) فدل كلامه رضي الله عنه على ان شهود الفريقين متباين ومشربهما متغاير لبعد مقام من استدل بالصفة على موصوفها الذي هو

السبب في نصبها وبين من استدل بالموصوف على الصفة ابتداء اعطاء للاولية حقها وللآخرية حظها بخلاف من عكس وفي كلامه هنا وما تقدم ترجيح الجذب على السلوك كما صرح به ابن عطاء الله والذي تلقيته منه رضي الله عنه ترجيح السلوك على الجذب قائلا لتحقيق السالك وتدقيقه في حال سيره لانه ينزلها اي المقامات مقاما مقاما ويذوقها حالا حالا حتى يتقوى على تحمل امانة شهود سر الالوهية المعنية بقوله تعالى من حيث الاشارة انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال الآية اذ الامانة هي سر الالوهية كما قال ما وسعني ارضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المومن نعم والجامع بين ما له هنا ولابن عطاء الله وبين ما تلقيته منه من ارجحية السلوك على الجذب هو ان الخلاف في حال الابتداء والانتهاء فاما في الابتداء فيتفقان على افضلية الجذب لعلو همة موصوفه واما في الانتهاء للسالك ترقيا وللمجذوب تدليا فيختلفان فالذي عليه الاستاذ المولف امكنية السلوك بخلاف الجذب غير ان الجذب ايسر لتدلي صاحبه على ضياء نور المشاهدة والسالك مترق بنور المجاهدة الى المشاهدة ولما تقدم له الرزق الروحاني غير مصرح به قال فاغتنم الى آخره اي فبادر في سعيك الى اغتنام عيش روحاني سائغ مذاقه مجردة عواقبه واخلاقه تعرف به اوصاف نفسك فتخرج عنها مفارقا ابناء جنسك فتلزمها خوى الفاقة والاضطرار وتسكنها خيام الذلة والافتقار فان عمدت الى ضد ما مر واوردت نفسك من الرزق النفساني ما ضر فلبست من ذلك ثياب الاعجاب وارتفعت في ربوة الاستكبار على الاصحاب كان ذلك حجة عليك وخليقة تجر الوبال اليك فاللائق خروجك عما يغطي شمس وجودك ويحول بينك وبين مطلوبك فتحوز الراحة الابدية وتفوز بالسعادة السرمدية ثم قال رضي الله عنه (لا تجعل مراقبتك اهتماما فيما ضمن لك ولتكن مراقبتك اهتماما بما طلب منك) المراقبة سياتي ذكرها ان شاء الله عند قوله خير المراقبة الخ وكانه يقول تشوف الانسان الى ما ضمن له وتكفل له به وانتظاره اليه واعمال نظره فيه

اتهام لمولاه جل جلاله وعدم وثوق به كيف لا وهو يقول وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وقوله وما من دابة في الارض الّا على الله رزقها وقوله صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقتم كما ترزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وقولهم الشك في الرزق كالشك في الرازق ففي بعض الكتب المنزلة عبدي اطعني فيما امرتك ولا تعلمني بما يصلحك انما اكرم من اكرمني واهين من هان عليه امري ولست بناظر في حق عبدي حتى ينظر عبدي في حقي وقوله صلى الله عليه وسلم فرغ ربك من اربع الخلق والخلق والاجل والرزق اوكما قال والعاقل لا يصرف همته الى ما هو مفروغ من تقديره وليس في وسعه عكس امر بجده ولا تقصيره بل العاقل من يتوجه بقلبه وقالبه الى ربه بتوفية حقوقه ومطالبه لانه خلق لعبادته طول حياته ولا تخلع ربقة التكاليف من عنقه الى مماته قال تعلى وان ليس للانسان الّا ما سعى وقال وما خلقت الجن والانس الّا ليعبدوني ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعموني ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين وتتناول الآي والاحاديث من حيث المعنى رزق الارواح والاشباح لان الحق تعلى تكفل لعبيده بجميع ما يصلحهم وامرهم بتوفية الحقوق التي بها كلفهم كما قال ولست بناظر في حق عبدي حتى ينظر عبدي في حقي وتطلع الانسان وتشوفه في اعماله الى ما يعود عليه نفعه منه او يدفع به ضره عنه ارتقاب مجازاة على ما تقرب به من انواع الطاعات وفنون العبادات وذلك قادح في عبوديته ابن عطاء الله اجتهادك فيما ضمن لك وتقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس البصيرة منك وفي الخبر عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ما بال اقوام يشرفون المترفهين ويستخفون بالعابدين يعملون بالقرآن ما وافق اهواءهم وما خالف اهواءهم تركوه فعند ذلك يومنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض يسعون فيما يدرك بغير سعي من القدر المقدور والاجل المكتوب والرزق المقسوم ولا يسعون فيما لا يدرك الّا بالسعي من الجزاء الموفور والسعي المشكور والتجارة التي لا تبور وقال ابراهيم الخواص العلم كله في كلمتين لا تتكلف

ما كفيت

ما كفيت ولا تضيع ما كلفت قال في التنوير في قوله تعالى وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسالك رزقا نحن نرزقك اي قم بخدمتنا ونحن نقوم لك بقسمتنا وهما شيآن شي ضمنه الله لك فلا تتهمه فيه وشي طلبه منك فلا تهمله وقال بعض ان الله ضمن لنا الدنيا وطلب منا الآخرة فليته ضمن لنا الآخرة وطلب منا الدنيا قاله ابن عباد ثم قال

رضي الله عنه (خير المراقبة محاسبة الانفاس وخير المشاهدة ما خفي

عن الوسواس المراقبة وصلة للزهادة والزهادة وصلة للمشاهدة والمشاهدة

وصلة للمقاربة ان راقبت ربك عرفك به وان عرفته زهدت فيما سواه

اشهدك قربه فكنت به واليه) اشتمل كلامه رضي الله عنه هنا على المراقبة والمحاسبة والزهادة والمشاهدة والمقاربة ونذكر ما قيل في كل فالمراقبة هي علم العبد باطلاع الرب سبحانه عليه واستدامته لهذا العلم بمراقبته لربه وهذا اصل كل خير ولا يكاد يصل الى هذه الرتبة إلّا بعد فراغه من المحاسبة فاذا حاسب نفسه على ما اسلف واصلح احواله في الوقت ولازم طريق الحق واحسن بينه وبين الله مراعاة القلب وحفظ مع الله الانفاس راقب الله في عموم احواله فيعلم انه سبحانه عليه رقيب ومن قلبه قريب يعلم احواله ويرى افعاله ويسمع اقواله ومن تغافل عن هذه الجملة فهو بمعزل عن بداية الوصلة فكيف عن حقائق القربة وهي ماخوذة من قوله تعالى وكان الله على كل شيء رقيبا ومن قوله صلى الله عليه وسلم في آخر الحديث الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال الجريري من لم يحكم بينه وبين الله التقوى والمراقبة لم يصل الى الكشف والمشاهدة كان لبعض الامراء وزير وكان بين يديه يوما فالتفت الى بعض الغلمان الذين كانوا وقوفا لا لريبة ولكن لحركة اوصوت احس منهم فاتفق ان ذلك الامير نظر الى هذا الوزير في تلك الحالة فخاف الوزير ان يتوهم الامير انه نظرهم لريبة فجعل ينظر اليه كذلك فبعد ذلك اليوم كان هذا الوزير يدخل على الامير وهو ابدا ينظر الى جانب حتى توهم الامير ان ذلك خلقة او

حول فيه فهذه مراقبة مخلوق لمخلوق فكيف بمراقبة العبد لسيده وقال بعضهم من راقب الله في خواطره عصمه الله في جوارحه سئل ابن هند متى يهش الراعي غنمه بعصا الرعاية عن مراتع الهلكة فقال اذا علم ان عليه رقيبا وكان بعض المشايخ له تلامذة فكان يخص واحدا منهم باقباله عليه اكثر مما يقبل على غيره فقالوا له في ذلك فقال انا ابين لكم فرفع الى كل واحد من تلاميذه طائرا وقال له اذبحه حيث لا يراك احد ودفع الى هذا ايضا طائرا وقال له اذبحه حيث لا يراك احد فمضوا ورجع كل واحد منهم وقد ذبح طائره وجاء هذا بالطائر حيا فقال له هلا ذبحته فقال له اين اذبحه امرتني ان اذبحه حيث لا يراني احد ولم اجد موضعا لا يراني احد فيه فقال لهذا اخصه باقبالي عليه اه وفيه دخلت المحاسبة كما علمت واما الزهادة فمن الزهد وهو افضل ما اوتيه المرء قال صلى الله عليه وسلم اذا رايتم الرجل قد اوتي زهدا في الدنيا ومنطقا فاقتربوا منه فانه يلقي الحكمة وقد اختلفت آراوهم فيه فمنهم من قال الزهد في الحلال ومنهم من قال في الحرام لان الحلال مباح من قبل الله تعلى ومنهم من قال واجب في الحرام فضيلة في الحلال فان اقلال المال والعبد صابر في حاله راض بما قسم الله له قانع بما يعطيه اتم من توسعه وبسطه في الدنيا فان الله تعلى زهد الخلق فيها فقال قل متاع الدنيا قليل ومثله من الآي في هذا المعنى كثير ومنهم من قال ينبغي للعبد ان لا يختار ترك الحلال بتكلفه ولا يطلب الفضول مما لا يحتاج اليه ويراعي القسمة فان رزقه الله تعلى مالا من حلال شكره وان اوقفه على حد الكفاف لم يتكلف في طلب ما هو فضول المال فالصبر احسن بصاحب الفقر والشكر اليق بصاحب المال وكلامهم في معناه على قدر احوالهم قال ابو عثمان الزهد في الدنيا ان تتركها ثم لا تبالي بمن اخذها وقيل الزهد سلو القلب عن الاسباب ونفض الايدي من الاملاك وقيل الزهد عزوب النفس عن الدنيا بلا تكلف وقال الحسن البصري الزهد في الدنيا ان تبغضها وتبغض ما فيها وسئل بعضهم ما الزهد في الدنيا فقال ترك ما فيها على من فيها قال بعضهم ان الله يعطى الزاهد

فوق

فوق ما يريد ويعطي الراغب دون ما يريد قيل ان من تكلم في الزهد ووعظ الناس ثم رغب في اموالهم رفع الله حب الآخرة من قلبه وقيل اذا زهد العبد في الدنيا وكل الله به ملكا يغرس الحكمة في قلبه فقيل لبعضهم زهدت في الدنيا فقال لزهدها في اه واما المشاهدة فهي وجود الحق من غير بقاء تهمة واذا اصحت سماء السر عن غيوم الستر فشمس الشهود مشرقة عن برج الشرف النوري ولا يصح للعبد المشاهدة وقد بقي له عرق قائم قالوا اذا طلع الصباح استغني عن المصباح وهي ارفع من المحاضرة والمكاشفة قال الجنيد المشاهدة هي وجود الحق مع فقدانك وصاحب المحاضرة مربوط بآياته وصاحب المكاشفة مبسوط بصفاته وصاحب المشاهدة ملقى بذاته صاحب المحاضرة يهديه عقله وصاحب المكاشفة يدنيه علمه وصاحب المشاهدة تمحوه معرفته واما المقاربة من القرب وهو مراتب اوله القرب في طاعته والاتصاف في دوام الاوقات بعبادته والبعد عكسه وهو التدنس بمخالفته والتجافي عن طاعته وهو مراتب ايضا بعد عن التوفيق ثم عن التحقيق بل هو عين الاول واما القرب فقال عليه الصلاة والسلام مخبرا عن الحق سبحانه ما تقرب الي المتقربون بمثل اداء ما افترضت عليهم ولا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى يحبني واحبه فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا فبي يسمع وبي يبصر الخبر فقرب العبد اولا قرب بايمانه وتصديقه ثم باحسانه وتحقيقه وقرب الحق سبحانه من العبد ما يخصه اليوم به من العرفان وفي الآخرة ما يكرمه به من الشهود والعيان وفيما بين ذلك من وجوه اللطف والامتنان ولا يكون قرب العبد من الحق الا ببعده عن الخلق فهذا من صفات القلوب دون احكام الظواهر والكون وقرب الحق سبحانه بالعلم والقدرة عام للكافة وباللطف والنصرة خاص بالمومنين ثم بخصائص التانيس مختص بالاولياء قال الله تعلى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وقال ونحن اقرب اليه منكم الى غير ذلك من الآيات وقد تقدم ما فيه ومن تحقق بقرب الحق فديدنه دوام مراقبته اياه لان عليه رقيب التقوى ثم عليه رقيب الحفظ والوفاة ثم رقيب الحياة وانشدوا

كان رقيبا منك يرعى خواطري　وآخر يرعى ناظري ولساني
فما رمقت عيناي بعدك منظرا　يسوءك الّا قلت قد رمقاني
ولا بدرت من في دونك لفظة　لغيرك الّا عرجا بعناني
ولا خطرت في السر بعدك خطرة　لغيرك الّا قلت قد سمعاني
واخوان صدق قد سمعت حديثهم　فامسكت عنهم ناظري ولساني
وما الزهد اسلى عنهم غير انني　وجدتك مشهودي بكل مكان

انتهى ملخصا من القشيري رضي الله عنه اذا عرفت هذا بان لك ان المولف ذكر مطلوبية الاهتمام بالامر المطلوب والاحتفاظ على الامر المرغوب اولا ثم ذكر هنا ان خير المراقبة محاسبة الانفاس بان يكون الانسان بوابا على قلبه محاسبا لنفسه على انفاسها فيما دخلت وفيما خرجت فما كان من خير حمد الله عليه وشكره وما كان من شر لجا الى الله واستغفره لانه مسئول عن خزائن انفاسه فيما انفقها وهل هي الّا ودائع استودعها لا يوديها الّا في مرضاة مالكها قال تعلى ايحسب الانسان ان يترك سدى اي مهملا وقال ابن عطاء الله ما من نفس تبديه الّا وله فيك قدر يمضيه واعلم يا حبيبي انك ان حاسبت نفسك في انفاسها وخطراتها ولحظاتها حزت مقام المراقبة فتكون ثالث حافظيك الكرام الكاتبين رقيبا عليهم مكينا لديهم وبذلك تشرف على مقام المشاهدة التي هي بفضل الله نتيجة المجاهدة والمشاهدة مراتب اعلاها وخيرها ما كان سريا خفيا عن الوسواس المسلط على صدور عامة الناس لان شهودك احساني ووارتك رحماني ومقامك عرفاني صرت من عبيده الاحرار الخاص من شوائب الاغيار قال تعلى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان اي ليس لك على قلوبهم تسلط بالهواجس النفسانية والنزغات الشيطانية لا تقاوم المشاهدات الرحمانية والمنازلات الربانية

امع الشمس للنجوم تجل　امع الصبح للظلام بقاء

اي ليس مع شعاع شمس الوجود بقاء اظلام العدم من شهود قال تعلى فاذا جاء الحق زهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فالمراقبة وصلة ووسيلة للزهادة فيما سواه والخروج عما عداه والزهادة وصلة ووسيلة المشاهدة

والمشاهدة وسيلة للمقاربة اي لاعلاها اذ هي مراتب كما مر وذلك امر صحيح مجرب بميزان التدريج صريح لا يخفى إلّا على غير اهله ممن ينكر وجود الشي من اصله لان المراقبة تفيد معرفة الاوصاف الخلقية والحقية فاذا امتاز له الامر واتضح له الفجر اشتاق الى مشاهدة شمس علاه وهي تبعثه على مزيد القرب والتداني وفي ذلك نتيجة الفوز بالاماني هذا ما يدل له معنى قوله ان راقبت ربك عرفك فاذا عرفك به وعرفته زهدت قطعا فيما سواه فاذا زهدت في السوى كشف عن وجود قربه منك فتقربت به اليه كما تقدم في معنى القرب فالمراقبة له تفيد المعرفة بجميل صفاته وهي تفيد تمام الزهد في جميع مكوناته وهو اي الزهد يشهد القرب ويزيح الشوب فتكون والحالة هذه به واليه به ابتداء واليه انتهاء به فناء واليه به بقاء شهودا واليه وجودا به قيومية واليه به ديمومية كما بداكم تعودون كما بدانا اول خلق نعيده ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة فافهم ثم قال رضي الله عنه

(كيف تدبر معه وانت مدبر فالذي دبرك يدبر لك كيف تختار معه وانت مختار فالذي اختارك يختار لك التدبير والاختيار جندان عظيمان من جنود الله ان خرجت عنهما صرت حرا لله وملكتهما وإلّا فانت عبد لهما)

قد عرفت ان الله جل جلاله تكفل بامور جميع مخلوقاته ودبر مصالح كل مكوناته واختار ما اراد وجوده على وفق مراده وفرغ التدبير ونفذ امره وقضاءه بالتقدير فما الفائدة اذا في تدبير ما لست ليه فاعلا ولا اختيار ما لست له جاعلا سبق تدبيره ومضى تقديره له الاختيار المطلق في جميع ما قضى فلا يسعك ايها المسكين إلّا السكون تحت قهر سلطانه والرضى كيف تدبر مع مولاك الذي دبر احوالك واتم صنعك ونوالك فالذي دبرك بالايجاد يدبر لك بالامداد كيف تختار ما ليس في وسعك تخصيصه بالارادة وما لك في وقوعه من افادة فالذي اختارك بالايجاد على وفق ما اراد يختار لك بالامداد فما لك ولتحصيله باجتهاد جعل الله جندي التدبير والاختيار عظيمي المحنة والاختبار ان خرجت عن فتنتهما بالاعراض وارحت نفسك من اتباع

الاهوية الباطلة والاغراض فزت بالراحة الابدية والسعادة السرمدية وتحررت من رق اغيارها ونجوت من همومها واشرارها وان امعنت نظرك في تلاطم امواجها غرقت في بحر اجاجها كن عبدا لمولاك واخرج من سجن تدبيرك واختيارك واتباع هواك فسكونك لسواه عبودية له وهو لا يرضى ان تكون لغيره عبدا ما احببت شيئا إلّا كنت له عبدا ولا يرضى لك إلّا الحرية من رق الاغيار ان جلست على كرسي سلطان الوثوق اخذت بعنان كل مخلوق فافهم سبقت مشيئته وتم امره ونفذ حكمه فما للعبيد والتعب وما لمساكين الدنيا والنصب وما هو إلّا فضول * والى تضييع نفائس العمر في فلاة البطالة يئول * قال ابن عطاء الله ارح نفسك من التدبير فما قام به غيرك عنك لا تقم به لنفسك وقال سهل بن عبد الله ذروا التدبير والاختيار فانهما يكدران على الناس عيشهم وقال ابو الحسن الشاذلي ان كان ولا بد من التدبير فدبروا ان لا تدبروا اي التدبير هو اسقاط التدبير فدبر ان لا تدبر واختر ان لا تختر وهو عدم الاختيار بالتسليم في سلاسل الاقدار في يد الله الواحد القهار ثم قال رضي الله عنه (حركاتك في الانفاس رواحل وانفاسك في الحركات مراحل ان تحركت سافرت وان تنفست نزلت فاختر لنفسك اي سفر تريد) هذه استعارة تضمنت ان حركات الانسان في شئونه واعماله وتقلباته في كل احواله رواحل يطوي عليها مسافة العمر * ويعثر في قطع مفاوزها على الخير والشر * وان انفاسه وتنفساته مراحل * تسير به حتى ترسي سفينة عمره بالساحل * فالتحرك بالاعمال سفر والتنفس نزول فليختر الانسان لنفسه سفر النجح والسلامه * بحيث لا تعود عليه في ايام عمره ملامه * فالانسان مسافر في قنطرة الدنيا الى الآخره مفاوزه اوقاته * ورواحله التي يركب عليها انفاسه وخطراته * فان قطعها في خير اصاب * وان قطعها في شر ندم وخاب * والله ولي التوفيق ومرجع هذا الى ما تقدم له في المراقبة اذ هي التي تبعث القلب على رعاية ما هو في رعايته ومن جملتها الانفاس والحركات بل مدار الامر عليها لانها لا تخلو حركاته من طاعة فيحمد او معصية فيذم وانفاسه

كذلك لا يخلو صعودها ونزولها لم وبم والمحاسبة اقرب لهذا من المراقبة لانك ان حاسبت نفسك على حركاتها وسكناتها وخطراتها ولحظاتها انبعثت الى المراقبة والحمد لله ثم قال رضي الله عنه (اختيارك في الوجود منع لعطاء المفقود وتدبيرك في المقسوم لحسن ظنك بالمعدوم ونعم التدبير ما دبر لك وبئس التدبير ما دبرته انت فتدبيره لك سابق لتدبيرك ولا تجعل لاخير اولا فتضع الشيء في غير محله فان من المعلوم ان لاخير لا يسبق لاول وان خير الاختيار ما اختاره المختار فاختر لنفسك عدم الاختيار فاختيار الحق اصل واختيار الخلق فرع ان صح الاصل حسن الفرع والا فالعكس) يقول اذا عرفت ان اختيار الحق وتدبيره سابقان لوجودك ولا يقعان الا على وفق مراده لا على وفق مرادك فاي فائدة لك في تدبيرك واختيارك اللاحقين بل ربما كان اختيارك لما يحصل في الوجود منعا لعطاء ما هو مفقود وتدبيرك فيما هو محتم مقدر مقسوم دليل حسن ظنك بالشيء المعدوم وما سوى الله عدم فلا يثبت للعاقل عليه قدم ونعم التدبير ما دبره المدبر وقدره المقدر لانه من حكيم خبير وبئس التدبير تدبيرك انت بعجزك وعدم علمك فما كان من التدبير والاختيار اسبق كان اولى واحق كيف وقد علمت سبقية تدبيره واختياره على تدبيرك واختيارك فان دبرت واخترت فقد وضعت الاشياء في غير محالها وارتكبت تاسيس الامور على غير منوالها فهيهات ان يقدم المؤخر ويؤخر المقدم فما جف به القلم لزم وقوعه وتحتم وخير الاختيار ما اختاره الفاعل القادر المريد المختار فاختر الراحة لنفسك وما هي الا في عدم التدبير والاختيار وان كان ولابد لك من مجاز تدبيرك فادخل اختيار الحق الاصلي على اختيارك الفرعي ليصح لك مجاله ويتم فرعه ويحصل كماله فاختيار الحق اصل واختيار الخلق فرع ان صحت الاصل بالاستسلام والانقياد وعرفت انه لا يقع الا ما اختاره واراد صح فرع اختيارك بالاضافة وليس عليك فيه من باس ولا مخافة لما فيه من التبري من الحول والقوة وهو عين العبودية

العصمة وان اعتمدت على اختيارك وراعيت ما هو في اقتدارك صار ذلك قادحا في عبوديتك ومخمدا لنور بصيرتك لما عرفت انه لا يصح الفرع بدون اصله فافهم والله اعلم ثم قال رضى الله عنه (وجودك في اختيار الحق عدم ووجود اختيار الحق فيك وجود ان اخترت وجودك فى وجود اختيار الحق صممت عن فهم الحقائق وان اخترت وجود الحق فى وجودك ابصرت عين الدقائق لان وجود الحق فيك هو الذي اظهرك لك ولولا هو ما كنت انت فهوية الحق هي التي اظهرت لك انيتك والّا فلا انت ولا انيتك) وجودك فى قهرية اختيار الحق عدم ووجود سلطان اختيار الحق فى عدمك وجود فان اثبت لك وجودا فى وجود اختياره وادعيت اختيارا فى عظيم اقتداره صممت عن فهم الحقائق الربانية وجهلت سر العلوم العرفانية اذ لا اجتماع بين العدم والوجود فوجودك من اصله عدم ووجود الحق هو الوجود فلا ثبوت لعدمك مع وجوده وان اخترت وجود الحق فى وجودك واثبت وجود الحق فى شهودك ابصرت بنور بصيرتك دقائق الحكم ورسخ منك على بساط التمكين القدم لان نور وجود الحق فى ظلمة عدمك هو الذي اظهر لك وجودك حتى كنت في الوجود ويصدق عليك اسم شاهد ومشهود ولولا نور وجوده ما كنت ابدا وما لك من عدم ولا وجود فهوية الحق السارية فى باطن انيتك هي التي اظهرت لك انيتك ولولا سريان نور هويته فى انيتك ما ظهرت انت فى الوجود وما لانيتك فى هذا العالم من شهود والمراد بالهوية هو اي ضمير الغيبة المكنى به عما هو غائب عنك وهو راجع الى الحق والمراد بالانية هو انت اي ضمير الخطاب المكنى به عما هو حاضر معك ومخاطب لك وهو هنا راجع لك ايها المخاطب فهوية الحق السارية فى عوالم الخلق هي التي اظهرتهم لهم وكشفت بنورها ظلمة عدمهم فافهم ثم قال رضى الله عنه (فلا تغتر بظهور الحق فيك فالذي اظهر الحق فيك هو الذي اغناك عن نظر ظهور الحق لك والحق الظاهر لك هو الباطن فيك) شهودك اضمحلال وجودك فى وجود

الحق باظهاره وظهور هويته الحق بنور وجوده فى ظلمة عدمك باقتداره فاياك اذا والاغترار بالوقوف مع مجرد شهود الظهور فتكون ممن قال فيه صلى الله عليه وسلم تعس عبد الظهور فانه اي الحق هو الذي اظهر نفسه بنفسه واشهدك انت ظهوره فالحق هو الذي انار ظلمة عدمك بنور وجوده وهذا يغنيك عن نظر شهودك الذي لا مدخل له فى شئ فاكتف به وغب فى شهوده وابق بوجوده فانيا عن شهودك خارجا عن وجودك لان الحق الظاهر لك بنور وجوده هو الباطن فيك بسريان هويته فى كامن شهوده وهذه الجمل متقاربة وفيما ذكرناه كفاية ثم قال

رضى الله عنه (**لا تنظر لظهور اولية الحق فى الخلق** فانها لا آخرية لها فليس لها اولية **هو الاول والآخر والظاهر والباطن اولية الحق** باطنة فى اخريته واخريته باطنة فى اوليته **فالظاهر من الخلق هو الحق والباطن** من الحق هو الخلق سبحان من اظهر الحق فى الخلق والخلق فى الحق ولولا الحق ما كان الخلق ولولا الخلق ما ظهر الحق فنور اولية الحق اغنى عن انتهاء غاية الخلق وغاية الخلق مدارك الحق ومدارك الحق لم تدرك فما بالك بالاول والآخر والظاهر والباطن فظاهر الخلق باطن الحق وباطن الحق ظاهر الخلق فالظاهر من الخلق هو الاول والباطن فى الخلق هو الآخر لا اولية له حتى يظهر فى اخريته ولا اخرية له حتى يظهر فى اوليته سبحان من ظهر لنا برموز حقائقه واستتر عنا بدقائق حكمه) **عادة المؤلف رضى الله عنه** انه اذا تكلم فى اسرار تجليات الافعال والاسماء والصفات والذات يطيل فيها الكلام تلذذا بما انعم الله به عليه من جزيل الانعام وما واجهه به من شموس المعارف الربانية وافاض عليه من العلوم اللدنية والالهام وقد اشبع الكلام هنا غاية الاشباع وكشف عن وجهه النقاب والقناع جزاه الله باحسانه وافاض علينا من مواهب علوم عرفانه وها اني احاذي بعض ما قدرت عليه والهمت ببركاته الاهتداء اليه فاقول تضمن كلامه رضى الله عنه ان من واجهه

الحق جل جلاله وتقدس عزه وكماله بتجليات اسمائه الاول والآخر والظاهر والباطن فليحسن الادب في تلقيهما ليتم له المرام من ترقيهما اي ان اولية ازلية الحق لا آخرية تودي الى انقضائهما وحيث لا آخرية تنتهي اليهما غايتهما فليس لتلك الآخرية اولية وليس لتلك الاولية آخرية هو الاول في آخريته والآخر في اوليته الظاهر في باطنيته الظاهر الباطن في ظاهريته فالظاهر بنور وجوده من الخلق هو الحق والباطن بسر شهوده من الحق هو الخلق فسبحان من انعم على خاصة عبيده بشهود نور وجود الحق في ظلمة عدم الخلق وتكرم عليهم بمعاينة الخلق في الحق فلولا ظهوره بعظيم صفاته ما ظهر على ظاهر الوجود شيء من مخلوقاته ولولا ايجاد مكوناته ما ظهر الحق بنور تجلياته يشهد لهذا قوله صلى الله عليه وسلم حاكيا من ربه عز وجل كنت كنزا لم اعرف فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف فبي عرفوني او كما قال فقبل ايجاد المخلوقات كان الله ولا شيء معه في الوجود فيعترف له بوجوده او يقر بتوحيده فنصب الاكوان مظهرا تشرق عليه شمس الوجود ويظهر فيه شاهد ومشهود فاوجد الخلق بعظيم قدرته وسلطانه وافاض عليهم من نور علمه وعرفانه فعرفوه بتعريفه فلولا وجوده هو ما كان موجودا ولولا ايجاده ما كان مشهودا فلولا ظهور الحق ما ظهر الخلق ولولا وجودهم ما ظهر حق ومع هذا فانه دلهم به عليه لانهم شاهدوه به وعرفوه بتعريفه فالموثر اوجد الاثر والاثر دل على وجود الموثر اذ لا يوجد اثر بغير موثر ولا يظهر موثر بدون اثر فان شاهدت نور اولية الحق في الخلق اغناك عن ادراك انتهاء غاية الخلق لان غاية وجود الخلق جعلت مدارك للحق ومدارك الحق لا تدرك لانهما لا نهاية لها والمدارك متعلقات اسمائه المذكورة من الاولية والآخرية والظاهرية والباطنية وهذه كما علمت اقتضت بمدلولها الاولية التي لا مبدا لها والآخرية التي لا انقضاء لها والظاهرية التي لا بطون لها والباطنية التي لا ظهور لها هو الاول قبل كل شيء والآخر بعد كل شيء الظاهر من كل شيء الباطن في كل شيء والمخلوقات التي جعلت مظهرا لا نهاية لها فافعاله التي لم تزل تاثيراتها لا تزال في هذه الدار وبعد

هذه الدار كما في نعيم الجنة وعذاب النار فهل من نهاية لهما فمدركهما
لا نهاية له والاولية كذلك لا بداية لها فتكون انتهاء لتلك الاولية
فهي مظروفة في آخريته والظاهرية والباطنية تعلق كل منهما بما
يقتضيه من الملكية والملكوتية ظهورا لا انقضاء له وبطونا لا انتهاء له
لقدم اسمائه وصفاته وبقائها فكذلك تجلياته قديمة باقية لا نهاية
لآخريتها ولا بداية لاوليتها واذا عجزت عن ادراك مداركت الحق
فاسماؤه التي هي الاول والآخر والظاهر والباطن اولى بالعجز نعم فاذا
نظرت بنور بصيرتك وجدت قوله هو الاول والآخر والظاهر والباطن
راجعة لبعضها بعضا كانه يقول هو الاول الآخر الظاهر الباطن فهي راجعة
الى شي واحد فحيث وجدت تجليات الاولية ظهر في عالمها الثلاثة
الاسماء معها وكذلك الباقي فافهم فظاهر الخلق هو باطن الحق وباطن
الحق هو ظاهر الخلق كما مر فالظاهر المشاهد من الخلق هو الاول والباطن
منه هو الآخر فالظاهر شهود والباطن وجود ظاهريته تدلك على باطنيته
وباطنيته تدلك على ظاهريته واوليته توصلك لآخريته وآخريته توصلك
لاوليته فالاسماء متعددة والمسمى واحد وهي مشتبهة من حيث تداخلها
لانه لا تنافي بين اسماء الله وصفاته لاتحادها في باطن الحال ومرجعها
للاحد المتعال لا اولية له مكيفة حتى توجد له آخرية ولا آخرية له
كذلك حتى تدرك له اولية فسبحان من تنزه عن مماثلة مخلوقاته
وتعاظم في تعالي تجلياته وانعم علينا بفهم رموز اشارة حقائقه التي تضمنتها
اسماؤه وصفاته وافعاله فكان ظاهرا في عز كماله واستتر في باطنيته
محتجبا بدقيق حكمته فعجز الخلق من قهرية جلاله واعلم يا حبيبي
ان مراد المؤلف رضي الله عنه في الاولية والآخرية والظاهرية والباطنية
دقيق وغزله لا سيما في هذا المحل رقيق ليس كما يفهم على ظاهر التعبير
ولا ما يلوح من صريح التصوير ولولا اذنه لي في هذا ما حمت حوله
فالعذر مطلوب قبوله فهذه الاستطاعة على قدر البضاعة هذا وقد عرفت
ان الحق نور وما سواه ظلمة قال تعلى الله نور السموات والارض وقال في
اية اخرى مشيرا لما هنا من حيث المعنى قل انظروا ما ذا في السموات

ولم يقل انظروا السموات فالظاهرية والباطنية توخذ من هنا ويظهر لك قرب الفهم بمثال بحسب الحال وذلك الليل والنهار فالنهار مثال لوجود الحق والليل مثال لما هو مشاهد من الخلق فاذا نظرت بنور الوجود الى ضياء النهار وجدت الليل باطنا فيه ومضطلم تحت قهرية سلطانه واذا نظرت لظلمة الليل وجدت النهار باطنا فيه فلولا ضياء النهار ما وجد ليل ولولا ظلمة الليل ما تميز ضوء النهار فالنهار على كل حال ظاهر مظهر واولية الحق وآخريته مواجهتان بمقتضى الشهود والظهور عند كل اولية وآخرية فاوليته ازليته ممتدة بلا آخرية وكذلك آخريته ليست مبتداة باولية ولا مغياة بآخرية فالاولية والآخرية امور نسبية تدل بظاهرها على البداية والنهاية وعلى السبقية والتاخر من شئ لشئ ولا بداية هنا ولا نهاية من اصلهما فانتفى ما يتوهم من وجود الاولية والآخرية لغيره وان كانت فتكون مسبوقة بعدم او مختتمة به بخلافهما وصفا الحق فالغاية منفية راسا كان الله ولا شئ معه وهو الآن على ما هو عليه كان قال ابن عطاء الله لولا ظهوره في المكونات ما وقع عليها ابصار لو ظهرت صفاته اضمحلت مكوناته اظهر كل شئ بانه الباطن وطوى وجود كل شئ بانه الظاهر اه فالظاهر اقتضى بتجليه بطون كل شئ والباطن اقتضى ظهور كل شئ فلا ظاهر ولا باطن ولا اول ولا اخر الّا الحق تعالى ولا نهاية لاثر صفاته التي عبر عنها بالمدارك لان موثرها لا نهاية له فكذلك

آثاره فافهم والله اعلم ثم قال رضى الله عنه (العجب كل العجب لمن لم يخرق عوائد نفسه كيف يدعي الوصول الى معرفة ربه)

عوائد النفس مالوفاتها وما اعتادته من اتباع الشهوات والركون الى اللذات والحظوظ النفسانية والاهوية الباطلة الشيطانية فمن زعم الوصول الى الله والقرب منه والتنعم بحضرته والسكر بخمر اهل محبته من غير ان يخرق عوائد نفسه ويخرج عن مقتضى ما عليه اهل البطالة من ابناء جنسه فزعمه باطل وكذب في دعواه انه واصل فالعجب منه في دعواه وهو عبد مملوك في قيود نفسه وشيطانه وهواه فهيهات ان يكرم بالوصول بطال او ينال مراتب نالتها الرجال لا يعرف الله الّا من

عرف حقيقة نفسه وخرق عوائدها في معناه وحسه وفارق مراداتها وخرج عن حظوظها وشهواتها فحينئذ يحق له بفضل الله الاكرام * ويجلل بجلائل الالطاف والاعظام * فيكون ممن دخل حضرة الله على بابها * وقيد الشريعة والحقيقة باسبابها * صدق حاله ومقاله * وثبت شهوده ووصاله * وان كان مع نفسه ساكنا * وتحت اهويتها ومراداتها قاطنا * فما يبرق له من البوارق * مما هو للعادات خارق * يقطع بانه استدراجات شيطانيه * وامكار نفسانيه * فاللائق في حقه ان يخاف ويرغب من الله تعالى اللطف والصيانة عساه ان يمن عليه بابدال شره خيرا وظلمته نورا انه كريم على من صدق اللجا اليه جواد على من صدقت عبوديته لديه ابن عطاء الله كيف تخرق لك العوائد وانت لم تخرق من نفسك العوائد قال ابن عباد خرق العوائد بانكشاف عالم القدرة لا يكرم الحق به الّا من خرق عوائد نفسه وفني عن ارادة نفسه وحظوظها فمن لم يصل الى هذا المقام لا يطمع فيها وانما صورته صورة الكرامة فينبغي له ان يخاف عند ذلك من الاستدراج والمكر ولا يحب ذلك ولا يطلبه فان احبه وطلبه فهو دليل على بقائه مع ارادته وحظوظه وعاداته فكيف تخرق العوائد لمن هذه عادته على سبيل الكرامة وهل هذا الّا محال لا يستقيم قال الشاعر

تكون مريدا ثم فيك ارادة   اذا لم ترد شيئا فانت مريد

ثم قال رضي الله عنه (ويا عجبا من عبد يفتقر لمعدوم ويستغني عن

موجود لا تفتقر لمفتقر وتستغني عن غني فان الافتقار لمفتقر كعبادة وثن) الله موجود وما سواه في الحقيقة معدوم قال تعالى كل شيء هالك الّا وجهه وقال كل من عليها فان وقال صلى الله عليه وسلم اصدق كلمة قالتها الشعراء « الا كل شيء ما خلا الله باطل » فهلاك السوى فناؤه وبطلانه عند اهل الحقيقة والشهود وان كان بمقتضى ظاهره في عالم الوجود فاذا عرفت ان ما سواه معدوم فما لك والافتقار له والاعتماد عليه واللجا عند مس الحاجة اليه وحط رحال الاضطرار والفاقة لديه فالعجب منك كيف يقع منك الافتقار لمفتقر مضطر لا يقدر على شيء وتستغني عن غني

موجود قادر على كل شيء فاحتياجك الى غير مولاك وافتقارك له عبودية لذلك الغير والحق لا يرضى بعبوديتك لغيره قال ابن عطاء الله ما احببت شيئا الّا كنت له عبدا وهو لا يرضى ان تكون لغيره عبدا فالافتقار للغني اولى قال تعلى يايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد وقال الله الغني وانتم الفقراء فهو المعطي والمانع والضار والنافع فارفع همتك عن غيره وتوجه بقلبك لاكرامه وبره والالتفات الى غيره عند اربلب القلوب اشراك وما له في سلطان ملكه من اشتراك قال ابن عطاء الله ربما دلهم الادب على ترك الطلب فهذا طلب منهم لسيدهم حصل لهم الحياء وحملهم الادب على تركه فكيف لا يستحي من له ادنى معرفة ان يرفع حاجته الى مخلوق سواه قال ابن عطاء الله ربما استحيي العارف ان يرفع حاجته الى مولاه اكتفاء بمشيئته فكيف لا يستحي ان يرفعها الى احد من خليقته وقال لا تتعدى نية همتك الى غيره فالكريم لا تتخطاه الآمال قال الاستاذ ابو علي الدقاق من علامة المعرفة ان لا تسال حوائجك قلت او كثرت الّا من الله سبحانه مثل موسى عليه السلام اشتاق الى الروية فقال رب ارني انظر اليك واحتاج مرة لرغيف فقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير حكاية ذكر الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه ان بعض الفقراء كان ياتي كل يوم ويقف بحذاء الكعبة بعد ما يطوف ما شاء الله ويخرج من جيبه رقعة ينظر فيها فلما كان بعد ايام فعل مثل ذلك ثم تباعد ومات فجاء بعض من يرمقه ونظر في الرقعة فاذا فيها فاصبر لحكم ربك فانك باعيننا فكان الرجل اصابته فاقة فصبر ولم يظهر حاله لمخلوق حتى مات حكاية اخرى وقيل لبعض الفقراء نراك حافيا لم لا تسال نعلا يقيك الحفا فقال لمس بالحبال وحبس عين الشمس بالعقال ونقل ماء البحر بالغربال اهون علي من موقف السوال وارتجائي من المخلوقين النوال ثم اخرج القائل له من باب المدينة وانهاه الى صخرة منقورة فاذا عليها مكتوب كل من كد يمينك وعرق جبينك ذكره ابن عباد رضي الله عنه وبالجملة فكيمياء الاكياس الاستغناء بالله عن الناس * ثم قال رضى الله عنه

(اخرج من سجن وجود فقرك ودعواك الى فضاء غنى رحمة ربك ومولاك والبس جلبابا من التقوى واترك هواك لمن خلقك فسواك فعدلك في اي صورة ما شاء ركبك) لا افتقار لغير الله سجن العسر والغنى بالله فضاء اليسر ودعوى الانسان ان مقدوراته تحصل باسبابه عين الخسر فالفلاح والفوز في الرضى والتفويض والصبر وتقوى الله في الخروج عما سواه فالذي انعم عليك بالايجاد وسواك على احسن مراد عدلك في التركيب والتصوير * وامدك بالالطاف والتقدير * ضمن هيكلك الانساني من اوصافه العليه * فكنت درة العوالم العلوية والسفليه * فاجعل تقواه اجمل ثيابك * والغنى به اعظم اسبابك * واترك مرادك في مراده واختيارك في اختياره وتدبيرك في تدبيره فان جميع ما هو منك يكون سجنا لك فالذي اوجد الخلق امد بنعمه ورزق فالراحة في ترك الاهتمام ثقة بما سبق امام وسياتي الكلام في التقوى مستوفى عند قرب المناجاة ان شاء الله ثم قال رضي الله عنه (اخرق عوائد النفس تخرق لك عوائد الحس واترك التفكر في الحظوظ بالامس يشرق في قلبك انوار المقامات الخمس) خرق المربى عوائد نفسه وخروجه عن حظوظها وشهواتها والاعراض عن جميع مراداتها نتيجه الاكرام له من الله تعلى بانكشاف علم القدرة وظهوره على مكنونات مغيباته في معناه وحسه فيشاهد بفضل الله العجائب ويطلع على الغرائب لانه لما خرق عوائد نفسه واخرجها من تحت ظل هواها لاطفه مولاه بخرق العادات واجرى على يديه صحيح الكرامات جزاء وفاقا فلا تخرق العوائد لمن لم يخرق من نفسه العوائد وان وقع على غير ذلك فلا يومن غالبا من المكر والاستدراج كما مر وياتي نحوه فان خرقت عوائدها بالرياضة والمجاهدة وكنت مكابدا لها محاسبا مراقبا تخلت عند ذلك من ذميم اوصافها واتصفت بحميدها واعظم ما يكرم به حصول الاستقامة ومعها لا حاجة للكرامة وان تركت ايضا التفكر في حظوظها النفسانية وشهواتها الحيوانية ولم يكن قلبك مشغولا بما هو ماض من احوالك وما هو

آت * اشرق في ملكوت قلبك انوار الخمس مقامات * واحتمل قوله المقامات الخمس ان تكون الصلوات الخمس فيكتسب في كل صلاة يصليها انوار القرب من ربه جل جلاله فلا يزال له التقرب كما قال صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه عز وجل ما تقرب الي عبدي بمثل اداء ما افترضت عليه اي واجلها الصلاة كما قال تعلى واقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فاقامتها حفظها وصيانتها مما يناقضها فيصدق عليه عند اداتها انه ممن قال الله فيه فاما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى والصلاة مقام واي مقام لانها محل الوقوف ومناجاة الحق تعلى كما قال صلى الله عليه وسلم لو يعلم المصلي من يناجي ما انفتل اي ما التفت الى غير من يناجيه ويحتمل الخمس مقامات من السبع المعهودة في الطريق الخلوتي اي بقصد عدم اعتداده بالمقام الاول لانه محل ظلمات الاغيار ولان بعضهم لا يعتد به مقاما ولا يسمى عنده مقاما الّا ما كان بكسبه بما تقتضيه الرياضة والمجاهدة وهذا مقام لعموم الناس والثاني لقربه من الاول لانه مقام تلوين وهو دني بالنسبة لما بعده لا محالة فاعتبر مقامات الكمال بداية ونهاية وهذا الاحتمال اقرب والله اعلم ثم قال رضي الله عنه (**لا تجتهد في المطلوب منه بل اجتهد في المطلوب منك لا ترغب فيما تريده منه بل ارغب فيما يريده منك الرغبة والاجتهاد جندان مصطفان ان قمت فيهما بما اقامك الله نصرت واصاب رايك وكان سعيك مشكورا والّا خاب املك وكان سعيك مثبورا**) تكفل الله لعبيده بمصالحهم الدنيوية وكلفهم باداء حقوقه الدينية فالاحق عليهم الاجتهاد وبذل الوسع والطاقة فيما طلبه منهم كما انه يحق عليهم ان يرغبوا في تحصيل ما اراده منهم لا فيما طلبوه منه وارادوه كما قال خير ما تطلبه منه ما هو طالبه منك وخير ما تريده منه ما اراده منك فاجتهادهم ورغبتهم فيما اراده منهم وطلبه عين السعادة ومآله الى شكر السعي والحسنى والزيادة وبذل الوسع والطاقة منهم فيما فيه مرادهم ورغبتهم مما هو مقدر لهم مقسوم ومضمون لهم محتوم

قادح في عبوديتهم اذ من حق العبد ان ينصح لسيده بالمبادرة في حقوقه والمسارعة لها من غير ان يلتفت الى الاشغال التي تلهيه عنه او يكرهها منه وقد تكفل له سيده بمصالحه باجمعها وكلفه بخدمته بقدر وسعه فوقوفه في مصالح نفسه ورعايته لحظوظه قادح فيه كما هو مشاهد في الحس من ابناء الجنس فكيف بالحق والخلق ومع هذا فما طلبه الحق واراده منا نفعه باجمعه عائد الينا كيف وهو الغني عن كل ما سواه فحتم علينا من اوامره فيما يعود نفعه علينا اخذ منا ليهب لنا فله الحمد واعلم ان الرغبة والاجتهاد في عالم الارواح والشهود جندان عظيمان مدركان بعين البصيرة مصطفان متهيآن لنصرة المرء لاحدهما فالى ايهما مال وقعت الغلبة ورجحت القوة لكن ان كان توجهه على المرغوب منه والمجتهد فيه لله بالله نصر على اعدائه الباطنة واصاب عين الصواب وكان سعيه في حركاته وسكناته مشكورا لكونه اجتهد في المطلوب منه ورغب في المراد على مقتضى مراد الحق منه وان قمت في نصرة الضد وعملت على مقتضى ما فيه مرادك ومطلوبك دون مراد الحق ومطلوبه منك كنت خاذلا للجندين المطلوبين منك قائما في اداء حقوق شهواتك النفسانية ومراداتك الحيوانية ولم تحز منها الّا الحتم المقدور مع انك القيت نفسك في غرور قال تعلى وما الحياة الدنيا الّا متاع الغرور وقال على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم عبدي اطعني فيما امرتك ولا تعلمني بما يصلحك انما اكرم من اكرمني واهين من هان عليه امري ولست بناظر في حق عبدي حتى ينظر عبدي في حقي وقال تعلى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه الآية وقال تعلى ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مومن فاولئك كان سعيهم مشكورا قال ابن عطاء الله اجتهادك فيما ضمن لك وتقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس البصيرة منك اه فالاجتهاد والرغبة في مراد الحق عين الفلاح وفيما هو مضمون للخلق تحصيل حاصل لا يودي الى سداد ولا يفضي الى صلاح قم بحقوقه يقم بحقوقك نعم وقد يلوح لك من قول المولف جندان الخ انهما جندان لا غير (١) مراد الحق ومطلوبه من

(١) الوجه هو كذلك فمراد

الخلق في ناحية عن يمين القلب ومطلوب الخالق ومرادهم في ناحية عن شماله وكل منهما طالب للنصرة وانت خبير بان الله قال ان تنصروا الله ينصركم فافهم ثم قال رضي الله عنه (لا تجعل تملك علم الحظوظ فتحرم الفهم فيه عن الله وخير العلم العلم بالله وخير الفهم فيه عن الله ولله)

نهى المولف رضي الله عنه عن ان يقصد بالعلم غير الله من الحظوظ النفسانية والرياء والمباهاة والفخر والخيلاء والتعاظم والتعالي به عن الغير فانه والحالة هذه ليس بعلم كما سيذكره المولف فخير العلم ما نفع وذلك العلم بالله وهو النور المحمدي والميراث النبوي وخير الفهم ما تلقي عن الله وكان مرجعه الى الله والعلم بالله هو ما قارنته الخشية منه والسكينة والوقار قال صلى الله عليه وسلم تعلموا العلم وتعلموا مع العلم السكينة والوقار وقال خير العلم ما قارنته خشية وقال تعلى انما يخشى الله من عباده العلماء الى غير ذلك من الآي والاحاديث وخير العلم العلم بالله وصفاته واسمائه لكن به يحصل الهدى والنور الذي تنشرح به الصدور فتنبعث الجوارح اذ ذاك الى امتثال الاوامر واجتناب النواهي وبقدر المعرفة به يكون الادب معه والوجل ولذلك نرى احوال المتعبدين مختلفة وما ذاك الّا لكون معارفهم متباينة مختلفة اولها خوف ورجاء ثم قبض وبسط ثم هيبة وانس ثم جمال وجلال فلا يزال العالم بالله يترقى في درجات العلم به والفهم عنه والمعرفة له والقرب منه حتى يكون فانيا باقيا فهذا والحمد لله هو العلم النافع لا مجرد العلم بالاحكام مع اهمال ثمرته وهي الاتباع الكفيل بفضل الله لصاحبه بالانتفاع قال ابن عطاء الله العلم النافع الذي ينبسط في الصدر شعاعه ويكشف عن القلب قناعه وقال خير العلم ما كانت الخشية معه وقال العلم ان قارنته الخشية فلك والّا فعليك وسياتي للمولف مزيد بيان لما تقدم ثم قال رضي الله عنه

(لا تجعل عبادتك عبادة المنتظرين ان اعطوا تعبدوا وان منعوا تدبروا)

الناس في عبادة المولى جل جلاله على احوال فمنهم من يعبده ويتقيه على وجه الخوف منه والرغبة فيما عنده فهذا حال الابرار ومنهم من يقصد بعبادته التقرب منه والتحبب له ونيل مرضاته وهذا حال

المقربين والفرق بين الفريقين جلي وحال كل فريق مختلف والمطلوب من الجميع الخروج من قصد ما يناقض العبودية المحضة فكل غرض من الاغراض غير الله تعلى حرف فاذا وضع العابد قدمه في سبيل الله وجمع همته في حسن التوجه اليه وصحب التادب معه فلا ينبغي له ان يجعل نصب عينيه جزاء عاجلا او آجلا لانه والحالة هذا اجير ان اعطي اجره ازداد في الخدمة والنصيحة وكان في عبادته ذا قريحة وان منع من ذلك تدبر حاله وتغير وقته ومآله لفوت ما قصده من الحظ النفساني الذي كان يرتقبه ويخدم لاجله قال تعلى ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمئن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه وكل ما سوى الله حرف واي حرف لان الباري جل وعلا غيور فاذا نظر في قلب عبده ووجد فيه انتقاش صورة كونية وان كان بالنسبة لبعض العموم حسنة لا يرضى بذلك ولا يحب له ان يقف على ما هنالك لانه عبد قصده وهواه قال تعلى افرايت من اتخذ الهه هواه الآية فخير العبادة ما ابتغى بها وجه الله تعلى قال ابن عطاء الله لا تطلب اجرا على عمل لست له فاعلا وهو كذلك لان الفاعل في الحقيقة هو الله تعلى وطلبك الجزاء على عمل لم تعمله غرض ردي فمن تمام فضله عليك ان خلق ونسب اليك فاحمده ان جعلك من اهل خدمته واشكره ان من عليك بوصف اهل قربته ثم قال رضي الله عنه

(العلم والفهم والعبادة صور وارواحها الاخلاص وهو روح الاعمال وروح الاخلاص الغيبة فيه) لا اعمال من حيث هي كائنة ما كانت صور قائمة ولابد للصور من ارواح اذ لا تتم صورة بدون روح وروح الاعمال وجود الاخلاص فيها وهو تصفية العمل من شوائب العلل واخلاص كل احد على قدر حاله وبحسب مقامه كما مر وايضا فلابد للاخلاص الذي هو روح الاعمال من روح يكمل به حاله وما ذاك الّا خلوصه من شائبة الخطر الكامنة فيه وهي رويته اي شهود المخلص انه مخلص فروح الاخلاص الغيبة فيه عن شهوده وعدم استشعار وجوده يشهد لما قدمته قوله صلى الله عليه وسلم الناس هلكى الّا العالمون والعالمون هلكى الّا

العاملون والعاملون هلكى الّا المخلصون والمخلصون على خطر اوكما قال
فبان بهذا الحديث ان ثمرة العلم العمل وثمرة العمل الاخلاص وثمرة
الاخلاص سلامته من الخطر وما هي الّا في الغيبة عنه والخروج منه
بالتبري من روية الحول والقوة والتحقق بقوله تعلى والله خلقكم وما
تعملون وكيف لا تكون روية الاخلاص خطرا وفيه روية النفس بان
لها نسبة في ايجاد العمل والاخلاص فيه وهذا مناقض للعبودية ايضا ولا
يخفاك ان روية النفس تستدعي عيوبا كالرياء والعجب وحب المدح
والسكون الى الخلق وغيرها وهذا عين الاعراض عن الحق فكان خطرا
لتشعب عالمه وعظم خالمه فالواجب على السائرين الى الله ان لا يحطوا
رحالهم الّا في محال الامن من الخطر وان لا يجعلوا مثواهم الّا فيما صفا
من شوائب الكدر ثم قال رضي الله عنه (لا تتوهم ان الاسباب موصلة
للمسبب بل الاسباب شرعت للتفويض ان صح التفويض صح السبب
والّا فالسبب سلب ومن توهم وقال بسنيته فليفوض فيه الامر لمالكه فمن
لم يعجبه التوكل والتفويض فاجره على موجره) تكلم الناس في التوكل
وكل قال فيه على قدر حاله عن سهل بن عبد الله انه قال علامة المتوكل
ثلاثة لا يسال ولا يرد ولا يحبس وعنه ايضا انه قال اول مقام في التوكل
ان يكون العبد بين يدي مولاه كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف
اراد ولا يكون له حركة ولا تدبير قيل لحاتم الاصم من اين تاكل فقال
ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون واعلم ان
التوكل محله القلب والحركة بالظاهر لا تنافي توكل القلب بعد تحقق
العبد ان التقدير بيد الله سبحانه فان تعسر شيء فبتقديره وان تيسر شيء
فبتيسيره روي ان رجلا جاء اليه صلى الله عليه وسلم على ناقة له فقال
يا رسول الله ادعها واتوكل فقال اعقلها وتوكل سئل ابن عطاء عن حقيقة
التوكل فقال ان لا يظهر فيك انزعاج الى الاسباب مع شدة فاقتك اليها
ولا تزول عن حقيقة السكون الى الحق مع وقوفك عليها وشرط التوكل
ما قاله ابو تراب النخشبي هو طرح البدن في العبودية وتعلق القلب

بالربوبية

بالربوبية والطمانينة الى الكفاية فان اعطي شكر وان منع صبر اذا عرفت هذا علمت ان المولف رضي الله عنه قصد بهذه الجملة معنى ما تقدم في التوكل يقول اياك وتوهم ان للاسباب مدخلا في جلب نفع او دفع ضر او انها ذريعة لحصول امر من الامور بحيث ان تقول بقلبك لولا وجودها ما حصل فهذا توهم باطل لا اثر له اصلا بل الاسباب واقعة على وفق مراد مسببها كائنة ما كانت ولا توقف المسبب على وجود السبب بل الامر واقع بسبب ام لا غير ان هذه الاسباب جعلها الحق تانيسا لضعفة العقول من الخلق ممن حجب عن شهود جريان المقادير بالحق اذ من الخلق من هو قوي ومنهم من هو ضعيف فضعيف عبيده تمسك بسبب ضعفه واعتمد على ما عاينه مما جرت الحكمة الالهية بوقوعه عند حصول عنديته فالمسببات واقعة عند الاسباب لا بها لتخلفها عن الاسباب تارات وحصولها عندها اخرى فلو كانت بالاسباب ما تخلفت عنها فلما راينا انها تقع مرة وتتخلف اخرى علمنا عدم تاثير السبب في المسبب تحقيقا فيجب على ذلك الضعيف اعتقاده خروجا عن مذهب القدرية مجوس هذه الامة كما علمت واما قوي العبيد فراى ببصر بصيرته نفي التاثير بالكلية وارتفعت رويته عن روية الاسباب الى شهود مسببها فكان يرى ان المتصرف في الاشياء هو الحق القادر المختار يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فتوكل اذ ذاك عليه وفوض الامر فيما سن وشرع من الاسباب اليه تحققا بقوله تعالى افرايتم ما تحرثون آانتم تزرعونه ام نحن الزارعون الآية وبقوله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فتوكل عليه اذ ذاك حق التوكل وراى ان ما يعالجه من الاسباب اتباعا للسنة التي سنها صلى الله عليه وسلم حيث قال السبب سنتي والتوكل حرفتي فاخذ منه الضعيف مشرب قوله سنتي فكان في ضمن قوله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن كانت فترته الى سنة واخذ القوي مشرب قوله التوكل حرفتي فورث منه حرفته تعلقا بقوله صلى الله عليه وسلم المومن القوي عند الله خير من المومن الضعيف كما ورث ذلك الضعيف السنة وسلك بها على جادة ضعفه اعتمادا على ظاهر قوله السبب سنتي ولم يطمح بصره الى لباب

السنة التي هي حرفته صلى الله عليه وسلم التي هي قراره وعليها في كل الاحوال مداره فلما ان تمسك هذا القوي بالحرفة تيسر له حصول السنة فكان آخذا بكلا الامرين فادخل التوكل على الله والتفويض للفاعل المختار على السبب الجاري على وفق ما اقتضته ايدي الاقدار قال صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقتم كما ترزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وقد علمت ان الطير لا تسبب لها في شيء اصلا حتى انهم قالوا تطير من غير قصد لها لمحل معلوم تريده وانما هي طائرة حتى تحل حيث اراد الله دون مراد منها وهذا حالها فاذا كان ذلك كذلك فالتمثيل بالطير في الحديث يشير الى التوكل الخاص كما هي عليه فيضى التوكل ممن اتصف بصفاتها خارجا عن التدبير والاختيار متحركا بيد مجاري الاقدار فمثل هذا الدنيا كلها له دارا كما في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الدنيا دار من لا دار له وفيه معنى آخر يقتضيه باطن الحديث لانه في معنى ان من خرج من الدنيا بقلبه واعرض عنها بخالص لبه كانت له دارا ومسكنا وقرارا فحيث يضع قدمه كان ذلك المحل داره فافهم نعم والسبب كما تقدم لا يوجد مسبب بوجوده ولا ينعدم بانعدامه فقد يحصل الوجود مع الوجود والوجود مع العدم والعدم مع الوجود فحينئذ قصور الهمم عن تتبع الاسباب اولى اتكالا على ما سبق قال ابن عطاء الله سوابق الهمم لا تخرق اسوار الاقدار اذا عرفت هذا علمت ان حصول المسببات بفعل الله وارادته لا مدخل للاسباب فيه بل هي واقعة عندها لا بها فمن توكل على الله حق توكله وفوض امره اليه كانت حقيقة محضة ومن ادخل التوكل والتفويض على اسبابه فقد مزج الشريعة بالحقيقة وهي حالة محمودة لانها لا تنافي مقام التوكل بل هي عمل بالطرفين ومن عرى سببه عن التوكل والتفويض فاجره على الله ومصيبته جرت له من نفسه لانه دخل الامر على غير بابه * وعلق مقدورات القادر بحادث افعاله واسبابه * فحكمة جعل الاسباب للايناس * وسكون اضطراب

ضعفة عامة الناس * ثم قال رضي الله عنه (لا تجعل الدنيا اكبر

همومك لانها اهون على الله من ادنى امورك وليكن همك الله في السراء

واليه مرجعك في الضراء) جعل الله تعالى هذه الدار قنطرة للعبور عليها الى الدار الآخرة ولاجل ان يتزود المرء منها لآخرته فهي كالوسيلة والمقصد الآخرة كالوضوء ليس مرادا لنفسه بل للصلاة لاسيما وقد وصفها جل جلاله بما يوجب نقصها وضعة قدرها وقلتها وانها دار غرور قال تعالى انما هذه الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هي دار القرار وقال قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى وقال بعد وصف زينة الدنيا وشهواتها ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب الى غير ذلك من الآي وقال صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا جرعة ماء وقال صلى الله عليه وسلم منذ خلق الله الدنيا لم ينظر اليها وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الّا ذكر الله وما والاه او عالما او متعلما وفي رواية الّا ما كان فيها لله وقال عيسى بن مريم الا انها معبرة فاعبروها ولا تعمروها وقال سيدنا علي بن ابي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لكان على العاقل ان يوثر ما يبقى على ما يفنى فكيف والامر بالعكس هذا وان هذه الدار عرفت بالفناء وتوالي الاكدار وتعاقب الحوادث والاشرار فلا تصفو منها ساعة بل ولا لحظة لمن ميز حالها وحقق نقلتها وزوالها فمن كانت هذه حاله كيف يهتم بشانه ام كيف يصرف النظر اليه ويعتكف العاقل عليه بل الواجب عليه ان يجعل الله هو اكبر همومه ولا يسكن في هذه الدار الى غيره ولا يعرف الّا اياه فان واجهه فيها بانعامه شكره على ذلك ليقيده بزمامه وان امتحنه ببلاء رجع اليه بالاضطرار * وتعلق اليه بالاستكانة والاحتقار * فلا يزال مراقبا لمولاه سراء وضراء فلا تخلو من هذين الامرين ولا تعرو من هذين الوصفين فان افيضت على المرء سوابغ النعم * خشي من مكر مولاه وتقليبها بالنقم * وان ارخيت عليه ستور المصائب والاكدار * قابل ذلك بالسكون والاصطبار * ورجا انجلاء ظلامه * ولا يسوءه طول مقامه * فعما قليل فجر فرجه طالع * وظلام شدته منجل هالع * ولا تسمح نفس زكت احوالها الى شيء ذمه ولعنه ربها ولم ينظر اليه منذ خلقه بل لا يطيب قراره الّا فيما فيه

رضاه ولا يعرف من الوجود سواه قال ابن عطاء الله وانه لابد لهذا الوجود ان تهدم دعائمه وتسلب كرائمه فالعاقل من كان بما هو ابقى افرح منه بما هو يفنى اشرق نوره وظهرت تباشيره فصرف عن هذه الدار مغضيا * واعرض عنها موليا * فلم يتخذها وطنا ولا جعلها سكنا اه وفي بعض الآثار انه صلى الله عليه وسلم مر على سخلة ملقاة ومعه بعض اصحابه فقال لهم اتدرون لم طرح هذه اهلها فقالوا يا رسول الله لهوانها عليهم فقال الدنيا اهون على الله من هذه على اهلها او كما قال ولو لم يكن فيها الا هذا الحديث لكان كافيا في ذمها ومهيجا على الزهد فيها ومعرفا بخستها ودناءة قدرها فمن عاش فيها حذرا فطنا مشمرا على ساق جده * باذلا جهده بوسعه وكده * بذر فيها من صالح اعماله * وجهد رغبة من صفو احواله * ذاق من نعيمها الذ مذاق * وامن الفزع يوم يكشف عن ساق * فياله من كيس دان نفسه بالمحاسبة وعمل لما بعد الموت على وجه المراقبة سعد بالفوز والرضى * ولم يلاقه عتب ولا ندم على ما مضى * واما من نظر الى ظاهر غرتها قادته ببهجتها الى الاغترار * وصرفته عن باطن حقيقتها محل الاعتبار * فضيع عمره في خذ وهات * ولم يتفكر فيما مضى ولا ما هو آت * لم يحصد من مزرعة دنياه الا الندامه * ولم يذق من طعمها لذة ولا كرامه * فما اعجبه من عاجز متبع هواه * وهل مع البطالة والتضييع يعطى مناه * وهل هو الا مسكين دنياه * الا ان يتفضل عليه بمحض جوده مولاه * فالدنيا مزرعة الآخرة فمن يزرع خيرا يحصد رغبة ومن يزرع شرا يحصد ندامة فالزهد فيها كما قال صلى الله عليه وسلم يريح القلب والبدن والرغبة فيها تتعب القلب والبدن ومع هذا فان رغبته فيها تحجبه عن الآخرة ولم ياته من الدنيا الا ما قدر له ورغبته في الآخرة تحجبه عن الله وتاتيه الدنيا وهي صاغرة ومن رغب في الله رفعه عنهما اليه * وجعل الدارين طوع يديه * فاختر ايها المحب ما شئت فانت له عبد فما يحب لك ربك الا رشدا ثم قال رضي الله عنه (ومن اعجب

العجب ان تكون عن نفسك راضيا وعن رضى ربك مغضيا ان ارضيت

نفسك اسخطت ربك وان اسخطت نفسك ارضيت ربك الرضى

عن الله

عن الله في عين سخط النفس وحدة والرضى عن النفس في عين سخط الله

كثرة ان استوحشت من النفس شاهدت الوحدة وان استوحشت لها

شاهدت الكثرة فالوحدة تغني عن الكثرة والكثرة لا تغني عن الوحدة والكثرة

والوحدة ميزانان بايهما رجحت اقمت) جعل الله تعلى هذا الهيكل الانساني معدنا للخير والشر وهياه للنفع والضر وضمن كورة عالمه لطيفتى النفس والروح فكان برزخ الروح عالما علويا وبرزخ النفس عالما سفليا فان زج في عالم الانوار العلوية كان روحانيا وان هوي في سجين ظلمات كدرات الطبائع السفلية كان نفسانيا فما غلب عليه من العالمين سمي به ونسب اليه وعمل بمقتضى ما اشتمل عليه فان سرى بسره في العالم العلوي الروحاني كانت اوصافه حميدة ربانية وان هوي به في ظلمات الطبيعة واسري به في ليل القطيعة اكتسى باردية الاوصاف النفسانية واحتوشته زبانية الاهوية الشيطانية فلا يزال في اسرهم ووثاقهم مقيدا بسلاسل مخالفاتهم ونفاقهم إلّا اذا منت عليه ايدي الالطاف فيرجع به الى سبيل الانصاف اذا عرفت هذا الفرق بين عالمي الروح والنفس فالعجب منك كل العجب كيف ترضى عن نفسك الكارة النكارة * وتسكن تحت سجين صخرتها وانها لخبيثة امارة * غايتها الميل الى الراحات والشهوات * ودابها التخلق بالاخلاق المذمومات * تهيجها ارياح الاهوية الباطلة * وتحرك سفينة عزمها الدعاوي الكاذبة * شانها التولي والاعراض * لطلب الحظوظ السفلية والاغراض * ربها يطالبها باقبالها عليه * ويعاملها بالاحسان كي ترجع اليه * ويزعجها باسواط الامتحان ليرقيها من حال الى حال * ويلبسها مواهب الاجلال * ومع هذا فهي عن انعمه الظاهرة والباطنة مولية مدبرة هاربة * لتسير القهقرى خلودا لارض طبائعها الكاذبة * ان وافقتها واتبعت هواها * وصدقتها في دعواها * ونظرت الى وجه محاسنها بعين الرضى اسخطت ربك بمخالفتك له وادبارك عنه وكنت مغضيا لبصر بصيرتك عن عيوبها رضى مولاك في عين سخطها وسخطه في عين رضاها لخبثها

بعدم الاصغاء لرشادها ربك يدعوك الى الخروج عنها والترقي من عالم كثرتها الى وحدانيته وهي على العكس فوحشتك من كثرتها دليل انسك بوحدانيته واستيحاشك لها بالميل الى مالوفاتها وعوائدها دليل انخراطك في سلك حيواناتها وشهود كثرتها والتهافت في ظلمات حيرتها فشهود عالم كثرتها حجاب ظلماني من نور وجود وحدانيته وشهود جمال جلال صمدانيته وشهود شمس وحدانية الحق مغن عن شهود كثرة الخلق فمقامك حيث اقامك ان رجحت كفة الوحدانية كنت بها وان رجحت الكثرة النفسانية اقمت فيها فالروح تقودك بازمة النور الى علوي عالمها وشهود نور باريها والنفس تسحبك بسلاسل شهواتها واغلالها الى سجين اهويتها وانكالها وتوحشك من وحدته بكثرة مالوفاتها وتوقعك في ابحر تلف عاداتها ان انست بها استوحشت منه وان استوحشت منها انست به فالرضى عنها اصل كل شر والسخط عنها اصل كل خير قال ابن عطاء الله اصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضى عن النفس واصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضى منك عنها اه وبالجملة فالرضى عنها موجب لحسن الظن بها وستر عيوبها والتغافل عن قبائحها وعدم الاحتفال بما صدر منها والنصرة لها وتمكينها من حظوظها وعدم الرضى عنها موجب لكشف عيوبها واتهامها وتفقد احوالها وعدم النصرة لها فالغفلة عن احوالها تلقيه في مفاوز شهواتها وهي تعرضه لان تفترسه سباع مراداتها وذلك يفرق وحدانية وجوده في تفرقة شهود كثرتها فيكون برزخه عياذا بالله في سجين واسفل سافلين واليقظة تطلعه على خبايا عيوبه وتذهب بليل قطيعة ذنوبه فتشرق عليه شمس حضرة القدس وتخلع عليه اردية الهيبة والانس فيكون والحمد لله متوجا بتاج العزة والجلال * متجملا بوشاح العظمة والجمال * اولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا واولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده من الله علينا بما به من عليهم ولا حرمنا مما به اكرمهم انه جواد كريم فبان لك ان مآل امر عدم الرضى عن النفس اليقظة

وهي توجب الوحشة من الغير وهي راس كل خير والرضى عنها موجب للغفلة المودية للانس بالاغيار المؤثرة لمآتم الاحزان والاكدار قال صلى الله عليه وسلم الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فهم نيام الغفلات فلو ماتوا عن انفسهم وخرجوا عن اهويتهم لانتبهوا وانتفعوا بيقظتهم وفي هذا كفاية لمن عقل او القى السمع وهو شهيد ولولا خشية الاطالة لسقنا في هذا المحل ما يثلج له الصدر ويعذب بحلاوته الصبر ثم قال رضي الله عنه (ان قنعت بعلمك ورضيت عن النفس وانت جاهل وان لم تقنع بعلمك واسخطت نفسك فانت عالم علمك مع عدم الاتباع جهل وجهلك مع اتباع الامر علم ما العلم مع اتباع الهوى بعلم ولا الجهل مع اتباع الامر بجهل ان اردت ان تخرج عن جهلك فاصحب من لا يرضى عن نفسه ويريد منك ما يريده لربه) العلم النافع هو العلم بالله واسمائه وصفاته وهو يبعث بنوره على العمل به والتادب بادابه والاتباع لما شرع وبين في سنته ومحكم كتابه وذلك يقتضي الوقوف عند حدوده والدخول في ربقة تكاليفه وقيوده وهو يفضي الى تنوير القلب والبصيرة بالغيب وكشف ما حجب من الغيب الزيل بكرم الاله فيهب الشبهات والريب فليس مجرد العلم مقصودا لذاته بل هو وسيلة الى العمل به والعمل مقيد بالاتباع * ليحصل به كمال الانتفاع * فتنوير الباطن ينتج معرفة خبائث النفس * فيوجب تصفيتها في المعنى والحس * وعدم الرضى عنها في كل احوالها * واتهامها والتبري من حولها وقوتها * في سائر اعمالها * حتى تدخل في قيود العبوديه * وتستسلم لقهرمان احكام الربوبيه * فلا نسبة لها اذا في علم ولا عمل * وبهذا تنقطع عنها مواد الشرك ودواعي العلل * فالقانع بمجرد العلم مع الرضى عن النفس وغض الجفون عن عيوبها جاهل وغير القانع بمجرد العلم حتى يضم اليه ثمرة العمل مع السخط عن النفس واتهامها وتتبع عوراتها عالم فالاتباع للاوامر والنواهي علم وترك الاتباع والعمل بالعلم جهل وان كان العامل في الواقع جاهلا وغير العامل في الواقع عالما فلا جهل مع الاتباع ولا علم مع عدمه فان

اردت ايها المحب الخروج من ظلمات جهلك وتنادى انك بالوادي المقدس ارم بنعلك فاصحب من الاخوان في الله من لا يقع منه الرضى عن نفسه * ولا ركون له اليها في معناه وحسه * ولا يريد منك بصحبته لك الا ما يريده منه مولاه * ولا يرغبك في شيء سواه * ان ظفرت به فاسلم امرك اليه * واعتكف بكليتك عليه * واحفظ خزائن اسرارك لديه * قال صلى الله عليه وسلم من ظهرت عدالته وجبت اخوته او كما قال فما العلم مع الرضى عن النفس بعلم يهتدى به * ولا الجهل مع السخط عنها بجهل لا يبالى به * بل هذا عين العلم وذلك عين الجهل ففائدة الصحبة بشرط الانقياد والاقتداء * وبذلك يحصل الامداد والاهتداء * وهذا منه رضي الله عنه شروع في الصحبة (لا تصحب من لا يحسن لك الفضائل ولا يقبح لك الرذائل واصحب من يريك قبح افعالك ويحقرك حسن اعمالك والصاحب من لا يرضى لغضبك ولا يغضب لرضاك واصحب من يرضى في عين الغضب ويغضب في عين الرضى) اشبع المؤلف رضى الله عنه الكلام على الصحبة غاية الاشباع * قصد التحري فيمن يقع بصحبته الانتفاع * واجتناب ضده وتنبيه في كل محل بما يقتضيه الامكان فاقول * ومن الله ارجو بلوغ المامول * الصحبة عندهم في هذا الطريق امر اكيد حتى كاد ان لا يتم سفر مريد الا به * ولا ينتج سعي مستفيد الا باحكام ادبه * قال تعالى اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا وقال حكاية عن ابتداء حال كليمه موسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا الى آخر القصة وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال متى القى احبائي فقال اصحابه بابينا انت وامنا اولسنا احباءك قال انتم اصحابي احبائي قوم آمنوا بي ولم يروني انا اليهم بالاشواق لاكثر والصحبة على ثلاثة اقسام صحبة مع من فوقك وهي في الحقيقة خدمة وصحبة مع من دونك وهي تقتضي على المتبوع بالشفقة والرحمة * وعلى التابع بالوفاق والحرمة * وصحبة الاكفاء والنظراء وهى مبنية على

الايثار والفتوة فمن صحب شيخا فوقه في الرتبة فادبه ترك الاعتراض عليه وحمل ما يبدو منه على وجه جميل وتلقى احواله بالايمان به واذا صحبك من هو دونك فالخيانة منك في حق الصحبة ان لا تنبهه على ما فيه نقصان في حالته . صحب رجل ابراهيم بن ادهم فلما اراد ان يفارقه قال له الرجل اورايت في عيبا فنبهني فقال ابراهيم اني لم ار بك عيبا لاني لاحظتك بعين الوداد فاستحسنت منك ما رايت فسل غيري عن عيبك وفي معناه انشدوا

وعين الرضى عن كل عيب كليلة كما ان عين السخط تبدي المساويا

قال الكتاني صحبني رجل وكان على قلبي ثقيلا فوهبت له شيئا ليزول ما في قلبي فلم يزل فحملته الى بيتي وقلت له ضع رجلك على خدي ففعل واعتقدت انه لا يرفع رجله من خدي حتى يرفع الله من قلبي ما كنت اجده فلما زال من قلبي ما كنت اجده قلت له ارفع رجلك الآن قيل لذي النون من اصحب فقال من لا تكتمه شيئا يعلمه الله منك وقال بشر بن الحارث صحبة الاشرار تورث سوء الظن بالاخيار اوحى الله الى موسى عليه السلام كن يقظانا مرتادا لنفسك اخدانا وكل من لا يواتيك على مسرتي فارفضه ولا تصحبه فانه يقسي قلبك وهو لك عدو واكثر من ذكري تستوجب شكري والمزيد من فضلي قال ابو بكر الطمستاني اصحبوا مع الله فان لم تطيقوا فاصحبوا مع من يصحب مع الله لتوصلكم بركات صحبتكم الى صحبة الله عز وجل اه من رسالة القشيري ملخصا فقد بان لك بهذا ان كلام المولف يحوم في الصحبة الى صحبة من هو فوقك فهي مشيخة او قريب منها وسياتي الكلام على المشيخة مصرحا بها والصحبة لها دليل من الكتاب وقد مر ومن السنة من حيث المعنى ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لو يعلم الناس في الوحدة ما اعلم ما سار راكب بالليل وحده فاذا كان السفر الحسي بهذه المكانة فالسفر المعنوي في ظلمات الاغيار اشد احتياجا واحق في طلب الاعانة وقال صلى الله عليه وسلم التمسوا الرفيق قبل الطريق او كما قال بل لابد للمسافر في سبيل التقرب الى الله تعلى من دليل

ناصح عرف السبيل واطلع على خباياه وسلكه وعلم سهله ووعره واستفاد نفعه وضره وادرك خيره وشره كما انه لابد له من زاد وهو التقوى وراحلة وهي الهمة ورفقاء وهم اخوانه الطالبون مطلبه وسلاح وهو ما يامره به رفيقه ودليله من الاسماء ويصفه له من نافع الدواء ولابد له من الاذعان له والتسليم واتباع امره ونهيه والانقياد لحكمه وعدم البحث عن احواله واعتقاد انه اعرف بالله من اهل زمانه وايحذر الاعتراض عليه لا باللسان ولا بالقلب فاذا عثر على هذا الترياق فليشمر بالجد على ساق * ويبذل في معاملة الظاهر والباطن وسعه ما اطاق * وليقل بخالص عزمه لهمته السباق * ومعنى كلام المؤلف رضي الله عنه **لا تصحب في سفرك من كان غشاشا لا يحسن لك العمل بالفضائل * ولا يقبح لك ما ذم من قبيح الرذائل * قال صلى الله عليه وسلم من غشنا فليس منا كان من شرط الصحبة النصيحة وخلوص المحبة الصحيحة** فمن لا يرغبك في التحلي بالفضائل * ولا يحملك على التخلي من الرذائل * فليس بصاحب وانصحب من زكت نفسه * وصلح معناه وحسه * استنارت بنور المعرفة بالله بصيرته * وصحت من سحب الاثار الكونية سريرته * صقلت مرآة قلبه * وامتزجت محبتك له بزلال حبه * ترى في صقيل مرآته ما في باطنك من العيوب * فتشتغل بتنقيتها وتتنصل من الذنوب * تبصر به علل الرياء والاعجاب * فتحتقر اعمالك وتستصغر احوالك وتعمل على تمزيق الحجاب * والصاحب من لا يرضيه غضبك ولا يغضبه رضاك بل يرضى لله ويغضب لله فما فيه رضا الله يرضيه وما فيه غضبه يغضبه ولا يراعي ظواهر الامور والصاحب من يغضب في عين موجبات الرضى ويرضى في عين موجبات الغضب ويرضى في عين الرضى ويغضب في عين الغضب على ما اقتضاه الحال فما كان فيه نفع مريده يعمل عليه لان الناس مختلفو الحال ومتباينو القلوب فمنهم من اذا راى من استاذه الرضى عنه في اعماله واحواله يضره ذلك لطمانينته به وسكون نفسه اليه فيقع له الرضى عن نفسه وهو داء عضال فهذا وان حسنت حاله وصلحت لله اعماله دواؤه في الاعراض

عنه واظهار عين السخط له ليحتقر اعماله ويستصغر احواله فيزداد نشاطه ويشتد مع الله ارتباطه ومنهم من كان حاله بالعكس بان كان يعمل بموجبات الغضب عنه وظهرت لامامه امارات التقصير منه ومع هذا ان احس منه بالغضب والاعراض يتولد في باطنه الكسل او القنوط وذلك من اعظم الامراض فدواؤه اظهار الرضى عنه والانبساط في وجهه بقصد ايلافه واجتلابه عساه ان يتلافى حاله بصالح اكتسابه ومنهم من يصاحبه وقوع الامر على ظاهره الرضى في عين الرضى والغضب في عين الغضب لقرب طباعهم من التصفية وسهولة بواطنهم للتزكية وقد شاهدنا من الاستاذ المولف رضي الله عنه معاملة المريدين بجميع هذه الاحوال كل بما يناسب حاله القوي يعامله بحسب ما تقتضيه قواه والضعيف على قدر ضعفه ولا يعرف منه باطن حاله إلّا ارباب القلوب بخلاف غيرهم فلا يفهمون له غضبا ولا رضى ولا يجعلون له معنى صحيحا بل ينكرون منه بعض الاحوال على مقتضى ما يظهر لهم بديهة بحسب ذوق امزجتهم الفاسدة والعياذ بالله وإلّا فهو مراعي للاليق والاصلح وهذه احواله رضي الله عنه فانا لله وانا اليه راجعون على تخلفي بعده ومفارقتي في هذه الدار وفده فياليتني مت قبل هذا وكنت فداءه ويا طول حزني على بقائي وراءه ولكن كل آت قريب فافوز باجتماعي بالحبيب ثم قال رضي الله عنه (صحبتك لجاهل ساخط عن نفسه خير من صحبتك لعالم راض عن نفسه) تقدم ان اصل كل خير السخط عن النفس وان اصل كل شر الرضى عنها وحينئذ اذا وجدت ايها المريد انسانا بصيرا بعيوب نفسه ساخطا عنها في معناه وحسه مع انه غير عالم بالاحكام ولا في العلوم الشرعية بقدوة ولا امام فاصحبه وانتم اليه وعظ بنواجذ باطنك عليه اولى لك واحق بالصحبة من عالم مطلع على الاحكام الشرعية متبحرا فيها مع جهله بعيوب نفسه واهماله لها لا يامرها بمعروف ولا ينهاها عن منكر تقوده بزمام شهواتها حيث احبت فصحبة هذا العالم الذي رضي عن نفسه لا فائدة فيها فلتحذره كل الحذر فالركون اليه يعود بشر لسريان

الطباع والتخلق باخلاق من طال لك معه الاجتماع فلما كان للصحبة تاثير في التخلي والتحلي رغبوا في صحبة من بصرة الله بعيوب نفسه وكان ساخطا ليستفيد منه من صحبه من احواله كما حذروا من صحبة من كان جاهلا بعيوب نفسه راضيا عنها لئلا يكتسب منه من صحبه مثل ما هو من داء الرضى من النفس فهو كالمجذوم يجب الفرار منه وان كان عالما في ظاهر حاله كما يجب الدنو من غيره وان كان جاهلا فى ظاهر حاله بل العلم المعتبر العلم بالله كما تقدم وقد عرفت ان من عرف نفسه عرف ربه اعرفكم بنفسه اعرفكم بربه ومعرفة النفس باوصافها معرفة لله باوصافه فحينئذ لا علم مع جهل النفس ولا جهل مع معرفتها وخير الفريقين من كان عارفا بالوجهين ومراد المولف ما اذا وجدت عالما راضيا عن نفسه وجاهلا ساخطا عنها فمن تصحب منهما وقد مر قريبا ثمرة هذا وكلام المولف صريح في ان الصحبة وسيلة للانتفاع بمداواة الصاحب لمصحوبه ومن كان مريضا لا يستطيع مداواة نفسه فهو عن مداواة غيره اعجز قال ابن عطاء الله لان تصحب جاهلا لا يرضى عن نفسه خير من ان تصحب عالما يرضى عن نفسه فاي جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه واي علم لعالم يرضى عن نفسه ثم

بين ثمرة العلم بقوله (العالم بالاحكام مع ترك العمل بمقتضاها جاهل من حيث هو والجاهل بالاحكام مع العمل بمقتضاها عالم من حيث هو)

تقدم له غير ما مرة ان ثمرة العلم العمل بمقتضاه الذي هو امتثال الاوامر واجتناب النواهي فالعامل بمقتضى لسان العلم عالم وان كان في غاية الجهل والعالم بالاحكام مع تركه العمل بما اقتضاه علمه جاهل وان بلغ في العلم غاية فلا علم ولا جهل اذ مدار الامر على الاتباع فهو العلم على الحقيقة انما يخشى الله من عباده العلماء وانت خبير بان الشريعة اقواله صلى الله عليه وسلم والطريقة افعاله والحقيقة احواله فمن عرف اقواله واهمل اتباع افعاله فقد اهمل نفسه عن الجادة فالشريعة زاد مبلغ للطريقة فمن لا زاد له لا يستقيم له سفر ومن له زاد ولم يسافر به فقد فاته آثاره صلى الله عليه وسلم لانه لم يسلكها واخلاقه التي هي

الحقيقة احرى بالفوت مع اهمال العمل فالعلم وسيلة للعمل والعمل وسيلة للتخلق باخلاقه صلى الله عليه وسلم وان من الله على بعض عبيده اختارهم لقربه من غير علم فكانوا عاملين الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب ثم قال رضي الله عنه (الصاحب اثنان صاحب يرغبك في الله وصاحب يفكرك في الملاهي نعم الصاحب من اذا رايته ذكرك ربك واذا تكلم على الله دلك وبئس الصاحب من اذا رايته للحظوظ ذكرك وان تكلم في الملاهي فكرك) انحصرت الصحبة على ما ذكر في شخصين * وارتبط حكمها بوصفين * فمن لاحت عليه لوائح الانوار * واشرقت في باطنه شموس المعارف الربانية والاسرار * القي على ظاهره رداء المجاهده * وعلى باطنه ازار المشاهده * كانت سمته تذكر في الله وترغيب في آلائه ونعماه * انصبغت ظواهره بقرب الفرائض والنوافل * فصار مرآة ومشاهدة ذاته تذكرة للغافل * كيف لا والحق تعلى يقول على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ما تقرب الي عبدي بشي احب الي من اداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها الحديث وفي بعضها كنت له سمعا وبصرا ويدا ومويدا فمن لبس خلع قرب النوافل وفنت صفاته واضمحلت مكوناته في صفات مولاه * وما بقي له في الوجود والشهود سواه * صار حقا في حق فاذا تخلى عبد من عبيده بالفناء عن صفاته الذميمه * وتحلى بالبقاء بصفات مولاه الحميده * كان اذ ذاك لا يقابله غافل الا تيقظ ولا ساه الا تذكر ولا معرض الا ازدجر قال في الرحمانية سمتك يا اواه * من رآك ذكر الله البيت اي لان اقواله وافعاله وحركاته وسكناته كلها حق في حق لا يتكلم الا بحق ولا يفعل الا حقا ولا يدل الا على حق والى مثله يشير قوله صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم فالصحبة السرية ثابتة لمن هذا حاله * والخلة التقريبية تاييده وكماله * ان عثرت على هذا فلا تبغ به بدلا واما من ظهرت على وجهه دياجي ظلمات الغفلات *

والانهماك في حظوظ النفس واتباع الشهوات * دابه التكاسل عن الطاعه * وتضييع ما انعم الله به عليه من البضاعه * ففر منه فرارك من الاسد ولا تصحب ممن هذا وصفه احدا فوسمه يدعو الى ما عليه رسمه * فخالطته داء عضال * لا فائدة فيها بحال * لانه يذكر بحاله الزايف النفس هواها * ويهيج نهمتها على شهواتها * وحظوظها ودعواها * ويلهيها عن ربها الذي خلقها فسواها * قال صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل وقال الاخضري

فصحبة الاخيار للقلب دوا   تزيد المرء نشاطا وقـــــوا

وصحبة الاشرار للقلب عمـا   تزيد للقلب السقيم سقـــما

وقال غيره

عن المرء لا تسال وسل عن قرينه   فان القرين بالمقارن يقتـــدي

فالصاحب تسري طباعه في جبلات قرينه وبالجملة فالحذر الحذر من صحبة اهل الدنيا المنهمكين في معاملاتها فان مخالطتهم راس الهموم * ونتيجة لنار السموم * لانهم فانون في قربها * سكارى بحبها * لا يدعون الا لها * ولا يدلون الا عليها * وهي راس كل خطيئة كما قال صلى الله عليه وسلم حب الدنيا راس كل خطيئة لكن يستثنى منهم من زال حبها من قلبه فلا باس بقربه وانت خبير بجميع ما مر من احوال اهل الدنيا لا يقوم الفقير من بينهم الا مهموما مكروبا معلولا معطوبا فمن كان هذا حالهم يتعين الفرار منهم لانهم مجذومون بداء حبها لقوله صلى الله عليه وسلم فر من المجذوم فرارك من الاسد ولا جذام اعظم من راس الخطايا وعلى كل حال فالضعيف لا تليق به الا مخالطة من تذكره في الله رويته او يزيد في علمه منطقه والا فلا قال ابن عطاء الله لا تصحب من لا ينهضك حاله * ولا يدلك على الله مقاله * ثم قال رضي الله عنه (اياك وصحبة المداهن ان جلس معك حسن لك القول وان فارقك افشا ما تقول) المداراة مامور بها كما قال صلى الله عليه وسلم امرت بمداراة الناس والمداهنة ضرب من الغش ولذلك كانت منهيا عنها فحذر المولف من صحبة المداهن وهو الذي يظهر لك من

حاله

حاله خلاف ما يبطن وعلامته انه ان جلس معك يقدم بين يديك لذيذ اقواله * ويصطفي امامك احسن افعاله * وان فارقك بدل وغير فلا يقول في غيبتك إلا شرا * ولا يذكر عنك خيرا * يفشي لاعدائك اسرارك * ويهتك بين حسادك حرمتك واستارك * فحذاري من صحبته حذاري وما هو إلا مثل بصفة المنافقين فلا تجدي صحبته خيرا * ولا تدفع شرا * فالبعد ممن هذا وصفه راحة * والتجافي عن غروره صيانة وسماحة * قال صلى الله عليه وسلم الوحدة خير من الجليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة ثم قال رضي الله عنه (لا تصحب من لا يكون عن عيوبك غموضا وفي احوالك رموضا ولا تصحب من اذا راى منك الاحسان قربك واذا راى منك الاساءة ابعدك بل اصحب من لا يرى لاحسانك مكافاة ولا لاساءتك معاداة الصاحب من تكون عنده كما كنت ويكون عندك كما كان من لا تزيد عنده بالطاعة ولا تنقص بالمعصية هو الصاحب الحق من لم تصحبه الغيبة عن افعالك لم يصلح للتدريج في احوالك من لم تكن عنده كمن لا عنده ليس بصاحب من لم يحفظك في الغيبة لم يحترمك في الحضور) ادب الصحبة غض البصر عن عيوب صاحبه والتغافل عن قبيح احواله كائنة ما كانت فمن كان على العكس فليس بصاحب ولا تليق بينك وبينه مواصلة ولا تقارب ولا تصحب من يزيده احسانك قربا وودا واساءتك طردا وبعدا بل اصحب من لا يدنيك بجميل احوالك ولا يقصيك بقبيح اعمالك ان احسنت وعملت بموجبات الرضى عنك لا يكافيك * وان اسات وعملت بموجبات السخط عنك لا يعاديك * فكلا الامرين عنده سواء لان وصفه الاهي رحماني فالصاحب المرغب في صحبته من تستوي عنده رتبتك لا تلون له بحال ولو اختلفت منك انواع الاعمال لان وصلته الاهيه * وصحبته ربانيه * شهوده في الاعمال يقيني * وحبه في الله تمكيني * لا يزيد

باحسان * ولا ينقص بعصيان * لا يرى للطائع فضلا عليك وان كان في الاحسان ما كان وكنت انت بالاساءة ما كنت لانه مصطلم في الغيبة عن اعمالك * فانيا عن شهود تلوثات بشريتك واحوالك * حقق شهود التحريك والتسكين * وسلم الامر فيهما لرب العالمين * فلم يبق له اعتراض * ولا يعمل على موجب اقبال او اعراض * استوى عنده غيبتك وحضورك معطي حق صحبتك في وردك وصدورك احترامه لك في الغيبة كالحضور * لانه لا يضرب بين اهل الحب في الله برزخ ولا سور * فمن لم يود حق صاحبه بحفظ الحرمة في غيبته لم يحترمه في حضرته ولم يصدق معه في صحبته فحق الصاحب ان يستوي عنده حضورك وغيبتك فالحاضر كالغائب والغائب كالحاضر يجمع شتات كثرتهم بحبل وداد وحدانية سيدهم فلا بعد ولا مسافة ولا قطيعة ولا مخافة فافهم فالصاحب المحق من غاب وصف سخطه في عين رضاه وعين رضاه في عين سخطه لا تدرك له حقيقة ولا حال ولا يحاط بكنه مراده بحال غائب وهو حاضر ومدبر وهو ناظر يرقي محبوبه من دقائق اطواره ويدرجه في مفاوز اسفاره آخذا بيده في كل بساط منزه السر عن وصفي القبض والانبساط ثم قال رضي الله عنه (ليس الصاحب من قربك وادناك بل الصاحب من اهلك لحضرة ربك وفيها افناك ليس الصاحب من يفتقر له في السوال وخير الصاحب من يغنيك قبل السوال الصحبة معروفة البين مجهولة الاين لا تعرف إلّا بمحو العين قربة الصحبة مشهودة الاثار مغموضة المنار لا تفهم إلّا بسر الانوار السر في الصحبة عين بلا اين واين بلا عين عين الصاحب في المصحوب كفناء الطالب في المطلوب) مجرد التقريب والادناء لا يوذن بكمال الصحبة ولا يقضي بتمام المحبة بل يوجبها تقديس سرك من اغياره وتقوية باطنك بانواره حتى تقوى على حمل امانة الشهود وتفنى في الحضرة عن كل موجود فمن من عليك بعتق مهجتك من عبودية الغير واستخلص رقيتك الى مولاك وحررك

في حسك

في حسلك ومعنك هو الصاحب السبب في كل خير وقد وجب عليك بمقتضى الشريعة الثناء عليه باحسانه وبمقتضى الحقيقة الرجوع الى الله بشهود منته وامتنانه ومن لا ينعم عليك حتى تبسط اليه يد السوال ليس بصاحب كمال بل الصحبة الكمالية والخلة الجمالية هي التي تجود بفيض نوالها وتسقى من وابل زلالها جميع من بانت من باطن اسراره اوصاف الفاقة والاضطرار * ولاحت عليه سمة المسكنة لله والاحتقار * يعطي النوال بقدر لسان الحال * ولا يتوقف على سوال * واعلم ياحبيبي ان اهل المحبة في الله حالهم في هذه الدار كحال اهل الجنة فى تلك الدار الامر بينهم شفاف لا حجاب بينهم فلا يحجب بعضهم عن بعض بشان ولا يقطع وصلتهم بعد مكان ولا زمان ولا يقع لاحدهم شي فى قلبه إلّا ويقضى على وفق المراد قال تعلى لهم فيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين فكذلك اهل المحبة الالهية لا يفتقر المحب الى ان يسال من محبوبه كما لا يفتقر صاحب نعيم الجنة ان يسال شيئا يتنعم به كيف لا والرب جل جلاله نظم جواهر قلوبهم فى سلك حبه فكانت وصلتهم باطنية سرية حجبتها عن الادراك اصداف البشرية ولذلك قال الصحبة معروفة البين مجهولة الاين لا تعرف إلّا بصحو العين فالبين ظاهرها فربما يكون معروفا والاين باطنها فلا يدرك سرها إلّا بصحو عين بصيرة المحبوب بالفناء عن كل مطلوب فقربة الصحبة مشهودة آثارها * مخفية فى الاسرار انوارها لا يكشف حجابها * ولا يزول نقابها * إلّا لاهلها واصحابها * فالسر المودع فى اسرار المحبين ظاهره فى باطنه وباطنه فى ظاهره وصلهم موجود وفصلهم مشهود لو اطلعت على بواطن المحبين لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا اسرارهم باهرة وانوارهم قاهرة خلع على اهل جنة الحب فى الله خلعة جلاله وتوجوا بتاج عزة وجماله فلا وصلهم ينافي فصلهم ولا فصلهم يناقض وصلهم تباينت ذواتهم واتصلت صفاتهم قربهم فى بعدهم وبعدهم في قربهم انقطعت اشارة المحب لمحبوبه وفنت صفاته فى مطلوبه قال القائل

ولما تصفينا المحبة بيننا فصرنا ومن نهوى كشيء واحد

وقال غيره

فاذا قيل من تهوى فقل انا من اهوى ومن اهوى انا

ولا يخفاك ما فى كلام الاستاذ المؤلف رضي الله عنه من اطلاق الصحبة فى آخر كلامه على المحبة التى هي اساسها لان الصحبة ظاهرة آثارها والمحبة مخفية اسرارها فالصحبة كالصوان والمحبة لبابه والمحبة حب والصحبة ترابه فلا ينبت حب الحب إلّا فى ترب الصحب هذا وقد تكلم الناس فى المحبة على قدر اذواقهم فيها وعبروا عن سرها بحسب شربهم من خمرها قال القشيري قال بعضهم المحبة الميل الدائم بالقلب الهائم وقيل ايثار المحبوب على جميع المصحوب وقيل موافقة الحبيب فى المشهد والمغيب وقيل محو القلب بصفاته واثبات المحبوب بذاته وقيل مواطاة القلب لمرادات الرب وقيل خوف ترك الحرمة مع اقامة الخدمة وقيل استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من محبوبك وقال سهل الحب معانقة الطاعة ومباينة المخالفة وسئل الجنيد عن المحبة فقال دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب اشار بهذا الى استيلاء ذكر المحبوب حتى لا يكون الغالب على قلب المحب إلّا ذكر صفات المحبوب والتغافل بالكلية عن ذكر صفات نفسه والاحساس بها وقيل المحبة الموافقة وقيل صفة المحبة ان تكسب كلك لمن احببت فلا يبقى منك شيء لك قال الشبلي سميت المحبة محبة لانها تمحو من القلب ما سوى المحبوب وقال صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب فهو مع الله وقيل المحبة اغصان تغرس فى القلب فتثمر على قدر العقول وقيل المحبة الايثار للمحبوب وقيل المحب من لا ينقص بالجفاء ولا يزيد بالبر قالوا وليس بصادق من ادعى محبته ولم يحفظ حدوده واذا صحت المحبة سقطت شروط الادب وفي معناه ينشد

اذا صفت المودة بين قوم ودام ودادهم سمج الثناء

وقيل المحبة قيامك مع محبوبك بخلع اوصافك قال النصرباذي المحبة مجانبة السلو على كل حال وانشد

ومن كان

ومن كان في طول الهوى ذاق سلوة ... فاني من ليلى لها غير ذائق
واكثر شيء نلته من وصالها ... اماني لم تصدق كلمحة بارق

وقال غيره

غرست لاهل الحب غصنا من الهوى ... ولم يك يدري ما الهوى احد قبلي
فاورق اغصانا واينع صفوة ... واعقب لي مرا من الثمر المجلي
فكان جميع العاشقين هواهم ... اذا نسبوه كان من ذلك الاصل

وقيل الحب اوله ختل وآخره قتل وقيل في معنى قوله صلى الله عليه وسلم حبك الشيء يعمي ويصمي اي يعمي عن الغير غيرة وعن المحبوب هيبة

اذا ما بدا لي تعاظمه ... فاصدر في حال من لم يرد
جمعت وفرقت عني به ... ففرد التواصل مثنى العدد

قال الجنيد كل محبة كانت لغرض اذا زال الغرض زالت تلك المحبة وقد حبس الشبلي في المارستان فدخل عليه جماعة فقال لهم من انتم فقالوا محبوك يا ابا بكر فاقبل يرميهم بالحجارة ففروا فقال ان ادعيتم محبتي فاصبروا على بلائي وقد علمت ما في كلام المؤلف مع هذا من المناسبة ولذلك اوردته تلذذا به وايضاحا لكلام المؤلف به والا فهو عريض وفيما ذكرناه كفاية ومن اراد ان يذوق من صرف زلالها فليمت شوقا وليقبل بتوب نعالها فافهم ثم قال رضي الله عنه (اخرج عن حظوظ نفسك الى واردات ربك فان الحظوظ النفسانية تقضي بك الى الاوصاف الردية والواردات الالهية تسري فيك بالاوصاف المحمدية) قد علمت ان النفس سفلية لا تروم من متبعها الا الخلود الى رعوناتها واتباع شهواتها ونيل حظوظها ومراداتها وفي ذلك من سفاهة العقل ما لا يخفى وقد رغب المؤلف رضي الله عنه في الخروج عن سجن الحظوظ النفسانية والاعراض عن المرادات الحيوانية الى فضاء الواردات الربانية والالهامات الرحمانية فشان الحظوظ الهوي في دركات اتباع الشهوات والركون الى ما ذم من المالوفات والسكون الى ما اعتادته من العادات وردي الصفات والواردات الالهية علوية تعلو بهمة

صاحبها الى سماء الحقوق الحق تسري بسره الى المراتب العلية وتقطعه عن كل مخلوق فيكتسب اوصافا محمدية حميدة واخلاقا الاهية مجيدة تقوده بازمة نورانية وتشهده مشاهد عرفانية فالواردات عبارة عما يرد على القلوب من حضرة علام الغيوب كالزهد والصبر والتوكل والرضى والقناعة وتحمل الاذى وغير ذلك فدابه ان انعم الله عليه بها الاستسلام والسكون حتى يضع في قلبه سرير المملكة فيصير له جبلة وملكة وما هي اي الواردات الا رسل الله اليك دعاك بها ليتفضل عليك ويخزن اسواره لديك فبادرها بالقبول واجب المنادي بالرحول فما يرد من قبل الحق جل جلاله يسمى واردا وما يرد من قبل النفس يسمى هاجسا مطلب الوارد علوي نوراني ومناخ الهاجس سفلي ظلماني فالخروج من ظلمات النفوس والارتحال من منازل النحوس متعين على كل عاقل ولولا التخلي والتحلي ما كان واصل ثم قال رضي الله عنه (لا تتوهم ان واردات الحق من اعمالك وانما هي من مواهب ربك الواردات من الله على القلوب تلوح وعرفها على الانوف يفوح) فضل الله تعالى واكرامه ومواهبه وانعامه لا يكون حصولها لمن افيضت عليه بتعمل ولا اجتلاب ولا تحيل ولا صالح اكتساب بل تقبل من حضرة ربانية وموهبة سلطانية لا تنال باعمال ولا تقاد بحبال وانما تنشى غالبا عند التعرض لنفحات الرحمة كما قال صلى الله عليه وسلم ان لله نفحات تعرضوا لنفحات الله فهي بمثابة الوقوف بالباب وقرعه فمن لازم قرع باب فتح له وتهيا حاله فمواهب الواردات تاتي من باب الكرم والجود لا توقف لها على سبب ولا بذل مجهود فان اكرم باطنك بوارد اشرقت على ظاهرك منه شواهد وان لاحت على قلبك منه لوائح شمت عليك من نسمات عرفه روائح فما دفن في غيب السرائر نشره لابد على ارض الظواهر ثم قال رضي الله عنه (اصل الوارد من الاوراد ولولا الورد ما كان وارد لا تطمعن في الوارد وانت مع مرادك وانما يحصل الوارد بترك المراد ان صدقت مع الحق في الاوراد ينتج لك الوارد في

لامداد الوارد صيد الحق فيك والورد صيد الحق منك ان ورد عليك الوارد فالحق منك يريده وان صدر منك ورد فالحق لك يعيده)

تقدم ان الوارد ما يرد على القلب من حضرة الرب ذكر هنا ان اصله الغالب عليه وجوده عند الورد وهو ما يقع بكسب الانسان من عبادات ظاهرة ومعاملات باطنة فاقتضى الامر الرباني والحكمة الالهية ان مواهب الله وافضاله وعطاياه ونواله لا تصب امطارها ولا تورق اشجارها ولا تينع ثمارها الّا في قلب عبد تعرض لنفحاته وتهيا بقلبه وقالبه في معاملاته مع الوقوف على بساط الافتقار اليه جل جلاله قال تعالى انما الصدقات للفقراء فمن وقف بين يدي سيده موقف الافتقار وخرج من سجن العزة بنفسه والاستكبار انفجرت عليه من ارض اوراده ينابيع وارداته وامداده ولا يحضى بها الّا من خرج عن جميع مراداته متبرئا من روية حركاته وسكناته لان الصدق مع الله تعالى في اداء وظائف العبودية وعدم التطلع للانوار الشهودية ينتج الاكرام بالواردات والاحضاء يفيض الامدادات الالهية فما ورد عليك وارد الّا وكان صيدا لك من قبل الحق جل جلاله يطلب منك رده له بشهود انه منه بمحض فضله لا باسبابك وجميل اكتسابك وما صدر منك ورد الّا وكان صيدا للحق منك اي اورد عليك الوارد لتصطاده عالما بانه منه ورجوعه اليه وجعل الورد صيده منك اي مراده منك لما فيه من العبودية له وهو يعيد لك نفعه وثمرته فكانت نتيجة الورد والوارد كلاهما لك فارسل عليك الوارد لتكون به عليه واردا فيكون الوارد سبب للورد الذي هو حق الحق منك فثبت بهذا ان الوارد رسول من الحق الى الخلق يبعثهم على وظائف عبوديتهم له التي هي مطلبه منهم فيرفعه اليه بالقبول ويعيد نفعه اليهم بعد اخذه منهم اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فالوارد مطلبك من الحق والورد مطلب الحق منك وخير ما تطلبه منه ما هو طالبه منك وطلبك للوارد حظ نفساني وان كان في الحقيقة هو في نفسه نوراني لانه قادح في العبودية ومكدر لصفاء الانوار الشهودية وقد علمت ان المطلوب منك الخروج عن

مرادات النفوس لتصلي لدخول حضرة الملك القدوس ومعاملتك بفضل الله لا تخلو عن وارد وبروز العمل منك اعظم شاهد فلولا باعث الوارد ما تحركت للورد فالحق طلب منك الورد وتكفل لك بالوارد ولا يجمل منك ملاحظة مطالبك التي تمن بها عليك بل اللائق وجود مطالب ربك المكنونة اليك فالورد يكون بين واردين وارد يتقدمه فيكون سببا في انبعاث العبد لحركات القرب من الرب جل جلاله ووارد ينشا عنه بسبب التعرض لنفحة الله به فالباب المشار اليه بالقرع هو باب الورد فما وقف امرؤ على باب واراد العمل لربه الا وافاض عليه كرما منه بانواع واردات قربه وفي قوله صيد الحق الى آخره اشارة الى ان الوارد الاتي من قبل الحق صيد عزيز لا يظفر به الا من جد واجتهد في طلبه وسكن بقلبه وقالبه عن الاضطراب وقطع المفاوز المعنوية كما يقع لصاحب الصيد الحسي سواء بسواء حتى سمعنا منه رضي الله عنه في قائم حياته يقول الصيد العزيز هو الوارد فاذا نزل يكون على هيئة الوحش او الطائر فاذا وقعت من الانسان حركة ظاهرة طار وفر على عادة الوحش وكثيرا ما يذكر هذا عند تمام الحضرة في شان سكون الذاكرين وسكوتهم آخرها ويظهر من باطن امرهم ان المراد بالسكون والسكوت حتى قالوا كما يصطاد الهر الفارة او كالطير الحاضر بالقلب اي السكون به والسكوت لانه هو الذي به تتلقى الواردات فيطلب فيه ان يكون على اكمل الحالات وفي جعلهم ارتقاب الوارد آخر ذكرهم اشعار بان الوارد انما يكرم به من توجه الى الله ببعض اوراده فهو كالجزاء ومع هذا فالذي بعثهم على العمل هو الوارد لكن الوارد الاول جاء لتحريكهم في الطاعة والثاني يشير بالجزاء وقبول العمل وحصول ثمرته فافهم ثم قال

رضي الله عنه (لا تزدر بطالب الورد وان لم يظهر لك وارده فان الوارد كامن في الورد فالصحو يكشف قناعه من لم ير وارده واردا عليه لم يظهر له وارد ورده فمن ورد عليك وارد فكن انت لوروده عليك مريدا فبنهوضك للورد تظهر موارده وبنقضك للعهد تفقد معاهده) عباد الله

المخصوصون ابرار ومقربون ولكل حال بهما يعرف وصفة بها يتميز فمن رايته طالبا لوجود الاوراد ومثابرا على اداء ما عليه من الاستعداد من غير ان ترى عليه امارات عرفانية ولا واردات ربانية فلا تزدر بحاله ولا تحقرن ما هو فيه من اعماله فلولا حلول وارد الهداية بقلبه ما انبعثت جوارحه بطاعاته وكسبه فالوارد على كل حال موجود لكنه مستتر عنك غير مشهود فلو صحت بصيرتك من سحائب اغيارها لوجدت الوارد كامنا في الورد وهو السبب في وجوده مثال ذلك الريح تاتي لسوق السحاب ثم يتكرم الله بالمطر من السحاب فالسبب في اثارة سحب الاعمال رياح الواردات الالهية التي اقبلت بالهداية والتوفيق فاذا تم نظام السحاب وتراكم فترى ودق ثمرات الواردات يخرج من خلاله اي من خلال انواع الاعمال الصالحة قال تعالى الم تر ان الله يزجي سحابا ثم يولف بينه فيجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله الآية فهي من حيث المعنى مشيرة لما قدمناه ومن اقامه ربه في وظائف طاعته واوراده وامده بمعونته وامداده لكنه مقيد عن شهود ورود وارداته الالهية فهو محجوب بصدوده عن شهود منته تعالى فعدم رويتك لورود واردات اعمالك دليل على عدم صدقك في توجهك واحوالك وان انعم عليك ربك بواردات الاهية فتلقها بوجه القبول واجب الداعي واطع الرسول فالاعراض عنهما بعد وجودهما اساءة ادب وتطلبهما بالاعمال مجرد عناء وتعب فان عملت بمقتضى ما جاء به الوارد ظهرت لك من مكنونات سره مشاهد وشربت من عذب زلاله اصفى موارد وان عملت على غير القصد وعرجت في عقبات نقض العهد فقدت معاهد اتيانه وحرمت ورود منته وامتنانه عهد اليك ربك باحسانه وكرمه عليك بامتنانه فنقضه منك في تركك له ونسيانه وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فالوارد كما مر رسول الله الى من واجهه يامر وينهي ويذكر من يغفل او يسهى فالنهوض الى تلقي اوامره ونواهيه بالقبول كفيل باظهار ما خفي من جليل الموارد وخطير المشاهد وعدم النهوض نقض عهد وفقد معاهد فمن اوفى استوفى ولما كان الوارد نورانيا

علويا لا ينزل في امكنة تباين حاله وتناقض منواله قال (فطهر القلب والسر من الاغيار لورود الواردات والانوار فان الوارد ملك الحق والانوار اعوانه ان طهر القلب والسر لنزولهما غير الملك ما بهما ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون) قد علمت في عالم الحس والمشاهدة انه اذا ورد عليك ملك من الملوك تبادره بالقبول والاقبال وتقدس بيتك له وتزينه لنزوله في غاية الكمال فملك الحق اولى بهذا واحق لان واردات الحق جل جلاله سلطنة ربانية عظيمة ومملكة الاهية جسيمة تاتي بجنود انوارها وترد على القلوب بهيبة عظمة سلطان امانة اسرارها وذلك يقتضي تطهير قلبك من اغياره وتقديس سرك من شوائب اسراره ليصلحه بعد افساده ويقوي جيوش جنوده بامداده فالاشارة بالآية واضحة من حيث المعنى فالملوك هي الواردات والقرية هي القلب لمن كان في مقام القلب او السر لمن كان فيه والافساد هو مطلق التغيير والّا فهو اصلاح واهلها الاعزة قبل ورود الملوك النفس وجنودها فاذا ورد وارد من حضرة قهار خضع لجلاله كل جبار وذل بعد العزة والاستكبار لا يصادمه شيء الّا دمغه لانه حق فاذا جاء الحق زهق الباطل ان الباطل كان زهوقا قال ابن عطاء الله ربما وردت عليك الانوار فوجدت القلب محشوا بصور الآثار فارتحلت من حيث نزلت فرغ قلبك من الاغيار يملاه بالمعارف والاسرار وقال متى وردت الواردات الالهية اليك هدمت العوائد عليك ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وقال الوارد ياتي من حضرة قهار لاجل ذلك لا يصادمه شيء الّا دمغه بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ثم قال رضي الله عنه (الوارد من الحق حق وحق الحق مواجهته ان وجه الحق دانت بشائره في السر فكن له انت محبيا حق الحق منه هو حق الحق منك وحق الحق منك هو حق الحق منه لن تحق الحق الّا وانت محق ولا انت محق الّا ان تحق الحق) الوارد الآتي من قبل الحق جل جلاله حق افضالي وعطاء كمالي وحق الحق

اوجب عليك مواجهته وقبوله واكرامه ونزوله فاذا بانت في سرك بشائر اسراره وبزغت في عالم ملكوتك شموس انواره تحتم عليك اجابته واكرامه واجلاله واعظامه فالوارد حقك من الحق والورد حق الحق منك وانما ارسل اليك الوارد لتكون به عليه واردا فاقتضى الوارد وردا واقتضى الورد ورودا وبورود الوارد عليك ورد عليه ما منه اليك ورجع ما منك عائدا عليك فحق الحق الورد وحق الخلق الوارد وفي حقيقة الامر الحال واحد لان الوارد كامن في الورد والورد كامن في الوارد فلولا الوارد ما كان ورد ولولا الورد ما لاح وارد وما ظهر عليه من علامة ولا شاهد وحق الحق الواجب عليك هو تعظيم الامرين واجلال الشعيرتين قال تعلى ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب وقال ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه ولا يكون منك تحقيق الحق إلّا اذا كنت محققا ولا تكون محققا إلّا اذا حققت الحق بان ترد ما منك اليه وترجع ما منه عليه لله الامر من قبل ومن بعد اليه يرجع الامر كله فان الوارد اقتضى منك ورودا والورد اقتضى منك غيبة عنه وشهودا فافهم ثم قال رضي الله عنه (وخير الوارد ما ورد عليك في الصلاة لان الصلاة المفروضة قرة العين واصل عماد الدين لقوله عليه الصلاة والسلام جعلت قرة عيني في الصلاة) لون الله تعلى الطاعات ونوع اجناس القربات لاختلاف ما تضمنته من الواردات لان الواردات الالهية مختلفة الورود ليست على حالة واحدة فلذلك تنوعت الطاعات ليكون لكل نوع منها ما يقتضيه حال وارده واجل الواردات ما يرد في الصلاة مطلقا ثم ما يقع في الصلاة المفروضة لانها اعظم القربات فكذلك واردها يكون احسن الواردات لانه يعطي الساكن حرمة المسكن والنازل حرمة المنزل الا ترى الى قوله تعلى مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا فان لداخل الحرم حرمة زائدة على غيره وان جل ذلك الغير فالصلاة من حيث هي اجل القرب لاسيما الصلاة المفروضة التي قال فيها صلى الله عليه وسلم منزلة الصلاة من الدين منزلة الراس من الجسد وقد علمت ان الحواس كلها في الراس فلا شهود ولا سمع ولا شم ولا ذوق إلّا بما

احتوى عليه منها ولا يكون غذاء البدن إلّا منه فكذلك الصلاة افعالها واقوالها حركاتها وسكناتها على اختلاف انواعها اغذية لبدن الدين ومقوية لقلبه وهو اليقين فزيادته بكمالها ونقصه بنقصها كيف لا وقد اشتملت على سائر العبادات قولية وفعلية بدنية وقلبية اجتمع فيها ما تفرق في غيرها من استقبال وتكبير وتلاوة وقيام وركوع وسجود ورفع منهما وتسبيح واستغفار فيهما وثناء وتشهد وجلوس له وصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وعلى آله ودعاء وسلام وغير ذلك فما تنوعت اقوالها وافعالها إلّا وقد تباينت وتعاظمت اذواقها واحوالها ولذلك كانت قرة العين قال صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة قال ابن عطاء الله لما علم الحق منك وجود الملل لون لك الطاعات وعلم ما فيك من وجود الشره فحجرها عليك في بعض الاوقات ليكون همك اقامة الصلاة لا وجود الصلاة فما كل مصل مقيم وانظر الى قوله من دنياكم المتقدم في الحديث المار كيف اضافها الى غيره ولم يضفها الى نفسه المكرمة وما ذاك إلّا تبريا منها وتزهيدا فيها لخسة قدرها وجلالة قدره وكذلك حبه للنساء والطيب ليس كحب غيره الذي هو الميل الطبيعي والشهوة النفسانية والحظوظ الحيوانية بل هو منزه عن ذلك ومقدس مما هنالك وما احب النساء إلّا لاجل ما يقع من التناسل والتوالد كما قال صلى الله عليه وسلم تناكحوا تناسلوا فاني مكاثر بكم الامم الا ترى الى قوله تناكحوا تناسلوا فانه ارشد مريد النكاح ان يكون غرضه صحيحا وهو قصد التناسل الذي يقع به تكاثر الامم وتكثير سواد امة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك من اعظم المزايا فانه صلى الله عليه وسلم يباهي الانبياء عليهم الصلاة والسلام بكثرة امته ويدخل عليه من السرور بذلك ما لا يقدر قدره ولا يكيف امره وما كان بهذه المثابة كيف لا يحبه محبة الاهية ويرغب فيه ويدل عليه دلالة ربانية وفيه وجه آخر وهو انه صلى الله عليه وسلم عالم بغلبة الهوى وميل النفس الى الشهوات واعظمها شهوة النساء حتى كاد ان لا يقدر جل الناس على الصبر على النكاح فرغب فيه صلى الله عليه وسلم

لاجل كف النفس عن الوقوع فيما لا يليق ودفع التشويش عن البشرية بقدر ما تطيق وسروره في سلامة امته من مخالطة الذنوب ومقارفة الآثام والعيوب فمحبته هذه ليست لنفسه المكرمة بل لغيره كما يدل له قوله صلى الله عليه وسلم لست كاحدكم انما اظل عند ربي يطعمني ويسقيني وحبه للطيب لما فيه من ادخال السرور على الملائكة والمومنين من الانس والجن ولان الروائح الطيبة تالفها النفوس وتسكن اليها ضد الكريهة لانها توجب النفور والتفرق وهو همته صلى الله عليه وسلم في ائتلاف امته واجتماعها واكره شيء اختلافها وافتراقها ولقصد الارشاد لاستعماله والّا فهو صلى الله عليه وسلم غني عن التطيب في نفسه فقد ورد ان عرقه اجمل انواع الطيب حتى كان بعض اصحابه تزوج فاعطاه شيئا من عرقه فكان اذا مر ببعض سكك المدينة يبقى ريحه فيه بعد مروره فيعرفه كل من مر على تلك السكة لعظم طيبه ومباينته لجميع انواع الطيب وقد شوهد من طيبه صلى الله عليه وسلم ما لا يحصى كثرة وقوله صلى الله عليه وسلم جعلت قرة عيني في الصلاة اي لاجل ما تنوع فيها من القربات وما اشتملت عليه من انواع التعبدات فانه عليه الصلاة والسلام لا يزال في التجليات والتحليات بحسب ما تقتضيه اقوالها وافعالها من تكبير وتحميد وتلاوة وركوع وسجود لان لكل جزء منها ذوقا خاصا وشهودا وتجليا ارفع من الذي قبله حتى يخرج من صلاته ولا ينتقل صلى الله عليه وسلم من الصلاة وان خرج في ظاهر الحال منها فالمصلي مطلقا هو او غيره لا يزال يناجي ربه جل جلاله ويخاطبه ما دام فيها مقبلا عليه متوجها بكليته اليه فدخول الصلاة من غيره صلى الله عليه وسلم فناء وخروجه منها بقاء واما هو صلى الله عليه وسلم فقد كان بقاؤه دائما لا فناء يعقبه فلا يزال باقيا في الصلاة وفي غيرها وكل ما يجده غيره ويشاهده فمن بركته صلى الله عليه وسلم نعم ولا يخطر ببالك ان اقوال الصلاة وافعالها على وتيرة واحدة في التجلي بل كل شيء له تجل خاص به فالتكبير وان تعدد واتحد نوعه فتجليه مختلف فلا يزال المصلي يجد لكل تكبيرة شهودا ويدرك لها وجودا غير ما وجده لما قبلها

حتى يتم وكذلك افعالها وغيره من اقوالها فالتكرير فائدة خاصة لاهل الخصوص وهي ترقيهم في انواع التجليات بحسب تلقيهم وفائدة عامة لمن دونهم وهي ان من فاته استحضار معنى ما تقدم في اول صلاته من اقوال وافعال يجده بعد ذلك فلا يفوته سر الصلاة باسرها كما قال الفقهاء وتدرك الصلاة بركعة لا اقل اى فضلها وكونها في الوقت والاشارة تقتضي زيادة على ذلك وهى ان من فاته جل صلاته بالغيبة عنها وحضر في اقلها الصادق بركعة يتكرم عليه ربه باندراج ما فاته تحت ما ادركه فالركعة الواحدة تعم جميع ما فاته من ركعاته لاتحاد النوع وكل ركعة وان تباين شهودا كما مر وكيف لا تكون الصلاة عماد الدين وقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم فيها قرة العين وما يجده وارثوه من ترقيهم من التلوين الى التمكين من اثره وسره صلى الله عليه وسلم لانه قد لبسها كالاثواب وفتح فيها ما غلق عن غيره من الابواب فكان من بعده سالكا مسلكه داخلا مدخله يشرب من بقايا شرابه ويحظى بنصيب من مشاهداته واقتداته ولا زال اماما المصلين حتى الى الآن كما شاهده بعضهم عيانا لا يتلبس بقربة الصلاة وغيرها الا وهو امامه صلى الله عليه وسلم وافهم قوله تعلى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ولا تعترض بقلبك عن صدر الآية زعما منك انه ارتفع امرها الله الله فاهل الخصوص لا زال فيهم ولا يزال ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ولا ترض لنفسك بسفساف الامور الذي لا طائل تحته مما يجزم به اهل الحجاب فاسمع الكلام من الحق والبس الخلع من يد سيد الخلق صلى الله عليه وسلم فافهم ثم قال رضي الله عنه

(القيام لها شوق والقيام بها صدق والقيام فيها ذوق من قام لها قام

بوظائف العبودية ومن قام بها قام بحقوق الربوبية ومن قام فيها قام بحق الالوهية) الصلاة المجردة عن الاقامة لها او بها او فيها لا يعتد بها ولا قرة للعين فيها الا ترى ان الحق جل جلاله اذا مدح الصلاة في كتابه انما يمدحها بوصف الاقامة كما قال والمقيمين الصلاة واقاموا الصلاة واقام الصلاة والمقيمي الصلاة واقم الصلاة لذكري وغير ذلك واذا ذكرها في معرض الذم

جردها

جردها من لفظ الاقامة كما قال فويل المصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الى غير ذلك اذا عرفت هذا عرفت ان الصلاة المقامة لا تخلو عن ثلاثة احوال اقامة لها واقامة بها واقامة فيها فالاول حال العامة والثاني حال الخاصة والثالث حال خاصة الخاصة فالاقامة لها اقامة بوظائف العبودية مع الغيبة عن الانوار والاقامة بها اقامة صدق في الاعمال من الربوبية بالاخلاص والتبري من الحول والقوة والاقامة فيها اقامة باداء حقوق الالوهية مع التلذذ بواردات الاعمال الوجودية فالباعث الاول شوقي والثاني صدقي والثالث ذوقي فالشوق يحمل على الصدق والصدق يحمل على الذوق ثم فناء وبقاء كما ياتي وفي هذه المراتب الثلاث اجتمعت مراتب علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين فنتيجة علم اليقين الشوق ونتيجة عين اليقين الصدق ونتيجة حق اليقين الذوق فاولها مقام الاسلام وثانيها مقام الايمان وثالثها مقام الاحسان ثم غيبة في الشهود عن الوجود ثم في الوجود بالوجود عن الوجود كما قال (الصلاة ميادين الارواح وغيبة عن الاشباح) اذا اكرمت الصلاة بالصيانة من الاغيار واقيمت على متن الاستقامة والاقتدار كانت بحمد الله ميادين اغذية روحانية وتنعما بمشاهدات رحمانية يغيب صاحبها في رياض جنتها عن احساسه وافعاله ويفنى عن بشريته واحواله تصطلمه ايادي المواجهة بانوارها وتغمده الطاف المشاهدة باسرارها فتماق الى مولاه بكلامه وتنعم بمزيد افضاله وانعامه اخذ من شهوده ما غيبه عن وجوده ووقف فيها على بساط التكليم وزج بسره في سرادقات الهيبة والتعظيم فسمع من لذيذ الكلام ما هيج اشتياقه واوجب هيمانه واستغراقه فكان بفضل الله موسى زمانه وكليم عصره واوانه سكره بالصعق فناء وافاقته بالصحو بقاء دام سماعه وحلا انتزاعه لا يشوب صفو عيشه كدر ولا يغيب عن شهوده بغير ثم قال رضي الله عنه (خذ من صلاتك ما يريح قلبك من الاغيار ويصرف سرك الجبار لقوله عليه الصلاة والسلام ارحنا بها يابلال) امر رضي الله عنه المصلي ان ياخذ من

صلاته ما تحصل به راحة قلبه من الاغيار وينقيه من الشوائب الكونية والاكدار لانه اذا صفت مرآة قلبه من اغيارها وزكت نفسه وخلصت احواله وتمكن شهوده وانفرد وجوده انصرف وجه سره للجبار جل جلاله وخرج من قيوده وانفرد في وحدته بمعبوده تكون اقامته في الصلاة احدية وتجلياته متزايدة ابدية نال فيها مناه واستراح من موجبات عناه واستدل المولف لما ذكره بقوله صلى الله عليه وسلم ارحنا بها يا بلال يعني الصلاة فالرسول عليه الصلاة والسلام علم من احوال اصحابه رضي الله عنهم غاية الكمال ودوام ترقيهم الى مولاهم في كل حال وقد كان حال الصلاة اجل وانفع ومقامها في القربات اعظم وارفع وكان في الصلاة من قرة العين ما يغمر وجودهم ويقوي شهودهم لانها جمعت من انواع التقرب ما تفرق في غيرها حتى كادت ان تحيط بجميعه فباشتمالها على جل انواع التقربات توجب لمن اقامها بصدق استهلاك اوصاف التلونات في احدية التجليات الالهية ومن كان بهذه المكانة كيف لا يكون راحة ابدية وقرة عين سرمدية فهي والحمد لله جنة لمن تيقظ لها قال تعالى في وصف اثمار الجنة كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل واتوا به متشابها الآية فالارزاق الروحانية والتجليات الرحمانية لا تزال تتزايد عنهم وتتكاثر ومصافاتهم بمحبوبهم تتوالى في التعالي وتتظافر يقتطفون من ازهارها ويستضيئون بانوارها ويتنعمون باسرارها تنعما تشابهت اذواقه وتباينت موائده وارزاقه فلا ينسيهم ما هم فيه من النعيم المقيم الا مشاهدة وجهه الكريم فهم في صلاتهم والحالة هذه اهل الجنة حقا فازوا بها عمن سواهم سبقا وقد كنت اسمع من الاستاذ المولف رضي الله عنه كثيرا ما يقول مشيرا الى الصلاة ذلك يوم التغابن فالاشارة الى صفوف الصلاة واجتماع الجماعات وتغابنهم من حيث الوقوف في الظاهر على بساط واحد والتعبد بنوع واحد وقد تشابهت ابدانهم في التحرك والاجتماع واختلفوا بالتغابن في الشهود والانتفاع فالجماعة في هذه الدار كالحشر في تلك الدار فمنهم من هو في ظل ظليل ومنهم من كان في تظليل لا يخفاك حالهم تعرفهم

بسيماهم ثم قال رضي الله عنه (لا تجعل صلاتك صلاة متمتع ولتكن صلاتك صلاة مودع لا تكن صلاتك صلاة من يبقى بعدها ولتكن صلاتك صلاة من لا يرجع اليها) اي لا تجعل اكبر همك من صلاتك التمتع بما يرد عليك من اذواقها والتنعم بلذائذها فانه حال مناقض لوصف العبودية ومكدر للتقربات الشهودية فحبك النعم حجاب عن المنعم هذا وان الحق تعالى غيور لا يحب ان يرى في قلب عبيده الميل لسواه والركون الى من عداه وما جعل من التنعمات السرية والاكرامات الخيرية الّا جوائز افضاله وعوائد نواله والمقصد وجهه الجليل ولتكن صلاتك صلاة من ودع حبيبه واغتنم منه عند المفارقة حظه ونصيبه بملأ من رويته اوعية اسراره ويستضيء في ظلمة الفرقة عنه باشعة انواره لا يغيب عنه طيف خياله ولا تافل عن سويداء قلبه شمس كماله وفي كلام المولف الاشارة لقوله صلى الله عليه وسلم اجعل صلاتك صلاة مودع اوكما قال ولا تكن صلاتك مدرجة في نية البقاء بعد الفراغ منها بل اللائق ان تجعلها في شهودك آخر صلواتك التى لا ترجع اليها ولا يكون لك استشعار حياة بعدها فطول الامل مرغوب عنه ولو في الخير وقد عرفت ان الانسان اذا استشعر قرب اجله وصح في قلبه قصر امله لا شك وان احواله تحسن ويكون توجهه الى ربه صادقا على الوجه الاكمل فاذا كان في الصلاة التي هي اجل القربات مشاهدا انها آخر عهده بها وانه مقبوض قبل عوده اليها اداها غاية الاداء واحترس بحضوره فيها من جميع الاعداء لانقراض الدنيا من نظره وخروج كل الخلق من قلبه بل ربما يستشعر ان يقبض وهو في نفس تلك الصلاة فما ذا ترى في وصف من هذا شهوده فلا تعلم نفس ما اخفي لها من قرة اعين بخلاف من طال امله فتكون صلاته في حال غفلة واهتمام والتفات فتتراءى له شرك مستقبل ازمنته وهي اعظم شيء في محنته جرب تصب ليس الخبر كالمعاينة ويحتمل كلامه معنى آخر وهو انه رغب من المصلى ان لا يكون له التفات الى صلاته واحساس بايقاعها بل يكون فانيا عن شهودها باقيا في وجودها فلا يكون له شهود لدخولها حتى يرى خروجها

ولا خروج حتى يشاهد لها رجوعا مدخله عين مخرجه ومخرجه عين مدخله
نعم ومشاهدة العمل وبقاؤه في نظر فاعله دليل على عدم قبوله اليه يصعد
الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه. فاذا صليت صلاة وغاب عن نظرك
وجودها كان ذلك دليلا رفعها اليه وان بقيت في نظرك فالامر بالعكس

وكذلك غيرها من انواع الطاعات وقوله (ولتكن قرة عينك في الصلاة لا بالصلاة

لقوله صلى الله عليه وسلم جعلت قرة عيني في الصلاة ولم يقل بالصلاة)
تقدم دليله واعاده ليرتب عليه ما ياتي بعده اي فلتكن قرة عينك
وهناء قلبك ومطمح نظرك بما تشاهده من المواجهات الربانية والمكافحات
العرفانية والتجليات الرحمانية والمشاهدات الاحسانية والمقامات
الايقانية في الصلاة لا بنفس الصلاة فتكون قرة عينك فيها بجماله لا
بها لانه قال جعلت قرة عيني في الصلاة فجعلها ظرفا لقرة العين وبساطا
لحق اليقين فمجرد صورتها وظيفة عامة العاملين ومشهد اسرارها ولوائح
انوارها مطمح نظر الخاصين اذ لا يفارقهم التلوين واما شهود وجهة جلاله
برسوخ قدم التمكين فهي خاصة المقربين فالرسول صلى الله عليه
وسلم نبه على ان قرة عينه جعلت في الصلاة لا بالصلاة فلا تقر عينه
الا به جلت عظمته لا بما يرد عليه من اسرارها او يفيض من انوارها
كلا وهو السر والنور الذي لا مزيد عليه ولا عروج لمرتقى الا بما لديه
كيف تكون له قرة عين بما توالى من بركاته وتكاثر من عظيم نفحاته
بل لا تقر عينه الا بمولاه ولا تركن نفسه المكرمة لشيء سواه تشتاق
الصلاة اليه ولا يشتاق هو اليها فاذا دخلها انست به ولا انس له الا
بمولاه نعم وفي قوله جعلت قرة عيني في الصلاة اشارة الى انه عليه
الصلاة والسلام لما راى ان الصلاة بساطا للتلقي ومعراجا للترقي وشاهد
ما يفتح الله فيها على قلوب المصلين وما يورده على اسرارهم من مزيد
اليقين وتفاوت رتبهم في التجلي والتمكين كان ذلك قرة عين له لفرحه
بما يزيد من الخيرات على امته صلى الله عليه وسلم اذ هو الوالد
الروحاني على الحقيقة الا ترى ان الوالد تكون قرة عينه بما يصلح
بحال ولده اكثر من نفسه فالرسول صلى الله عليه وسلم اولى بذلك

فقال

قال تعالى النبي اولى بالمومنين من انفسهم الآية فهو الاب النوراني الروحاني الذي ثبتت ابوته لكل موجود اذ هو السبب في وجودها فكما انه درة الوجود الاول هو خاتمة الوجود الآخر لانه السبب في الشفاعة العامة التي بها تميز لكل انسان مستقره فالبداية دليل النهاية فكان هو صلى الله عليه وسلم مفتاح الدنيا والآخرة فلولا وجوده الاول ما كان موجود ولولا وجوده الآخر بالشفاعة ما استقر احد في منزله فكذلك الاستقرار والوجود المعنوي فهو السبب في الخيرات وضدها فمن سعى على جادة مرضاته سعد واصاب ومن نكب عنها شقي وخاب عافانا الله من الخذلان بمنه وكرمه فهو آدم عالم الارواح فافهم فبان لك بما تقدم ان قرة عينه صلى الله عليه وسلم ليست كقرة عين غيره كما تعلمه من قوله عليه الصلاة والسلام حسنات الابرار سيآت المقربين فمن كانت قرة عينه بما يلوح له فيها من الانوار او يتحف به من انواع الكرامات والاسرار فهو في الخطر المحض لانه لا زال في اودية الكائنات وهل يصح شهوده ولم يصف وروده بل لا زال مطالبا بالنقلة من ذلك والاعراض عما هنالك فان وقفت همته عند كون من الاكوان صيح به من ملكوته اياك والاغترار اياك انما نحن فتنة فلا تكفر وكل ما سوى الله فتنة كل شيء هالك الا وجهه فمن كانت قرة عينه بها اي بما يرد على قلبه فيها مما يكرم به اهل المعاملات تانيسا لهم وتقوية لعزائمهم فما هو الا محض زاد وحسن استعداد تشتد به عزائم ضعفاء اليقين لعلهم يتوصلون به الى الرسوخ والتمكين فانظر رحمك الله بعين قلبك الى هذا السيد ما اعلا همته واجل مقامه وارفع شهوده ومرامه جعلنا الله من حزبه بمنه فان قمت بانواع الصلاة الثلاث حزت الفرقية والجمعية وجمعية الجمع كما اشار له بقوله (فان قمت فيها وبها ولها فانت القائم حقا) اي اذا اقمت صلاتك على اتم مراتبها الثلاث المتقدم ذكرها فانت القائم بحقيقة حالها الحافظ على شروط صحتها عند اهل التحقيق وكمالها اذ هذا مقام كمال يتاتى معه مشاهدة كل حال لا يشغله شان عن شان فلا يشغله القيام لها عبودية بشوق ولا القيام بها ربوبية بصدق ولا القيام فيها الوهية بذوق اجتمع له

المقامات الثلاث وكانت في طوع شهوده وفي قبضة حده ومحدوده فمقام الاقامة لها اسلام وظيفة الظواهر ومقام الاقامة بها ايمان بتصديق الضمائر ومقام الاقامة فيها احسان بمشاهدة السرائر فالعبودية فرق والربوبية جمع والالوهية جمع الجمع كما مرت الاشارة اليه آنفا ثم قال رضي الله عنه (واختر من مقامات الاقامة الاقامة فيها لان اقامتك فيها خروج عن كونك الى مكونها واقامتك بها اعتماد عليها واقامتك لها شهود المنة فيها فاقامتك في الصلاة فناء الشهود فيها فافن عن شهودك في مشهودك فان الشاهد دال على المشهود وان كنت بالمشهود دلك على الشاهد فكن بالمشهود لا بالشاهد ان شاهدت الاقامة شاهدت الصلاة وان شاهدت الصلاة شاهدت ناصبها وان شاهدت ناصبها فنعمت الصلاة هي) اقامة الصلاة على الاطلاق امر مطلوب ومقصد الاهي مرغوب وقد مر ان لها ثلاثة اوجه لها وبها وفيها فالمختار من هذه الثلاثة الاقامة فيها لما فيه من الخروج عن فرقية الاكوان الى جمعية المكون والخلوص من خطر التلون الى سلامة التمكن فلا يشاهد الحق جلت قدرته حق الشهود إلا من خرج فانيا عن كل ما في الوجود ففضل الاقامة فيها ظاهر لما فيه من الفناء دالا والبقاء جلالا وجمالا فالاقامة بها اعتماد عليها من حيث روية افعاله وشهود حركاته واحواله والاقامة لها شهود المنة فيها من حيث شهود ما يواجه به من الانوار ويكرم به من الملاطفة والاسرار فقد علمت ان اجل المقامات الاقامة فيها لما فيه من الفناء في الشهود غيبة ومحوا والبقاء بالمشهود احساسا ومحوا فافن عن شهودك تخليا وابق بمشهودك تحليا فان الشاهد مما هو منك اثر دال على المشهود فان كنت باقيا بالمشهود الذي هو الموثر دالك على الشاهد الذي هو الاثر فاعرف المشهود باوصافه الوجودية يدلك على الشاهد باوصافه العدمية لتكون باقيا بالمشهود جل جلاله لا بالشاهد الذي هو اثر افعاله او متعلق وصف كماله فان شاهدت مجازي اثرك وهو الاقامة اشهدك حرمات الصلاة وان عاينتها اشهدك وجود ناصبها ومصورها فيها فاذا تمكن منك شهود ناصبها فنعمت الصلاة هي لما فيها من

الخروج

الخروج عن الخلق والانفراد بالملك الحق فبان لك ان شهود الاقامة نتيجته المعاملة وشهود الصلاة نتيجته المواصلة وشهود ناصب الصلاة نتيجته محو آثارك بالفناء ومحو اسرارك بالبقاء فوصلة الصلاة اعظم الصلات وقربتها اعظم القربات يشهد لجلالة قدرها من حيث الظاهر خصوصيتها من بين سائر العبادات بان فرضت في العالم العلوي وذلك اشعار بعلو منزلتها وجلالة قدرها وهذه اشارة لعلو بساطها من حيث باطن الامر فان من اقامها علت رتبته وارتفعت درجته على قدر ارتفاعها في عالم فرضيتها وان حجب عن هذا الشهود صاحبها فهو في الحقيقة سماوي علوي لا ارضي سفلي فافهم ويدل لعظمها ايضا وجوبها طول العمر وفي كل الحالات من قيام وقعود واضطجاع وبالطرف وبالقلب على حسب الاستطاعة كما علمت بخلاف غيرها وكذلك اشتمالها على جواهر الطاعات القولية والفعلية البدنية والقلبية فهي من حيث الصورة كالصدقة وما انطوت عليه جواهر وامتازت ايضا على غيرها بان حرم حال التلبس بها جميع الاشياء الّا بما هو من جنسها فكانت حرما لا يدخلها الّا محرم مغتسل من ادرانه معرضا عن جميع اقرانه واكوانه متجرد من ثياب مخيط العلائق ومحيط الانس بالخلائق عازما على طواف كعبة حضراته والوقوف بمعرفة عرفاته مع سعيه بين صفاء الصفا ومروة العهود حين الست بربكم بالوفاء وكانت مناسكه مصحوبة الاغتسال من جنابة غفلاته يتعاهدها مرة بعد مرة مجتنبا لما عهد من لذائذ شهواته حتى يتم له طواف الافاضة في فضاء تجليته بعد الفناء عن كلياته فيرجع اذ ذاك من سماء حقوقه الحقية الى ارض الحظوظ بوفاء الحقوق الخلقية اذ هو التحليل الاكبر الذي يباح بعده كل شيء فهو كالسلام من الصلاة ولولا خوف الاطالة لبسطنا الكلام في الصلاة على طبق افعال الحج ظاهره وباطنه وفي الاشارة ما يكفي اللبيب عن العبارة ثم قال رضي الله عنه

(فعظم من انت تناجيه يعظم في قلبك سر حضوره فالعظمة لا تكون الّا للعظيم والاهانة لا تكون الّا للئيم ولا تكن لما اهانه الله معظما ولا لما عظمه مهينا) الصلاة محل المناجاة وموطن الملاطفة والمكافحات

يقف فيها العبد بين يدي ربه ويتفضل عليه فيها بمزيد قربه فيناجيه
بكلامه ويتملق له بانعامه فليكن تكبيرك تعظيما حقيقيا يصغر معه ما
سواه فلا يوجد في قلبك عداه فهو العظيم الذي يوقف بين يديه على
بساط الهيبة والتعظيم ويناجى في خلوة الجلال والتفخيم فمن ادرك
قلبه مناجاته عذب في سره جميع حركاته وسكناته وما يحب الانتقال
من صلاته ولا يستطيع الخروج منها قال صلى الله عليه وسلم لو يعلم
المصلي من يناجي ما انفتل او كما قال فلو عرف المصلي جلالة قدر
من يناجيه وهو ربه جل جلاله ما قدر على الانفتال منه بالالتفات الى
غيره بظاهره او سره الا ترى ان الانسان اذا كان بين يدي ملك من
الملوك كيف يكون حاله معه فلا يرفع بصره اليه حياء ولا يلتفت الى
غيره ولا يكلم من سواه وما دام بحضرة الملك لا تتحرك له جارحة ولا
يكون شغله الّا بحفظ الادب مع الملك وتلقي ما يرد عليه من قبله
فبمراعاة حقوق الادب معه وتعظيم حرمته يكون احترام الملك له
ورفع المنزلة عنده هذا مخلوق في مخلوق فما بالك بالخالق تعالى
اذا ناجاه عبده في صلاته وحفظ حرمة معاملاته باداء حقوقه القلبية
فانه يكافيه من فضله ما يليق بافضاله ويعظمه بقدر تعظيمه واجلاله
فان عظمت الحق في حال مناجاته عظم في قلبك سر حضراته فالاعظام
والاجلال لا يستحقهما الّا العظيم وصفا ذاتيا وما ذلك الّا الحق تعالى
والاهانة وترك المبالاة وعدم الاحتفال والالتفات لا تكون ولا تليق الّا
باللئيم وهو الخلق فتعظيم الحق عناية سابقة وتعظيم الخلق جناية لاحقة
اللهم الّا من كانت حرمات الحق وشعائره فيه فانما يعظم لاجلها فمن
اكرمك اكرم فيك جميل وصفه والّا فاين انت والاكرام قال تعالى ذلك
ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب ذلك ومن يعظم حرمات الله
فهو خير له عند ربه فملك الملوك اجل من ان يعظم معه سواه اذ هو
حق وما سواه باطل فاذا جاء الحق زهق الباطل ان الباطل كان زهوقا
فوجود الغير عند دعوى تعظيمه دليل على عدم ثبوتها فلو اشرقت شمس
الحق لذهب ليل ظلمة الخلق فنزه سرك من رؤية غيره يمدك بخيره

وایاك

وإياك ان تعظم ما اهانه الله او تهين ما عظمه الله فان فعلت وعكست الحقائق فقد وضعت الشيء في غير محله ثم قال رضي الله عنه

(وان اقمت بصورة الصلاة ونسيت مصورها فيها فتلك صلاة الغافلين

فاغتنم من صلاتك الدخول فيها بصدق والخروج منها بصدق وقل رب

ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق) لاكتفاء بمجرد اقامة صورة الصلاة وتشييد ظاهرها من غير مراعاة ناصبها وواضعها علامة دالة على الغفلة المذمومة فتلك الصلاة بزمام النسيان مزمومة فالسهو في الصلاة عن المصور تعلى قادح في العبودية وحجاب عن الصفات الشهودية قال تعلى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون وكذلك الكسل دليل على الوهن في الدين والفشل قال تعلى في وصف المنافقين واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى فلكل دليل فالسهو عن الصلاة موجب للويل الذي هو الهلاك والسهو عن ناصبها اشد هلاكا واعظم اشراكا لان الصلاة بيت الله حجرها من الشركة فيها فلذلك لم يبح لمصل ان يدخل غيره فيها فلن راى ما سواه في حرمه استوجب من ادخله المقت لانه ضيع المكان والوقت قال تعلى في معرض المدح واقم الصلاة لذكري فصورة الصلاة ظرف واقامتها للذكر فيها فالغفلة فيها عنه مضادة لما وضعت له ونصبت لاجله فادخلها بصدق يدخل قلبك بحق فالواجب عليك اغتنام صلاتك بان تدخلها بصدق وتخرج منها بصدق فدخولها بصدق هو الفناء فيها والخروج منها بصدق هو البقاء بصفات ناصبها كما قال مستدلا بالآية الكريمة وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق فالمدخل للادخال والمخرج للاخراج اي ادخلني في صلاتي ادخال صدق بالفناء من روية حولي وقوتي ونسبة الافعال الي الذي هو تفرقة واخرجني من صلاتي مخرج صدق بالبقاء على ما واجهتني به من اوصافك الكمالية ونعوتك الجمالية الجلالية حتى ابقى في انفرادي بك في كل احوالي الذي هو

الجمع وتمام تفسيره ماخوذ من قوله (وخير الفناء ان تفنى في صلاتك

لان دخولك فيها فناء عما بقي منك وخروجك منها بقاء بحضرة ربك

ان دخلت فيها خرجت له وان خرجت منها دخلت عليه فاخرج

على ما انت فيه اليه وادخل فيما انت عليه اليه) الدخول لحرمات الصلاة بصدق فناء عما بقي من العلاقات الغيرية والخروج منها بصدق بقاء بالكمالات الخيرية وحين كان المدخل الصدق فناء والمخرج الصدق بقاء فالصلاة هي معشش الارواح واليها ينبغي الغدو والرواح فالفناء فيها بتحريم ما كنت عليه هو خير الفناء والخروج منها مرتديا بجليل ما لديه هو اجل البقاء ان دخلت اليها خرجت بالفناء من قفص حظوظك اليه وعكفت بكليتك عليه وان خرجت منها لابسا خلع حليها وحلاها دخلت بالبقاء عليه فالخروج الاول دخول منك اليه والثاني منه اليه الاول من ادناسك وانفاسك والثاني من شهودك واحساسك فاخرج عن مخيط ثيابك وتجرد عن محيط اهويتك واسبابك واغتسل من جنابة اغيارك والبس جلباب اسرارك احرامك بالدخول اليه فناء ومناسكك تودد وتكرم ونيل منا وتحليلك من تطوف حضراته فناء عن الفناء وهو عين البقاء بجميل صفاته فلا يزال داخل الصلاة بصدق في صلاة وان خرج منها لان الدخول بصدق يوذن بالخروج منها بصدق وذلك عين البقاء فيها فما حتم الاقبال والدخول حتى حرم الاعراض والذهول فلا ينبغي للعاقل ان يجعل صلاته محلا لقضاء اوطاره ومعدنا لخواطره وافكاره بل اللائق ان تكون قبر اقباره تعرض عليه حقيقة جنته او ناره يقلب فيها سبيكة قلبه من دنس اغيارها وينقيها من خبائث غشها واشرارها فلا يخرجها من كبير المجاهدة الا لجنة المشاهدة فافهم

ثم قال رضي الله عنه (فالمومن بين امرين خوف ورجاء ان خاف ذاق وان رجا شاق خوفه لا يحجبه عن رجائه ورجاوه لا يحجبه عن

خوفه ذوقه في الخوف يرجيه وشوقه في الرجاء يهنيه) الخوف والرجاء حالتان تتواردان على القلب وتتعاقبان عليه بتعاقب اسبابهما فللخوف موجبات وللرجاء موجبات قال تعلى يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال يدعون ربهم من فوقهم وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار

من بكى

من بكى من خشية الله حتى يلج اللبن في الضرع ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في منخري عبد ابدا وقال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فالخوف معنى متعلقه في المستقبل لانه اما ان يخشى هجوم امر مكروه او فوات امر محبوب ولا يكون هذا الّا في امر سيحصل في المستقبل وقد فرض الله على عباده ان يخافوه فقال وخافون ان كنتم مومنين وقال واياي فارهبون ومدح المومنين بالخوف فقال يخافون ربهم من فوقهم وهو على مراتب خوف وخشية وهيبة فشرط الخوف الايمان قال تعلى وخافون ان كنتم مومنين وخشية وشرطها العلم قال تعلى انما يخشى الله من عباده العلماء وهيبة وشرطهما المعرفة قال تعلى ويحذركم الله نفسه والخوف سوط الله يسوق به قلوب احبابه حتى يولجهم بازعاجه على بابه وقد اختلفت اقوال العلماء بالله في الخوف كل على قدر شربه قال ابو حفص الخوف سراج القلوب به يبصر ما فيه من الخير والشر وقال ابو علي الدقاق الخوف ان لا تعلل نفسك بعسى وسوف وقال الدمشقي الخائف من يخاف من نفسه اكثر مما يخاف من الشيطان وقال ابن الجلا الخائف من تامنه المخوفات وقيل ليس الخائف الذي يبكي ويمسح عينيه بل الخائف من يترك ما يخاف ان يعذب عليه قيل للفضيل ما لنا لا نرى خائفا فقال لو كنت خائفا لرايت الخائفين ان الخائف لا يراه الّا الخائفون وان الثكلى هي التي تحب ان ترى الثكلى وقال يحيى ابن معاذ مسكين ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لدخل الجنة وقال الكرماني علامة الخوف الحزن الدائم وقال ابو القاسم الحكيم من خاف من شيء هرب منه ومن خاف الله هرب اليه وقال معاذ بن جبل المومن لا يطمئن قلبه ولا تسكن روعته حتى يخلف جسر جهنم وقال بشر ابن الحارث الخوف ملك لا يسكن الّا في قلب متق وقال ابو عثمان آفة الخائف السكون الى خوفه لانه امن خفي وقال الواسطي الخوف حجاب بين الله وبين العبد ومعناه والله اعلم ان الخائف متطلع لوقت ثان وابناء الوقت لا تطلع لهم المستقبل وحسنات الابرار سيآت المقربين

وقال بعضهم الخائف يهرب من ربه الى ربه وقالت عائشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله الذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة اهو الرجل يسرق ويزني ويشرب الخمر قال لا ولكن الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف ان لا يتقبل منه وقال ابن شيبان اذا سكن الخوف القلب احرق مواضع الشهوات منه وطرد رغبة الدنيا عنه وقيل الخوف قوة العلم بمجاري الاحكام وقيل الخوف حركة القلب من جلال الرب وقال ابو سليمان ينبغي للقلب ان لا يكون الغالب عليه الا الخوف فانه اذا غلب الرجاء على القلب فسد ثم قال يا احمد بالخوف ارتفعوا فاذا ضيعوه نزلوا وقال الواسطي الخوف والرجاء زمامان على النفوس لئلا تخرج الى رعوناتها وقال اذا ظهر الحق على السرائر لا يبقى فيها فضلة لرجاء ولا خوف ومعناه اذا اصطلمت شواهد الحق الاسرار وملكتها فلا يبقى فيها مساغ لذكر حدثان والخوف والرجاء من آثار بقاء الاحساس باحكام البشرية وقال الحسن من خاف من شيء سوى الله تعالى او رجا سواه اغلق عليه ابواب كل شيء وسلط عليه المخافة من كل شيء وحجب بسبعين حجابا ايسرها الشك وان مما اوجب شدة خوفهم فكرتهم في العواقب وخشية تغير احوالهم قال تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وقال تعالى هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فكم من مغبوط في احواله انعكست عليه الحال * وشقي بمقارفة قبيح الاعمال * فبدل بالانس وحشة * وبالحضور غيبة * وانشد ابو علي الدقاق

احسنت ظنك بالايام اذ حسنت ... ولم تخف سوء ما ياتي به القدر

وسالمتك الليالي فاغتررت بها ... وعند صفو الليالي يحدث الكدر

وقيل لما ظهر على ابليس ما ظهر طفق جبريل وميكائيل عليهما السلام يبكيان زمانا طويلا فاوحى الله اليهما مالكما تبكيان كل هذا البكاء فقالا يا ربنا لا نامن من مكرك فقال الله تعالى هكذا كونا لا تامنا مكري وحكي عن السري السقطي انه قال اني لانظر الى انفي في اليوم كذا كذا مرة مخافة ان يكون قد اسود لما اخافه من العقوبة وقال ابو حفص منذ اربعين سنة اعتقادي في نفسي ان الله ينظر الي نظر السخط واعمالي تدل على ذلك

وقال حاتم الاصم لا تغتر بموضع صالح فلا مكان اصلح من الجنة ولقي فيها آدم ما لقي ولا تغتر بطول العبادة فان ابليس بعد طول العبادة لقي ما لقي ولا تغتر برؤية الصالحين فلا شخص اكبر من المصطفى صلى الله عليه وسلم لم ينتفع به بعض اقاربه وسئل الشبلي لم تصفر الشمس عند الغروب فقال لانها عن مكان التمام فاصفرت لخوف المقام وكذا المومن اذا قرب خروجه من الدنيا اصفر لونه لانه يخاف المقام فاذا طلعت الشمس طلعت مبيضة كذلك المومن اذا خرج من قبره خرج ووجهه مشرق ويحكى عن احمد بن حنبل انه قال سالت الله ربي عز وجل ان يفتح علي بابا من الخوف ففتح فخفت على عقلي فقلت يا رب على قدر ما اطيق فسكن ذلك واما الرجاء فانه حالة مقبولة محمودة لكن ينبغي ان يكون عليها العبد عند سفره الى الآخرة او يرجع اليها عند غلبة الخوف عليه خشية القنوط واما في حال الصحة فالخوف وما ضاهاه اولى لان به يكون الادلاج وهو الى الترقي اعظم سلم ومعراج قيل من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل قال تعالى من كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا عن ابى الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام قال قال ربكم عبدي ما عبدتني ورجوتني ولم تشرك بي شيئا غفرت لك على ما كان منك ولو استقبلتني بملء الارض خطايا وذنوبا استقبلتك بمثلهن مغفرة فاغفر لك ولا ابالي وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة شعير من ايمان ثم يقول اخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة خردل من ايمان ثم يقول وعزتي وجلالي لا اجعل من آمن بي ساعة من ليل او نهار كمن لم يومن بي قيل الرجاء تعلق القلب بمحبوب سيحصل في المستقبل وبالرجاء عيش القلوب واستقلالها والفرق بين الرجاء وبين التمني ان التمني يورث صاحبه الكسل ولا يسلك طريق الجهد والجد وبعكسه صاحب الرجاء فالرجاء محمود والتمني معلول قال ابن عطاء الله الرجاء ما قارنه عمل والا فهو امنية وهذا من حيث

المعنى كقوله صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه اي حاسبها وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني قال شاه الكرماني الرجاء حسن الطاعة وقال ابن حبيق الرجال ثلاثة رجل عمل حسنة فهو يرجو قبولها ورجل عمل سيئة ثم تاب فهو يرجو المغفرة والثالث الرجاء الكاذب يتمادى على الذنوب ويقول ارجو المغفرة ومن عرف نفسه بالاساءة ينبغي ان يكون خوفه غالبا على رجائه وقيل الرجاء ثقة الجود من الكريم وقيل الرجاء روية الجليل بعين الجمال وقيل هو قرب العبد من ملاطفة الرب وقيل السرور بالفوائد بحسن الميعاد وقيل هو النظر الى سعة رحمة الله تعلى اه ما تعلق به الغرض من تعريف الخوف والرجاء واشبعت الكلام فيه لياخذ مطالع هذا التعليق حظه ونصيبه من حلوان اذواقهم عسى ان تحمله داعية اشواقهم وكان جل ما نقلته هنا من رسالة الامام القشيري بعضه باللفظ وبعضه بالمعنى واما ما يتعلق بكلام المولف رضى الله عنه فاقول وعلى الله اعول فالمومن ينبغي له ان يكون في برزخ التوسط بين الامرين واقفا على بساط الحالين متمسكا في ترقيه بكلا الحبلين وذلك الخوف والرجاء فاذا حصلت له حالة الخوف من سطوات الرب جل جلاله ذاق طعم الوجل واصطلم تحت قهرمان جلاله عز وجل وان حصلت له حالة الرجاء وتعاظمت عليه مشاهدة سعة رحمته تعلى وما تضمنته من الآلاء والنعماء هيجه ما رآه فاشتاق الى اللقاء وكره المقام في هذه الدار والبقاء اذ هي سجنه قال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المومن والقبر حصنه او كما قال وحيث كانت كذلك فلا يلذ بها عيش من شاهد وسع رحمته تعلى ولا تحجبه حالة الخوف بعظيم جلالها عن حالة الرجاء بعظيم جمالها ولا العكس بالعكس فذوقه من ثمرات خوفه يوجب له حسن الرجاء وشوقه الى مخدرات رجائه يهنيه فوزا بالمنى لانه ثابت بين مركزي الخوف والرجاء فالى ايهما شاء لجا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو وزن رجاء المومن وخوفه لاستويا او كما قال وقال بعضهم الخوف والرجاء هما كجناح الطائر اذا استويا استوى

الطائر وتم طيرانه واذا نقص احدهما وقع فيه النقص واذا ذهبا صار الطائر في حد الموت وقيل من حمل نفسه على الرجاء تعطل ومن حملها على الخوف قنط ولكن من هذه مرة ومن هذه مرة قلت والاشارة بعموم قوله تعلى ومن كل شي خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ففروا الى الله تتضمن ما مر وتفيد الفرار الى الله من السكون اليهما والدخول تحت ظلهما فقد جعلهما الله تعلى للسائر اليه بمثابة النار والماء للصانع فلولا حرارة النار الذي هو الخوف ما خرج خبث ولولا اطفاء السبيكة في الماء الذي هو الرجاء ما نفع لبث فلا تصفو سبيكة القلب من ادرانها وتتقدس من ادناسها إلّا بدفنها في لهب نار الخوف تارة وغمسها في ماء الرجاء اخرى حتى اذا زكت احوالها وكمل منوالها استحقت مكان ذلك تنويرا وابدلت مكان المعول تشهيدا واستراحت من كيد المجاهدة وصارت حلة التجمل والمشاهدة فافهم ولك فيه وجه آخر وهو ان الله تعلى جعل علقة القلب معلقة بين عمودي اليمين والشمال وجعل لليمين ملكا يكتب الحسنات وللشمال ملكا يكتب السيآت فاذا التفت انسان القلب الى جهة اليمين واجهه نهار الرضى بنسيمه واتسع فضاء الرحمة امامه في ضياء نعيمه وان توجه الى جهة الشمال قابله ليل السخط بظلامه فخاف المقت من خلفه وامامه فلا يزال يتدحرج بين الامرين ما لم يرجح احد الحالين فان استوى حاله فذلك وان رجح الى اي جهة غلبت تلك الحالة عليه وكان محكوما بها عليه وكون ملك اليمين امينا على ملك الشمال كما روي ذلك عنه صلى الله عليه وسلم اشارة والله اعلم الى ان رحمة الله تغلب غضبه كما قال ان رحمتي تغلب غضبي لان مئونة بناء الجنة تخرج على باب اليمين ومئونة النار على باب الشمال فالجنة اثر الرحمة وهي توجب قوة الرجاء والنار اثر الغضب وهو يوجب شدة الخوف فالعبد سائر في سبيل عمره بين علمي الخوف والرجاء فما غلب عليه حكم له به وإلّا فهو منتقل من حال الى حال حتى ينتهي الى الفناء على كل حال وانظر الى قوله تعلى وفي انفسكم افلا تبصرون تجد شواهد الحق وادلته مركوزة في هذا القالب الانساني باسرها اذ هو عالم اكبر كما قال

دوائك منك وما تشعـــر　　وداؤك منك وما تبصـــر
وتحسب انك جرم صغير　　وفيك انطوى العالم الاكبر

واعلم ان بعث الانسان من بطن امه بمثابة بعثه من قبره وزمن صباه الى بلوغه الحلم بمنزلة سعيه الى حشره فان بلغ الحلم نصب ميزانه ووضع على كاهليه فكفة الحسنات منسدلة على جهة اليمين وكفة السيآت منسدلة على جهة الشمال وكان قلبه بمثابة لسان الميزان يرجع الى احدى الكفتين فان رجحت احداهما مال اليها والّا فهو في الاستواء وكان الزمن الذي بعد البلوغ كجسر الصراط يسلكه على وفق اعماله ويمر عليه بحسب احواله ان خيرا فخير وان شرا فشر وكما ان له قبرا بعد موته الحسي يكون له مقر في مقام الفناء بعد الموت المعنوي وكما ان له جنة موجلة كان له هنا جنة معجلة وهي حضرة الرب واعظمها نظر وجهه الكريم في جنتي الحضور والنعيم غير ان النظر هنا قلبا وهناك بصرا هذا ان كان سعيدا سلك صراط عمره على الاستقامة وان كان بالعكس فاعظم عذابه كثافة حجابه عافانا الله مما ادرك به اهل سخطه وجعلنا من اهل رضاه ولطفه بمنه وكرمه قالت رابعة العدوية

واذا سالتك ان اراك حقيقـــة　　فاسمح ولا تجعل جوابي لن ترى

قال صلى الله عليه وسلم المومن كخامة الزرع وقال كالنخلة تقوم مرة وتقع اخرى اوكما قال فاذا هبت رياح الرجاء حركت ورقة قلبه الى جهة اليمين واذا هبت رياح الخوف حركتها الى جهة الشمال فلا يزال كذلك حتى تتم ايامه ويتحقق بالخاتمة مقامه نسال الله تعلى الختم على السعادة والحسنى والزيادة انه كريم جواد ثم قال رضي الله عنه

(واعلم ان الخوف خوفان خوف يخرجك من القنوط وخوف ينجيك من السقوط والرجاء رجاآن رجاء ينسيك امنية المعهود ورجاء يكشف لك عينية الشهود والرجاء ما خيف فيه العقاب والخوف ما رجي فيه الثواب فكن في خوفك لاحسان ربك راجيا وكن في رجائك لخوف عذابه لاقيا) كلامه في الخوف والرجاء المحمودين وقد قسم كلا الى

قسمين

قسمين فاحد الخوفين ما يخرج صاحبه من وصف اليأس والقنوط والآخر ما ينجو به موصوفه من نعت السقوط وذلك بمزجهما برجاء احسانه وتفضله وامتنانه حتى اذا واجهته العناية الربانية وقابلته الايادي الرحمانية فكان خوفه احسانيا وشهوده ايقانيا نجا بفضل الله من المخافة والخطر وكان حاله في خوفه هيبة وحذر فلا يهجم عليه الخوف بسلطانه إلّا بقدر ما تقتضيه رتبة ايمانه وكذلك الرجاء رجاآن احدهما ان تنسى به تمني ما عهد والآخر ان يكشف لك به عن معاينة ما شوهد لانك ان رجوت ما فيه حظ للنفس كان ذلك قادحا في المعنى والحس فالرجاء ان لا ترجى كما ان الخوف ان لا تخاف وان كان ولابد فاجعل في خوفك شهود احسانه وانعامه وفي رجائك معاينة سطوات انتقامه فاذا صح لك هذا الوصف آمنك الرجاء والخوف وكان ملك اليمين مصافحا لك في كل حين وكان ملك الشمال حذوك كالخيال لانهما يعطلان عن الكسب لخروج امرك عن حد الجزاء بالكسب وكان حالك في دنياك بمثابة من وضع في قبره تحار العقول في امره وكما ان الكاتبين يقفان على شفير قبرك ولا يكتبان شيئا فكذلك هنا يونسانك رعاية لحرمتك ورفعا لقدرك لا غير كيف لا وهما انما وكلا بكتب ما اريد به المجازاة وانت اخرجت عن جميع الامنيات فهيهات ان يكتبوا لك او عليك شيئا هيهات لان قيامتك قد قامت وعينك في قبر انفرادك بوحدانية الله نامت عجبا من ميت يمشي على وجه الارض منزه الروحانية عن حد الطول والعرض لا يرى غيرا ولا يخاف شرا ولا يرجو خيرا لا يخوفه تهدد ولا يرجيه تودد فنيت بشريته وارادته حتى صار مراد الحق له مرادا فتحقق انه ليس له من الامر شيء فطويت له مسافة عوالمه طي من مات قبل ان يموت وحوسب قبل ان يحاسب ووزن قبل ان يوزن وجاز الصراط ودخل جنته وشاهد منته فقال الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوء من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين فخوف من كانت هذه حاله هيبة وجلال ورجاء من هذا نعته حياء

وانس وجمال لا ينغص عيش روحانيته بكدر ولا يشوب شراب سره بغير خفيت عن الادراك احواله وغابت عن التكييف اعماله تراه خائفا وهو في بساط الرجاء وتحسبه في وسم الرجاء وهو خائف لا يحجبه شان عن شان وكل نفس هو في شان تنوعت ارزاقه واتسعت عن العقول القاصرة اخلاقه روحاني شفاف يرى ظاهره من باطنه وباطنه من ظاهره يزداد الناظر فيه حيرة تنتقش في مرآته الاشياء من غير حلول * وعن صقالته لا يتحول ولا يزول * فهو في هذه الدار بمثابة الجنين في بطن امه لا يضره حر ولا يدركه ضر يدخل عليه رزقه من اعماق صرته * وانعطف عليه الرحم بقدرته * فهنيئا له في الدارين لا يخرج الا لمتسع الشهود وانوار الوجود والفاظ المولف متقاربة المعنى وما لاح لنا فمن بركاته ولله الحمد ثم قال رضي الله عنه (ان احتقرت الصغائر من الذنوب قابلك فيها بعدله فلا منجا وان استعظمت في خوفك الكبائر فانها في عفو الله كالهباء لا كبيرة مع الاستغفار والخوف يصحبها ولا صغيرة مع الاصرار والرجاء يشملها) انقسمت الذنوب بمجرد النظر الى وصفها على قسمين صغائر وكبائر هذا ان صارت على وجه اتباع الشهوات والركون الى الهوى والوقوع في المخالفات لا غير اما ان انضم الى ذلك شيئ من احتقار الصغائر او استعظام الكبائر فالحكم فيها شيئ آخر وذلك ان الانسان اذا عمل ذنبا صغيرا واحتقر حاله وقصر نظره عن ان يراعي عظمة مولاه وجلاله قابله المولى بقهرية عدله وسلطانه وحجب عنه بهجة احسانه ومنة غفرانه فكان بقدرة الله كبيرا بعد ان كان صغيرا عدلا من الله تعالى لكونه احتقر الذنب واستصغره ولا رجع الى قدر المعصى ولا نظره فكان عاقبة امره الى الخطر وقيل له في زائف رجائه لا منجا من الله الا اليه ولا وزر وان صدر منه ذنب كبير على وجه سوابق القضاء والتقدير فاعقبه في قلبه عظيم الخوف والوجل وقوي في شهوده سلطان الله عز وجل فعظمت عليه هيبة الله جل جلاله وعلم انه قصر وساءت حالة يواجهه المولى بجعل كبيرها صغيرا وعظيمها حقيرا

فكانت بفضله متلاشية في جنب غفرانه كالهباء فلا صغيرة مع اصرار ولا كبيرة مع استغفار فالمضر للمرء غفلته عن ربه واحتقار مخالفاته وذنبه التي هي نتيجة نشات عن استصغار الذنب واحتقار جلال الرب فلو عرف العبد ربه وملا من مهابته الخوف منه لبه لقابله بما يليق بجلاله ولم يواخذه بقبيح افعاله تطولا منه وفضلا كيف لا وهو الى ذلك لا زال ولا يزال اهلا فلا تتوهم ان في الذنوب كبائر وصغائر على الخصوص إلّا ما يقتضيه ظاهر الشرع واما باطنه فالمنظور اليه حال المذنب مع من عصاه ويعامل على وفق ما عنده فلا يلومن العبد المسكين إلّا نفسه فرب صغيرة تتعاظم ورب كبيرة تتصاغر وذلك بحسب حال فاعلها وشهوده اياها فان الله تعلى ينظر في قلب عبده عقب ذنبه فان وجد فيه استعظام المخالفة وشديد الاكتراث بها تجلى عليها بجميل صفاته واقسم على غفرانه بحياته وان وجد فيه احتقار ذلك واستصغار ما هنالك تجلى عليها بعدلية صفاته وحكم على فاعلها بوجوه توجب الانتقام لانه تعلى ينزل العبد منه حيث انزله العبد من نفسه واستعظام الذنوب واحتقارها بنسبة شهود المعصى فلو شاهده عظيما لعظمت عليه المخالفة على كل حال ولا يرى فيها كبيرا ولا صغيرا لان المعصى كبير فلو شاهده بالعكس كان جميع ذنوبه عظائم في المعنى والحس وتامل قوله

عين الرضى عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

فلو نظر هذا المسكين الى وسع عفو الله وكرمه ما عظم عنده ذنب ولو نظر الى شديد بطشه وعظيم سلطانه ما صغر عنده ذنب قال ابن عطاء الله لا صغيرة ان قابلك عدله ولا كبيرة ان واجهك فضله وقال يحيي بن معاذ رضي الله عنه ان وضع عليهم عدله لم تبق لهم حسنة وان قابلهم فضله لم تبق لهم سيئة ومن دعائه رضي الله عنه الاهي ان احببتني غفرت سيآتي وان مقتني لم تقبل حسناتي وما احسن قول سيدي ابي الحسن الشاذلي رضي الله عنه في دعائه ومناجاته واجعل سيآتنا سيآت من احببته ولا تجعل حسناتنا حسنات من ابغضته فالاحسان لا ينفع مع البغض منك والاساءة لا تضر مع الحب منك وقال ابن عطاء الله

لا يعظم الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن بالله تعالى فان
من عرف ربه استصغر في جنب كرمه ذنبه قال ابن عباد عظمة
الذنب عند مرتكبه على وجهين احدهما ان يعظم عنده عظمة تحمله
على التوبة منه والاقلاع عنه وتصدق العزم على ان لا يعود الى مثله
فهذه عظمة محمودة وهي من علامات ايمان العبد قال عبد الله ابن مسعود
رضي الله عنه ان المومن يرى ذنوبه كانه في اصل جبل يخاف ان
يقع عليه وان الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على انفه فقال به هكذا
فطار والثاني ان يعظم الذنب عنده عظمة توقعه في اليأس والقنوط
وتوديه الى سوء الظن بالله فهذه عظمة مذمومة قادحة في الايمان
وهي شر عليه من ذنوبه وسبب ذلك وجود جهله بصفة مولاه المحسن
الجواد الكريم قال في التنوير واعلم انه لابد في مملكته من عباد هم نصيب
الحلم ومحل ظهور الرحمة والمغفرة ووقوع الشفاعة وافهم ما قال رسول
صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم
وجاء بقوم يذنبون ثم يستغفرون الله تعالى فيغفر لهم وقوله صلى الله
عليه وسلم شفاعتي لاهل الكبائر من امتي وجاء رجل الى الشيخ ابي
الحسن الشاذلي فقال له ياسيدي كان البارحة بجوارنا من المنكرات
كيت وكيت وظهر من ذلك الرجل استغراب ان يكون هذا فقال يا هذا
كانك تريد ان لا يعصى الله في مملكته من احب ان لا يعصي الله في
مملكته فقد احب ان لا تظهر مغفرته وان لا تكون شفاعة رسوله
صلى الله عليه وسلم وكم من رجل كثرت اساءته وذلت مخالفته اوجبت
له الرحمة من ربه فكن له راحما وبقدر ايمانه وان عصى عاملاه
وفي الخبر عنه صلى الله عليه وسلم لولا الذنب خير للمومن من العجب
ما خلا الله تعالى بين مومن وبين ذنب ابدا اي لان العجب ينشا
من روية النفس والرضى باحوالها ودواعيه لاحوال والخوف والحزن
والقلق نتيجة عدم الرضى من النفس واستعظام مخالفتها لمولاها العظيم
فيورثها الاحتقار والاستكانة وهو اجل الاحوال فبهذه النسبة ظهرت خيرية
الذنب مع وجود التوبة على الطاعة مع الاعجاب فافهم واطلنا الكلام

في هذا لانه محل الحاجة كما علمت ثم قال رضي الله عنه

(قليل عمل مع الخفاء يتزايد امداده وكثير عمل مع الرجاء يتضاعف خسرانه لا تعدل العمل وانت ترجو عليه ولا تترك العمل وانت تخاف فيه واعمل العمل من غير روية مجازاة واترك العمل من غير خوف مبالاة) يقول ان مازج خوف عظمة الباري جل جلاله وشهود سلطانه صالح الاعمال نتج منه المضاعفة لها والتكثير لامدادها وان قلت في عالم الحس اعدادها لكون ذلك ناشئا عن روية التقصير والرب تعلى بذات صدور عبيده خبير وان خالط العمل الصالح شهود وجوده والاكتراث بكثرة وروده اورث ذلك رجاء المجازاة الذي هو نتيجة الاعتماد على الطاعات فكانت تلك الاعمال قليلة الامداد وان كانت في الواقع كثيرة الاعداد ومشهد المقربين غير هذا لانهم يرون ان طلب المجازاة قادح في العبودية لمولاهم الذي عملوا لاجله وتاهوا في حبه فمشهدهم احساني وعيانهم ايقاني فرغبتهم من سيدهم العوض على اعمالهم روية منهم لانفسهم ونسبة العمل لها واثبات لحولها وقوتها وهذا يناقض ما هم عليه من الشهود وما هم فيه من الوجود فهذه الحالة وهي العمل على وجه الرجاء والخوف تنافي رتبتهم وتباين قربتهم اذ مقامهم الاخلاص ودوام الاختصاص لا يبتغون عوضا ولا يقصدون باعمالهم غرضا ما سوى الرضى منه عنهم وخواص الخواص منهم يرون ان قصد الرضى منهم بسبب اعمالهم قادح وعيب فادح بل يشترطون الخروج عن روية النسبة والاضافة راسا بشهودهم ان لا هو الا هو فما لهم من اعمال محض تفضل بتقدير المتعال اذ هي خلقه كما قال والله خلقكم وما تعملون شهودا حاليا بخلاف السادة الابرار فانهم عاملون على قصد المجازاة وهو غير مضر في حقهم كما ورد حسنات الابرار سيآت المقربين فاذا عرفت هذا علمت ان العمل على الرجاء والترك على الخوف شان الابرار وشان المقربين الخروج عن الوصفين بالكلية فلا يريدون بالعمل ثوابا ولا يخافون بالترك عقابا لتمحض عبوديتهم له تعلى وصحة وثوقهم بما تقدم لهم عنده

وشاهدوه بنور يقينهم لاسيما وقد اطلعوا على خبيئة الرجاء عن العمل فوجدوها ناشئة من مادة الاعجاب به والاعتماد عليه كما وجدوا ذلك في كبد الخوف فارتحلوا من حيث نزلوا وخافوا في موجبات الرجاء ورجوا عند موجبات الخوف علما منهم ان ذلك ليس هو من تدبيرهم ولا من تقديرهم الا الى الله تصير الامور فصيروها اليه حالا وشاهدوا انهم تماثيل لا حقيقة لوجودها عند التحقيق ولا حركات لها ولا سكنات اذا نظرت بعين التدقيق قال ابن عطاء الله لا تطلب اجرا بعمل لست له فاعلا وهو واضح كما مرت الاشارة اليه في الآية الكريمة وقال رضي الله عنه (صح العمل ان قارنه العلم وصح العلم ان قارنه العمل لا عمل لعامل ان لم يصحبه علم ولا علم لعالم ان لم يصحبه عمل اعمل ما شئت فانك بالعلم مطالب واعلم ما شئت فانك عن العمل مجاوب) اشبع المولف رضي الله عنه الكلام في هذا المحل والذي يليه وقد مر التنبيه عليه فيما سلف في الصحيفة ونعود عليه هنا بما امكن ان شاء الله فاقول يشير به والله اعلم لقوله صلى الله عليه وسلم الناس هلكى إلّا العالمون والعالمون هلكى إلّا العاملون والعاملون هلكى إلّا المخلصون والمخلصون على خطر او كما قال فالعلم مقدم على العمل والعمل تابع له فلا يصح عمل بدون علم والعلم واجب لا لنفسه بل هو وسيلة للعمل به فلا صحة للعمل بغير علم ولا ثمرة للعلم بغير مقصده وهو العمل فالعمل بغير علم كالسير على غير الجادة قل ان ينجو من هو كذلك من الوقوع في بعض المهالك والعلم بلا عمل كالشجرة بلا ثمر وكمستوقد سراج يستضي به غيره ولا ينتفع هو به لكونه اعمى فالعالم وان كثرت علومه فلا ينجيه إلّا العمل به والعامل وان تنوعت اعماله فلابد من ممازجة العلم له فالعالم مسئول عن العمل والعامل مطالب بالعلم في ابتدائه زادا والاخلاص في اثنائه معادا فلا علم للعالم إلّا بالعمل به ولا عمل للعامل إلّا ان يسلك جادة العلم به والاخلاص فيه ثم الخروج عن روية الاخلاص كما مر واشار بقوله (العلم ان لم تصحبه الخشية فهو جهل والجهل ان صحبته الخشية فهو علم) الى ان

خيرية العلم في مقارنته للخشية من جلال الله تعلى والهيبة من عظيم سلطانه والتعظيم لشعائره والوقوف عند حدوده ومشاهدة اطلاعه ووجوده قال تعلى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال صلى الله عليه وسلم تعلموا العلم وتعلموا مع العلم السكينة والوقار وقال خير العلم ما قارنته الخشية او كما قال فالعلم ان لم ينتج الخشية والمخافة من الله تعلى جهل محض ولو علم صاحبه لابصر حاضره وراقب ناظره وجلس على بساط لا تخفى منكم خافية الموجب له الخوف والهيبة والحياء والاجلال وبقدر العلم الحقيقي يكون التعظيم فهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب ولا يخفى ان اولي الالباب هم ارباب الخشية من الله الذين لاح لهم من نور علمهم طالع التوفيق فاستضاءوا به واهتدوا وابصروا رشدهم فسلكوه وغيهم فتركوه فعلمهم هذا اوجب لهم المعرفة قال صلى الله عليه وسلم انا اعرفكم بالله واخوفكم منه او كما قال فبقدر العلم به والمعرفة له تكون الخشية منه فمن لا خشية له لا معرفة عنده ولا علم ومن اتصف بالسكينة والوقار وصحبته الخشية والذلة والاحتقار فهو والحمد لله عالم بالله عارف له ولا يضره والحالة هذه جهله بالاحكام المتقلقلة بالالسنة والاقلام لثبوت الثمرة المقصودة من العلم فهذا واشباهه هم المعنيون في مخاطبة سيدهم بقوله اتقوا الله ويعلمكم الله وبقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين فالهداية الالهية اوقفتهم على بساط المعاملة وتقلبهم فيها بالمجاهدة افتتح لهم اشعة انوار العلم به فابصروا سبيله المستقيم وسلكوا بارشاده على النهج القويم فاناخوا رواحلهم في ربوة الاحسان وفازوا من معيته بما اوجب لهم الاطمئنان فهؤلاء علمهم به دلهم عليه ومعرفتهم له وجهتهم اليه فدلالتهم به عليه وسيرهم منه اليه دعاهم بلا واسطة فاجابوه حبا وشوقا وحباهم جمعا وفرقا فلهم السبق في الاصول والفوز بالمامول وقال صلى الله عليه وسلم ما اتخذ الله وليا جاهلا ولو اتخذه لعلمه او كما قال فمعرفة الله والعلم به موجبان للشوق الموجب للخدمة المثمرة للذوق فما عبدوه حتى عرفوه بقدر امكانهم وتوجهوا اليه بحسب نور ايمانهم وصاروا

في حضرة عنديته على وسع ايقانهم فمن حصل له العلم بالله انتفى عنه اسم الجهل تحقيقا فهذه العلوم المسطرة شريعة وحقيقة ما نبعت إلّا من جداول المعرفة بالله والعلم به خرجت منه للدلالة عليه وما كدر صفو بعضها إلّا سبخة اراضي القلوب الظلمانية فاكتسبت الكدر من ذلك المستقر وإلّا فهي في نفسها في غاية الصفاء فعند انكشاف الظلمة على قلب المرء تظهر له حقائق الامور فلا يجد باطلا قال تعلى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما إلّا بالحق وقال ربنا ما خلقت هذا باطلا فظلمة الجهل به سترت انوار شهوده وغيبت البصائر عن ادراك شمس وجوده فانقسمت الخلق على قسمين وافترقوا فريقين مهتد وضال ومرتحل وحال ولو علموا ما افترقوا ولو شاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزالون مختلفين إلّا من رحم ربك فالمرحومون هم اهل العلم به والمعرفة له والمحبة فيه والتوكل عليه والرجوع اليه فلا جهل مع العلم بالله والخشية منه والاعظام له ولا علم مع العكس واشار المولف رضي الله عنه لتمام ما قدمناه فقال

(ليس العلم كله علما وانما العلم بالله هو العلم وليس الجهل كله جهلا وانما الجهل بالله هو الجهل اتظن انك بالله عالم وانت في الحقيقة جاهل ولو كنت في علمك مخلصا لكان عملك لله خالصا)

لا يخلو العلم من ان يقود صاحبه الى سواء السبيل او ينفلت به في تظليل فان اهتدى به صاحبه الى معرفة ربه بتحقيق مقامات قربه فعثر على مكنون اسرار علومه القيومية وتجلياته الديمومية المشرقة من سماء الافعال والاسماء والصفات وانهلك في قهرية الفناء في الشهود وغاب عن الوجود كان هذا والحمد لله عارفا به ان نظر فله وان اشار فاليه وان قال فبه وان تحرك فمنه وان سكن فاليه كل احواله بالله والى الله ومن الله وعلى الله فمن كانت هذه حاله كان عالما وان كان في ظاهر الامر جاهلا لان علمه لدني تلقاه من حضرات العندية وظفر به من تنزلات الصمدية لا يقال في حقه كيف ولا من اين لكونه واجهته العناية الربانية واكتنفته الالطاف الاحسانية فبنح له ثم بنح قال تعلى وعلمناه من لدنا علما سمعت الاستاذ المولف رضي الله عنه يقول دخل

سيدنا ابراهيم بن ادهم الى مسجد وكان في يقينه انه عرف جميع اهل دائرة التصرف فوجد رجلا ملتفا في حصير فركضه برجله وقال له قم تحضر مجلس الشيخ عبد الرزاق فاجابه من غير ان يراه ببصره اصلا دعني يا ابراهيم فانني اقرا على الرزاق لا على عبد الرزاق فعلم ابراهيم عدم احاطته ببحر الولاية وادرك وسع سبل اختصاص الحق جل جلاله لمن اختصه بواسطة سالف العناية وعلم ان من الخلق من حاله مع الله بلا واسطة ولا وسيلة بل بمحض تفضله عليه اختصه وكان انيسه ودليله كما قال صلى الله عليه وسلم ان من امتي لمحدثين وان عمر لمنهم كما يشهد له قوله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه لا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه وبصره الحديث فهذا وامثاله ممن اتصف بقرب النوافل هو الذي يصح عليه اطلاق اسم العلم ويعني به ويشار به اليه ويستدل به عليه ويحق له ان يكون سبيلا للاهتداء وقطبا للاقتداء اذ هو ترجمان الحق وخاصته في الخلق كان عنده من العلم الظاهر مادة ام لا الّا ما لابد منه فلا غناء لاحد عنه ولولا وجوده فيه ما تقرب به اليه فافهم واما من كانت علومه مقالية نقلية وفهومه جبليات عقلية لا شك انه نفضي به ان لم تتداركه العناية وتخلصه الى سجين الممارة وتزج به في بحار المباهاة والشهوات فهيهات ان يقال لموصوفها عالم هيهات لانه جاهل من حيث جهله بربه فلو كانت له نسبة في العلم لعلم نفسه اولا ثم عرف ربه لان من عرف نفسه عرف ربه اعرفكم بنفسه اعرفكم بربه فمحال ان يعرف الانسان ربه باوصاف كماله ونعوت جماله دون معرفة نفسه باوصافها الدنية وتخليه عن نعوتها الردية حسبما يقتضيه التخلي والتحلي قال ابن عطاء الله لا يخرجك من الوصف الّا شهود الوصف فعلم المربي نفسه واطلاعه عليها وعثوره على مغيبات دقائقها ومكنونات حقائقها هو العلم اذ هي عالم عظيم لا يحاط بكنه حقيقته فمن اطلعه الله عليه واراه ملكوته كان عالما حقا اذ عيوب المربي يجدها فيه لا في بواطن الكتب والدفاتر التي افنى عمره في البحث عنها والتطلع على مغيبات

فهومها ومكنونات رسومها قال تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون فلو علم نفسه وابصر ما في عالمها من الظلمة والنور والحقائق والشرور لاغناه ذلك عن مشاهدة غير ما فيه كما قال صلى الله عليه وسلم المومن بنفسه في شغل شاغل عن الناس وهذا هو داب الوارثين من الاكياس وهو معنى قول المولف ليس العلم كله علما وانما العلم بالله هو العلم اي يعلمون بالله لا بعقولهم ووسائط حدسهم ونقولهم فالعلم بالله علم وعكسه جهل وكذلك قوله ليس الجهل كله جهلا الخ فمن ظن انه عالم عارف بواسطة خصوص مجرد الاحكام دون معرفته بمولاه وعلمه به فهو مغرور وبه عياذا بالله ممكور بل هذا جهله مركب ولو كان عالما لكانت علومه بالله وفهومه عن الله وايصالها الى الله وتقبلها من الله ولكانت معرفته حقيقية وادراكاته دقيقية عاوية المقام محمودة المرام اعماله خالصة واحواله قالصة لان من علم ان اموره مشهودة وتصرفاته الظاهرة والباطنة منقودة من ناقد بصير عليم خبير لا يقدر ان يعامله بعمل زائف ويصير طول عمره من الرد عليه وعدم القبول منه خائف اذ كل ما يروج من سكك اعمال عبيده هو ناقدها بل هو خالقها قال تعالى والله خلقكم وما تعملون وقال الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير وقال لا تخفى منكم خافية وقال يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون الى غير ذلك من الآي وقد عرفت ان مقام الاحسان حقيق بالشهود والعيان يقتضي الانبعاث من صاحبه على دوام الهيبة والجلال ويحمله على عدم التخليط وتزييف الاعمال قال تعالى فهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب وقال انما يخشى الله من عباده العلماء فمن كان بحضرة الجليل جل جلاله لا يسعه شوب اعماله بالعلل ولا يمكنه ان يبقي ما فيها من خلل ثم اشار الى ما يختبر به العالم علمه والعامل عمله هل هو سالم مقبول او مدخول معلول فقال (فانظر لعملك ما يقارنه وانظر لعملك ما يقارنه فان قارنت الخشية العلم فتلك نتيجة العمل وان قارنت الثقة العمل فتلك نتيجة العلم) اقول هذا من المولف رضي الله عنه ميزان صحيح يتضح به حقيقة كلا الامرين العلم والعمل اذ جعل العلم

للعلم

للعالم محل نظر فان كشف عن صاحبه قناع الجهالة وخرج به من سجين الغواية والبطالة كان بحمد الله نافعا ولموصوفه من بين ابناء جنسه رافعا يشاهده بنوره حاضره ويكافي نظره فيورثه المهابة والخشية ويوقظه من سنة الغفلة والغشية وكذلك العمل ان قارنته الثقة بالله والاعتماد عليه وتفويض الامور فيه اليه والتبري من الحول والقوة ظفر بالنتيجة النافعة له وكان بفضل الله مرجو القبول والنفع به في الحال والمآل والّا فلا كما سينص عليه فالعمل تظهر ثمرته بامارات العلم بالله والخروج عما سواه قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال اتقوا الله ويعلمكم الله فتقوى الله اورثت العلم والمجاهدة فيه اورثت الهداية اليه فهذه نتيجة العمل العجلة وتحتها نتائج يقصر عن حصرها اللسان وتظهر ثمرة العلم بالعمل به فمن لا عمل له لا علم عنده وان تضلع في العلوم وتوغل في الرسوم وكانت علومه مع عدم العمل بها شبيهة بالسموم والعياذ بالله وقد تقدم ما يوضحه هذا ويأتي مثله ان شاء الله

ثم قال رضي الله عنه (ان اردت تصحيح العمل فثق بالله عند وجود العامل وان اردت صحة العلم فتوكل على الله في كل هم من لم يصحبه التوكل في عمله لا تصفو له قدم في عبادة ربه ومن لم يثق بالله في علمه لم يقدر على السير لمطلوبه) من الاعمال ما هو سالم من الشوائب التي تكدره ومنها ما هو مدخول معلول لانه يعرض له ما يكدره كالماء في اصل فطرته زكي ويعرض له حكم مقره كما قالوا الماء على لون انائه فاذا اراد العامل تصحيح اعماله وتصفيتها فليخرج عنها تبريا ولينتقل منها تحريا حتى يكون فيها دائما ثقته بالله مشاهدا ان تحريكه وتسكينه بالله شهودا ذوقيا يدركه ويعرف حقيقته من حل في مقام تجليات الافعال فاذا صح له هذا الشهود وخلص له هذا الورود كان في سره كالجبال الراسي لا تحركه رياح وما على باطنه في الخير والشر من جناح لانه سلم من الاعتماد على اعماله وتبرا منها في كل احواله لا ينقص رجاءه بزلل ولا يزيد بحسن عمل لشهوده ان جميعه منه

واليه وكذلك العلم شرط صحته وجود التوكل على الله تعالى فيه عند كل
مهم يهم به او خطرة تخطر له او لمحة تلوح عليه فكما ان سائر ضياء
النهار لا يعرض له شيء في سبيله الا ويعرفه ويدركه ببصره فكذلك
سائر القلب باشراق شمس العلم والمعرفة ينتقد جميع ما يواجهه ويمر
عليه المطلوبه ببصر بصيرته ويذوق طعمه بسليم سريرته الحكمة على
لسانه ناطقة والانوار على وجهه شارقة فمن عرى عمله عن التوكل
والتفويض للباري جل وعلا كان معرضا لشوبه بالكدر والقائه في شبهات
الخطر لما يصحبه من العلل ويداخله من الخلل لان النفس قد لاحظت
حظها ورامت نصيبها وفرضها وذلك عين الاشراك المودي اصاحبه الى
مفاوز الهلاك فلا يصفو في الطاعة له قدم فلا هو دخل الوجود ولا
خرج من العدم قال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا
ولا يشرك بعبادة ربه احدا فلا يرجو لقاء المحبوب في هذه الدار الا من
صفا معاملته من شوائب الشرك وخرج عن الاغيار ومن لم تصحبه
الثقة والاعتماد على الله في تلقي علومه ومعارفه منه ولم تتفجر له ينابيع
فهومه عنه لم تظهر له سرج انواره ولم يتضح له اعلام اسراره يتعذر
عليه سيره المطلوب ويتعسر وصوله المرغوب اذ شعاع انوار علومه بمدد
انواره وخطوات سيره وتقربه بسابقات نافذ اقداره فافهم ثم قال رضي

الله عنه (الثقة والتوكل ان قارنهما التفويض فتلك عين الحقائق والا
ففيهما فتنة) الوثوق بالله وتحقيق حصول ما بيده والتوكل عليه
وتفويض جميع الامور فيهما اليه شان اهل التوفيق ودأب اهل الوجود
والتحقيق فمن اعين على الاخذ بعرى الثقة والتوكل ورقى بقدم
التفويض على سلم المعاملة والتبتل كان على بصيرة من احواله ولم
يعقه ما عاق غيره من اشكاله ومن انحلت حبوة عزمه ورمدت عين
فهمه وادعى الاكتفاء بالوصفين دون تفويض كان مفتونا منحطا في
حضيض اذ روح التوكل والثقة على الله وبالله تفويض الامور اليه وبه
يصلح له الوثوق بما لديه والا فمن اين له ذلك فهذا ميزان يتميز
به صحة الثقة بالله والتوكل عليه من العكس فالتغافل عن نظر بواطنهما

شان النفس لانها تتطلع الى ما لا فائدة لها فيه وتدبر عما يصلحها من كل حال والتفويض هو معيار ذلك وبه يتبين ما هنالك ثم قال رضي الله عنه (فكن بالله في علمك يزل عنك جهلك وكن به في قولك يطل عنده ذكرك وكن به في عملك ينتج لك فكرك) اذا انعم المولى جل جلاله على عبد من عبيده وحل فكاك روحانيته من ربقة تقييده فشاهد علومه من الله فعلم به وادرك فهومه عنه فابصر به زال عنه بفضله غيهب الجهالة واستنارت به سريرته لا محالة فكانت اقواله به ارشادا وانفاسه منه امدادا يطول اذ ذاك في حضرة العندية ذكره ويرتفع في العالم العلوي قدره يثني عليه الكون باسره وينفعل بامره وان كانت اعماله بالله شهودا انتجت له فكرا ووجودا لسلامتها من الشوب النفساني والحظ الحيواني فتورث تخلية وتنتج تحلية فحاصل هذه الجبلة ان يكون الرقى بالله في علمه وعمله . وقوله وان صحت له هذه الرتبة كان زاجا في ابحر حضرات الشهود في كل احواله مباينا لامثاله ممن قصرت بصيرته عن هذا لانه اكتنفته الهوية فكان بها على الاطلاق ان اردته فشمر على ساق ثم قال رضى الله عنه (لا تقنع من علمك لان تكون عالما ولكن اقنع من علمك لان تكون عاملا ولا تقنع من عملك لان تكون عاملا بل اقنع من عملك لان تكون مخلصا ولا تقنع باخلاصك ان تكون مخلصا لان المخلصين على خطر ولكن اقنع باخلاصك ان تكون عنه غائبا) فالعلم والعمل والاخلاص بمجردها لا تكفي صاحبها ولا ترفع بساط مقاربها حتى ينضاف اليها ما يكمل مرامها ويعلي منصبها ومقامها كما قال صلى الله عليه وسلم الناس هلكى الا العالمون والعالمون هلكى الا العاملون والعاملون هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر فالعلم بمجرده لا فائدة فيه حتى يصحبه عمل والعمل لا جدوى له حتى يشيد دعائمه بالاخلاص والاخلاص هو عين الخطر لشهود المخلص من نفسه انه في اعماله مخلص فقل ان يسلم له عمل مع هذا الاستشعار فيدخل عليه العجب والاستكبار

فيرى لنفسه حولا وعلى غيره طولا فالخلاص له من شائبة الخطر ان يغيب عنه بشهود مجرى سفينة اعماله في بحار احواله وهذا معنى قولهم الاخلاص ان تفنى عن شهود الاخلاص فما دام للنفس شركة في اي وجه في العمل قل ان ينجو من الخطر والوحل قال جل جلاله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم انا اغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا اشرك فيه غيري تركته وشركه والتفات السائر في حال سلوكه الى غير مولاه قادح في عبوديته كائنا ذلك الغير من كان كما عرفت والمولف رضي الله عنه في كل رتبة رقى صاحبها الى اعلاها وارشده الى اولاها كما هو ادب الترقي حتى اوصله الى بساط التلقي وان الى ربك المنتهى كانه يقول المقصود امامك فلا تقنع بالعلم ولا العمل ولا الاخلاص بان تتخذها وطنا بل اجعلها سلما للصعود وكواكب موصلة لشمس الوجود فافهم ثم قال رضي الله عنه (العلم بالله والعمل واردان من واردات الحق ان اقمت بهما اقامك الله لخدمته وان تركتهما اوكلك الله الى غيره)

اذا انعم الله على عبد بنعمة العلم والمعرفة به والفهم عنه والتلقي منه واوقفه على بساط اخلاص العمل له وافراد التوجه اليه والاستناد عليه فليعلم انهما واردان يردان عليه من قبل الحق تعلى فان قام بهما ووضعهما في محلهما وحررهما من رق شهود الغير معه اثابه المولى بان يقيمه لخدمته ويستخلصه لقربته ويجعله من خاصة المقربين من اهل حضرته وان عكس الامر ولم يفوض ذلك الى سيده اوكله الى غيره فكان عبد هواه غرضا لسهام اعداه جعلنا الله بمنه وكرمه ممن سلك سبيل النجاة في الحياة وبعد المماة انه جواد كريم ثم قال رضي الله عنه (الاشارة في العلم مقرونة بالتعبير فان عبر فيه بما اشير اليه غاب تلويحه التلويح في الاشارة غيب في العبارة ما اشير به اليه عبر عنه فيه وما عبر عنه فيه اشير به اليه التلويح غيب في غيب ما فهم منه بالاشارة ظهر في سر العبارة عبارة الحقائق مغموصة في الدقائق لا تفهم الا بقطع العلائق) يقع في كلامهم رضي الله عنهم من الرموز ما لا يفهمه

الا

إلا هم كما قالوا كلام الاخرس لا يفهمه غير امه غير ان بعض الامور ادق من بعض واخفى اوضحها وضوحا نسبيا التعبير ثم الاشارة ثم التلويح فياخذ المعبر له من العبارة ما يغنيه عن الاشارة ومن الاشارة ما يكفيه عن التلويح ثم منه على ما هو اغمض منه باشارة العارف في علومه العرفانية وفهومه الربانية وتنزلاته الرحمانية مقرونة بزمام التعبير لا تفهم إلا به فان عبر عما تلاطم عليه من امواج بحار مواهبه بكاس يعذب مذاقه ويذهل شاربه اشراقه كانت عبارته خفية لا ادراك لها لانها اشارة من بساط الهيبة والانس فلا تسمع إلا مجرد الهمس فان اشار الى ما عبر عنه وعبر عما اشار اليه غاب في رمز التلويح تعبيره عمن هو في مقام احط من مقام المعبر لان كل مقام له مقال يفهم به ويعبر عنه منه فالتلويح في قالب الاشارة مغيب في صورة العبارة فالعلم المشار به الى حقيقته معبر عنه بنفس واسطة الاشارة به فيه اي في العلم اي في سره وما عبر عنه من اسرار تلك التلويحات مشار بها اليها فتحصل ان نفس التلويح والحالة هذه غيب مكنون في غيب لا يدركه إلا من تقدست سريرته من كل عيب وما يفهم من التلويح بما اودع في هيكل الاشارة ظهر شعاعه في سر العبارة فالتعبير عن مخدرات الحقائق الربانية والمعارف الصمدانية لا يتسلط على التقاط فهم مكنون جواهرها إلا بقطع علائق الاصداف النفسانية والخروج عن الاوصاف البشرية الحيوانية قال تعالى ذلك لمن كان له قلب اي واع وإلا فكل انسان بل حيوان له قلب وتقريب ما تقدم ان العارف الكامل المعرفة يعبر لمن هو دونه على حسب مقام المعبر له فاما ان يكون مريده في مقام الاسلام او الايمان او الاحسان مثلا فان كان في الاول فبساط فهمه التعبير ومن كان في الثاني فبساط ادراكه الاشارة له على حسب ما عنده من التنوير ومن كان في الثالث فبساط شربه ومهاد قربه التلويح ففهم الاول علم يقين وفهم الثاني عين يقين وفهم الثالث حق يقين فمقام القلب الادراك بالتعبير ومقام السر الفهم بالاشارة ومقام الروح التلويح والايماء اذا عرفت هذا علمت ان من كان حالهم لا شك يغيب عمن

سواهم مقالهم حتى يغيب عنهم بعض رموزهم وما ذلك الّا لسقم فهم السامع فاسرارهم مصونة وعلومهم مكنونة في صدف صدورهم لا يساومها الّا من دخل سوقهم ببضاعة التحقيق وكان نصب عينيه نور الاعتقاد والتصديق وافيضت عليه امدادات ربه في مصباح التوفيق وبالجملة فحسب من لم يفهم رموزهم ولم يفتح كنوزهم التسليم وحسن الاعتقاد والتبري من شبكة الانتقاد اسلم واليق فالتسليم عناية والانتقاد جناية الا ترى الى قوله عليه السلام فخذوا ما تعرفون ودعوا ما لا تعرفون اوكما قال فانه امر باخذ ما فهم وقبوله وترك ما لم يفهم من مقوله ولم يامر بالرد ولا بالتعنيت والصد اذ مجرد ترك ما لا يعرف اسد ذريعة واسلم صيانة من العناد والقطيعة خشية ان يكون المتكلم مصيبا والسامع مريبا جعلنا الله ممن صدق بالغيب فاصاب حتى يحشر في زمرة الاحباء ثم قال رضي الله عنه

(اخرق العوائد من سرك تنخرق لك التجليات لربك فالتجليات مظنة الارباح ومواطن الارواح وغيبة في الاشباح) عوائد النفس معروفة والركون اليها والطمانينة بها والاقامة فيها امور مخوفة كانت النفس في اي مقام من المقامات وعوائدها في كل مقام بحسبه فمن كان في المقام الاول وهو مقام ظلمات الاغيار كانت عوائدها امور ظلمانية تحجبه عما بعده ومن كان في المقام الثاني وهو مقام الانوار كانت عوائدها فيه حجب نورانية تحجبه ايضا عما بعده ومن كان في المقام الثالث وهو مقام الاسرار كانت عوائدها فيه حجب اسرارية تحجبها عما بعدها وهكذا كل مقام حاجب من هو فيه عما فوقه الى السابع اذ عرفت هذا بان لك ان من كان في مقام الاسرار ورام النقلة منه الى مقام تجليات الرب وميادن المشاهدات والمكافحات والقرب فليخرق عوائد اسراره وليخرق حجبها باشعة انواره حتى تسطع عليه شموس التجليات وتشرق على سره بانوار تجليها الفعالي والاسمائي والصفاتي والذاتي فلا يبقى فيه متسع لغيره ولا موقع لشره ولا لخيره اذ ما سوى الله جل جلاله باطل وهو الحق فاذا جاء الحق زهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فاذا رسخ قدمه في مقام الاسرار واريد به الرفع الى ما فوقه كوشف بتجليات الافعال ثم بالاسماء ثم بالصفات ثم بالذات وتمكين كل مقام بحسب تجليه واستعداد

صاحبه ومقام تجلي الذات بالعجز عن الادراك كما قيل العجز عن درك الادراك ادراك فمتى كان للسالك جولان في احد التجليات الثلاث فهو محجوب به من تجلي الذات وتجلي الذات محجوب في نفسه بنفسه فلا يدرك له حال ولا للعقول والاسرار فيه مجال مثاله على سبيل التقريب ان الشمس اذا سطع شعاعها في شي وقابل ذلك الشي شي آخر كان من نورها عليه شي فهو كمقام الافعال وذلك الشي الذي اشرقت عليه الشمس بمثابة مقام الاسماء وبروزها ونفوذها في العالم العلوي بمكانة مقام الصفات ومشاهدة قرصها بمثل تجلي الذات فلا يدرك لها ناظرها حقيقة ولا يعرف لها كنهها ولا دقيقة فكلما ازداد لها تاملا زادت ظلمته واشتدت بالعجز عن الادراك حيرته فمن رد بصره عليه خاسئا وهو حسير وعلم انه عاجز غير قدير انتفع بشعاعها وجال بصره في اودية اتساعها ومن حاول ادراك كنهها وعمد الى معرفة حقيقتها اعوزته عن ذلك سرادقات الجلال وكان في سره وعلانيته تلوح عليه انواع الخبال فالتجليات السابق ذكرها مظنة ارباح المواجه بها وفوزه بالفوائد كيف لا وقد خرقت من سره بالاعراض والاغضاء عنه العوائد وهي اي التجليات موطن الارواح اي عالمها وبرزخها تسرح فيه حيث شاءت لان لها الاطلاق من القيود كما ان لها الاستغراق في الشهود لا تحجبها اجسام كثيفة ولا اعراض او اسرار لطيفة لها النفوذ في الاشباح الكونية بسرها والتصرف في العوالم بخاصية ما اودع في سر جوهرها يطيق الروح المحمدي والسر الصمدي من التجلي ما لا تطيقه الاكوان حتى ما يكون بينه وبين بارئه ترجمان ومن كانت هذه حاله اعجزت الانام احواله وهذا كالشاهد لما قدمه بلصقه يقول بلطيف اشارته ان اردت فهم رموزنا فاخرق عوائد نفسك واخرج عن مالوفاتها تعثر على كنوزنا فالتاجر الجبان محروم والجسور مرزوق وسلع الحق غالية لا توضع إلّا في الافئدة التي من غيره خالية فافهم ثم قال رضي الله عنه (كن في المعرفة لله وبالله ومن الله فالمعرفة لله هي صدق الطلب منك له والمعرفة به هي حسن المعاملة منه لك والمعرفة من الله هي شهود المنة منه لك) قسم المعرفة

الى ثلاثة اقسام لله وبالله ومن الله فاما كون المعرفة لله فهي ان لا ترى في الوجود غيره فيصدق طلبك منه وتستغني به عمن سواه متحليا بقوله تعلى يايها الناس انتم الفقراء الى الله والمعرفة به ان تشهد ما افيض عليك من سوابغ حسن معاملته صادرا منه ومتفضلا به اي انه لم يعاملك الّا بالحسن كما قال ابن عطاء الله وهل عودك الّا حسنا وهل اسدى اليك الّا مننا وقد عرفت ان الحق جل جلاله جميل لا يولي الّا جميلا وما يتخيل لنا من الضد فبحسب ملايمة الطبع وعدمها وسقم شوم عدم الرضى هو الذي اوجب السخط عما قدر وقضى قال البوصيري

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ... وينكر الفم طعم الماء من سقـــم

واما المعرفة منه تعلى فهي شهود وجود المنة منه اي من افضاله وتطوله وعظيم نواله وردها اليه فهو المعطي والآخذ متحليا بقوله تعلى اليه يرجع الامر كله اذا تقرر هذا فكن ايها الاخ في معرفتك التي انعم الله بها عليك عارجا على درجاتها الثلاث لله وبالله ومن الله فكونها لله يوجب صدق الطلب وكونها بالله يوجب افراده بدوام الرغب وكونها من الله يوجب شهود المنة وحسن الادب فالقسم الثاني والثالث متقاربان وهما ناشئان عن شهود الالاء والنعماء والى ثمرة المعرفة اشار

بقوله (ولا تكن معرفتك كمن لا معرفة له) يقول المعرفة المقصودة معرفة الله تعلى على وجه يقع به العلم والحلم والهيبة والحياء والاعظام والاجلال وتعظيم شعائره وحرماته والداب في مرضاته لان اعرفكم بالله اشدكم هيبة وحياء منه والمعرفة التي لا توجب هذه الاوصاف الحميدة ولا تنتج لصاحبها التحلي بها والتخلي عن اضدادها وما كان مثلها كلا معرفة فمن عرف الله حق معرفته اورثته دوام الانفراد به وشهود احديته في فردانية صمدية ازليته شهودا يخرج به عن السوى ويتخلى

به عن الدعوى يخرج بها عن نفسه في معناه وحسه كما قال (وحقيقة المعرفة ان تعرف نفسك من لم يعرف نفسه لم يعرف ربه اعرفكم بنفسه اعرفكم بربه اعرف نفسك بالعجز والتقصير يعرفك ربك بالقدرة

والتشهير

والتشهير اعرف نفسك بعدم التخيير يعرفك ربك باسقاط التدبير اعرف نفسك بالذل والافتقار يعرفك ربك بالعز والوقار اعرف نفسك بالفناء والاحتقار يعرفك ربك بالبقاء والانتصار) اقول تكلم المولف رضي الله عنه على المعرفة واجاد فيها كما مر وياتي واوضح حسبما تراه فالمعرفة هي العلم لغة واصطلاحا معرفة المعروف على ما هو عليه لكن لا يعرف الله حق معرفته إلّا به وإلّا فلا سبيل قال تعلى وما قدروا الله حق قدره اي ما عرفوه حق معرفته كما لبعض قال القشيري وعند هولاء القوم المعرفة صفة من عرف الله سبحانه باسمائه وصفاته ثم صدق الله في معاملاته ثم تنقى من اخلاقه الردية وآفاته الدنية ثم طال بالباب وقوفه ودام بالقلب اعتكافه فحظي من الله بجميل اقباله وصدق الله في جميع احواله وانقطع عنه هواجس نفسه ولم يصغ بقلبه الى خاطر يدعوه الى غيره فاذا صار من الخلق اجنبيا ومن آفات نفسه بريا ومن المساكنات والملاحظات نقيا ودام في السر مع الله في مناجاته وحق في كل لحظة اليه رجوعه وصار محدثا من قبل الحق بتعريف اسراره فيما يجريه من تصاريف اقداره يسمى عند ذلك عارفا وتسمى حالته معرفة وفي الجملة بمقدار اجنبيته عن نفسه تحصل معرفته بربه اه وانت خبير بان المولف رضي الله عنه تكلم في المعرفة بحسب حاله فجعل طريقة المعرفة الحقيقية ان يعرف الانسان نفسه معرفة حقيقية توجب التخلي عن خسيس مذموم اوصافها والتحلي برفيع محمود اوصافه جل وعلا فما يخلع من نفسه نعتا من نعوتها إلّا ويتحلى بضده وبقدر معرفته بنفسه تكون معرفته بربه لانه ما يعرف وصفا منها إلّا ويتباعد عنه وبتباعده من زي نفسه يكون قربه من ربه والقرب يوجب المعرفة لا محالة فمن لم يعرف نفسه باوصافها لم يعرف ربه باوصافه قال ابن عطاء الله لا يخرجك من الوصف إلّا شهود الوصف اي لا يخرجك من وصف نفسك الحادث إلّا شهود وصفه القديم فاعرف الناس باوصاف نفسه اعرفهم بكمالات ربه فمن عرف نفسه بوصفي العجز في احواله

والتقصير في كل اعماله اثابه ربه بضديهما وهو القدرة على ما فيه رضاه واشهره ونشر ذكره وعلاه وان عرف نفسه بالخروج عن الاختيار والتبري من الحول والقوة فيما تجري به تصاريف الاقضية الالهية والاقدار اورثه سيده الراحة من تعب التدبير واشهده حقيقة كونه على كل شئ قدير وان عرفتها بنعتي الذل والافتقار اليه اقامك مولاك في بساط العز عنده والوقار لديه وان عرفتها بوصف الغناء عنها والاحتقار اها شهودا افادك ربك وصف البقاء به والانتصار له وجودا ثم قال رضى الله عنه (ان عرفته به عرفك بك وان عرفك بك ابصرك نفسك وفي انفسكم افلا تبصرون)

الناس في معرفة الله تعلى وشهود وجوده على ضربين فمنهم من عرف الله به وتوصل به اليه ومنهم من عرفه بواسطة مخلوقاته فالمستدل به عليه المجذوبون من اول جذبهم وحصول قربهم ومنهل ورودهم في شربهم ما شاهدوا غيره فعرفوه به والسالكون عرفوه بواسطة دلالة آثار مكنوناته في مظهر شهود تجلياته الفعلية وواسطة سلم العبرة والفكرة فتوصلوا للصانع بمصنوعاته فحال السالكين ترقي وحال المجذوبين تدلي فالسالك مريد والمجذوب مراد وفي الحقيقة كلاهما مراد ولولا ان الحبيب اراده ما استعمل قربه ولا اوراده فان كنت ايها الاخ من اول القسمين واحتظيت باول النعمتين فعرفت مولاك به فنناء عرفك بك بقاء فابصرت نفسك في بساط العدم والفناء وعاينت ربك على كرسي القدم والبقاء فلم تحجبك وحدته عن كثرتك ولا كثرتك عن وحدته فقلت متدليا مهتديا بقوله تعلى وفي انفسكم افلا تبصرون فابصرت نفسك بعين العدم كما ابصرت ربك بعين الوجود قال ابن عطاء الله اهتدى السائرون له بانوار التوجه والمجذوبون لهم انوار المواجهة فبداية السالك نهاية المجذوب وهذا معنى ما جرى على السنة بعض اهل العصر من قولهم بدايتنا نهاية عبد القادر اذ هو رضي الله عنه سالك والقائل مجذوب والسالك امكن منه على ما حققه الاستاذ المولف رضي الله عنه فلا اشكال فيه والحمد لله ثم قال رضي الله عنه (ان ابصرت نفسك بالعيوب

ابصرك ربك بالغيوب وان ابصرتها بالاعتبار ابصرك بعين الاستبصار من

لم يبصر نفسه بنفسه لم تظهر له حكمة ربه اعرف نفسك بنفسك

تعرف قدر ربك) قد قدم المولف رضي الله عنه ان معرفة النفس باوصافها تنتج معرفة الحق باوصافه كما قال هنا ان ابصرت نفسك فكشفت عن كامن ما فيها من العيوب واشتغلت بتنقيتها وتهذيبها اطلعك ربك عن مكنون ما خفي وستر من الغيوب فرقيت على سلمها في درج تقريبها وان ابصرتها بعين ما تضمنته من عظيم موجب الاعتبار حباك ربك فبصرك بتحقيق المعرفة به فبصرت عين الحقائق بانسان عين الاستبصار فمن جعل الله له في قلبه نورا حتى ابصر خباياه بنفسه وقدسه من رذائل دنسه كانت الحكم الالهية مرآه والاسرار الربانية مطمح نظره ومرماه فتسلط بقدرة الله على ابصار نفسه بنفسه ومعرفتها بها حق المعرفة فبذلك كانت معرفته بالله جلية ووجوده لصفات كمالاته تحلية ومن لم يعرف نفسه بنفسه لا جرم انها تخفى عليه حكمة الله فيه وفي غيره لان من عرف نفسه باوصافها تخليا عرف ربه باوصافه السنية تحليا كما مرت الاشارة اليه وفي قوله تعالى بل الانسان على نفسه بصيرة اى على نفسه من نفسه بصيرة كما لبعض المفسرين ما يرشد الى معنى ما تقدم وفي كلام المولف قرب مناسبة لقول ابن عطاء الله تشوفك الى ما بطن فيك من العيوب اولى من نظرك الى ما حجب عنك من الغيوب اه اي فكما ان البصر المحشو بالاقذاء لا يتاتى منه نظر حتى يزول عنه ذلك وينقى مما هنالك فكذلك القلب المنقوش فيه صور الاثار الكونية والاغيار لا يتاتى منه شهود ولا يفرق بين العدم والوجود حتى يقدس من ادناسه ويبنى على الصحة من اساسه فافهم ثم قال

رضى الله عنه (حق الحق فيك كامن في نفسك ان عرفت حقيقة

النفس بان لك حق ما تتنفس فيه فالانفاس مقادير تدخل وتخرج بقدر

خالق كل شيء فقدره تقديرا وكل شيء عنده بمقدار) حق الباري جل جلاله وارتفع مجده وكماله مضروب على عامة عبيده وخاصتهم

وكامن في سرائر الكل ومطوية عليه قلوبهم ولا يخرج عن ذلك شيء فمن ابصر نفسه بنور المعرفة بربه وادرك حقيقتها العدمية بان له واتضح ظهورا واتضاحا لا خفاء معه حق وقته وية دارة وبرش مدخله ومخرجه ومصدره وقراره محاسب انفاسه وجاذب افكاره فكان رقيب قلبه في كل احواله لا يعزب عنه مثقال ذرة من اعماله فما كان مقبولا للملك ومرتضى له ادخله وما لم يأتي الا خاله المردة وادماه اذ القلب بيت الرب جل جلاله فهو غيور ان يرى فيه ما لا يرتضيه والانفاس خزائن مكنونة واصداف مصونة كل صدفة منها يراعي بالطبع ما فيه ان كان جواهر اعمال حسنة فنعما هي والا فالعكس ومن علم ان انفاسه ولحظاته وحركاته وسكناته محصية مقدرة كيف يسعه ان يهملها بعدم مراعاة مدخلها ومخرجها فالرقيب اقرب من حبل الوريد كما عرفت فبان بهذا ان قدر نفس واحد لا تقوم له الدنيا بحذافيرها كما قال ابن عطاء الله ما فات من عمرك لا عوض له وما حصل لك منه لا قيمة له وقال ما من نفس تبديه الا وله فيك قدر يمضيه اذ اي نفس فات منه لا يجبر خلله بثمن وما ادركت منه لا قيمة له كيف يترك او يغبن فالباري جل جلاله خلق عبيده وقدر اقواتهم وارزاقهم المعنوية كالحسية والباطنة كالظاهرة وخلق كل شيء وقدره تقديرا وكل شيء عنده بمقدار والاشياء شاملة لما ظهر وبطن كالانفاس والخواطر واللحظات والهمات واللمات وغير ذلك كلها محصية مقدرة ظروف لما تدخل به ولما تخرج فكان على العاقل ان يعرف انها محصية عليه اعماله ومشهودة منه اقواله وافعاله وانه غير متروك سدى فما له وللاهمال ومن له وتضييع اوقاته واحواله في قيل وقال فقد قال جل جلاله ايحسب الانسان ان يترك سدى وقال اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وقال الم يأتكم من الانباء ما فيه مزدجر وغير ذلك واعظم ما يتعظ به قوله تعالى وهو معكم اينما كنتم وقوله وهو اقرب اليه من حبل الوريد فمن كان الرب تعالى عليه لبالمرصاد وهو معه بغاية القرب بحيث لا تخفى عليه منه خافية كيف يغفل ام كيف يحيد عن السبيل ام كيف يذهل

وما توفيقي إلّا بالله فما شاء الله كان ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم فالمراقبة تنتج المقاربة والمقاربة تثمر المحاضرة ومن كان الرب حاضره وناظره كان في جميع احواله حافظه وناصره جلعنا الله ممن عرف واتبع رشده واتصف بمنه وكرمه ثم قال رضى الله عنه (الحق منه لك ما

اخذ منك له والحق منك له ما اخذ منه لك وخير ما بعته ما اشتراه

منك ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة) مراد المولف والله اعلم ان ما طلبه الحق تعلى من عبده واخذه منه هو حق العبد الراجع اليه والعائد منه عليه اذ هو تعلى غني فمتى طلب منه مطلبا او اراد منه مرادا إلّا وهو يريد ان يعطيه عوضه ويفيض عليه ما يغمر مراده وغرضه ومتى انعم عليه بنعمة إلّا وهي مجردة عن غرض له منه بل هي محض افضال وخالص جود وتكرم ونوال لا لشيء يعود فهو الغني عمن هو مغيب ومشهود وتدريج كلام المولف يظهر من قوله بعد خير ما بعته ما اشتراه منك كما استدل له بالآية الكريمة اذ لا يخلو الشخص من طلبه من الحق او طلب الحق منه وخير الصفقتين ما كان مطلبا للحق منه كما قال خير ما بعته ما اشتراه هو منك فانه ما اخذ منك إلّا ما هو له ويريد باخذه اعادته عليك ورجعته ثمنا ومثمونا اليك قال ابن عطاء الله خير ما تطلبه منه ما هو طالبه منك ابن عباد ان كان ولابد من الطلب فاطلب ما هو طالبه منك من الاستقامة على سبيل العبودية له فذلك خير لك من طلبك لحظوظك ومراداتك لانك حينئذ تكون به وله ويسعفك بمطلوبك عاجلا من غير تاخير واما ان طلبت منه حظ نفسك ونيل مرادك فقد يحصل في ذلك تاخير ومنع مع ما يفوتك حينئذ من حسن الادب في الطلب الى ان قال ومن دعاء ابي القاسم الجنيد رضى الله عنه اللهم وكل سوال سالت فعن امرك لي بالسوال فاجعل سوالي اليك سوال مجابك ولا تجعلني ممن يتعمد بسآله مواضع الحظوظ بل يسال القيام بواجب حقك ومن دعائه ايضا اللهم اني اسالك منك ما هو لك واستعيذك من كل امر يسخطك اللهم ولا تشغلني بشغل من شغله عنك ما اراده منك إلّا ان يكون لك اللهم اجعلني ممن يذكرك

ذكر من لا يريد بذكره إلّا ما هو لك اللهم اجعل قصدي اليك ما هو لك ولا تجعل قصدي ما اطلبه منك اه وانت خبير بان كلام المولف نص في هذا المعنى اذ صفقة بيع النفس منه واسلامها هي وما لها اليه بالقتل في سبيله اوجب الحياة الابدية والاقامة في التنعمات السرمدية فكذلك من بباع منه نفسه حتى قتلت بسيف محبته اورثه ذلك الاقامة الديمومية في جنة حضراته والتنعم بتجلياته فبانت لك الخيرية المحضة فاغتنمها تسعد كما سعدوا وتحظى بوجد ما وجدوا وقال ابن عطاء الله ليس المحب الذي يرجو من محبوبه غرضا ولا يطلب منه عوضا فان المحب من يبذل لك ليس المحب من تبذل له اه ولا يخفاك ان من ادعى محبته تعالى يحرم عليه ان يقع له غرض من الاغراض او يحل في قلبه ارادة غرض من الاعراض قيل في المعنى

من لم يكن بك فانيا عن حظه　　وعن الهوى والانس بالاحباب
فلانه بين المراتب واقف　　لمنال حظه وحسن مآب

وقال آخر

وما انا بالباغي على الحب رشوة　　ضعيف هوى مرجى عليه ثواب

وقيل اوحى الله الى عيسى عليه السلام اني اذا اطلعت على قلب عبد فلم اجد فيه حب الدنيا والآخرة ملاته من حبي اه ثم قال رضى الله عنه

(سبحان من ستر الخصوصية بظهور بشرية الاشباح في قالب الارواح اذ لا ظهور لسر الخصوصية إلّا من حيث دلالة الظاهر عليها ولولا ظهور البشرية ما ظهر سر الخصوصية لان الظاهر منشور الباطن وما في السرائر يرشح على الظواهر) الخصوصية تحقيق المعرفة بالله وكمال التحلي بجميل جليل اوصافه وتحمل امانة اسراره والقدرة على تجلي عظيم سلطان انواره وهي بين الله وعبده لا تدرك إلّا بحسن الظن وكمال الاعتقاد والتبري من العناد والانتقاد فسبحان من حجب سر خصوصية روحانية اهل المعرفة به وسترها في هيكل بشرية اشباح الانسانية عن ادراكها لعامة خلقه فلولا ظهور البشرية بمثليتها ما برز سر الخصوصية من

ملكوت

ملكوت باطنيتها اظهر كل شيء بانه الباطن وابطن كل شيء بانه الظاهر فالظاهر مظهر للباطن والباطن مظهر للظاهر فان عنوان الباطن ومنشوره اي دليله هو الظاهر فلولا الظاهر ما اطلع على باطن ولولا الباطن ما بان ظاهر وان الاناء بما فيه راشح كما ان الوزن بما غلب في احدى الكفتين راجح لكن احتجبت الخصوصية بظهور البشرية فان الظاهر من الشخص وجود الحاجة والافتقار والذلة والمسكنة والاحتقار وغير ذلك من اوصاف البشرية التي هي محل اشتراك النوع الانساني كالاكل والشرب وورود الاعراض البشرية عليه اوجب الاشتراك ونفى بظاهره دعوى الاختصاص وقول المؤلف يرشح يفهم ان سر الخصوصية لا يظهر من صاحبه الّا بالرشح والّا فالخصوصية محتجبة بجوهريتها في قالب صدفة البشرية فلولا حلول خاصية الجوهرية في باطن الصدفة البشرية ما خرجت عن حيوانيتها ولما شرفت على جنسها واشراق الخصوصية على ظاهر البشرية له امارة تدل عليه وهو الاتباع والمسارعة لمسالك الخير والانتفاع والهرب مما يلهيه عن ربه ويبدل الوصل بالانقطاع قال ابن عطاء الله ما استودع في غيب السرائر ظهر في شهادة الظواهر وظهرت بعظم الربوبية في اظهار العبودية وكما قيل السيرة تدل على السريرة وما خامر القلوب فعلى الوجوه يلوح اثره وقال ابو طالب حسن ادب الظاهر عنوان حسن ادب الباطن وقال صلى الله عليه وسلم لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه ولابد من ظهور ثمرات محبة الله على عبده من اللهج بذكره وغير ذلك والّا فلا ظهور بل تكون مخفية في قالب المثلية قال تعلى ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق الا ترى ان اكله الطعام ومشيه بظاهره اوجب لهم وجود المثلية التي حجبتهم عن شمس الرسالة التي هي تحجبها اجرام وانما سترتها عن اعين المشركين ما كان على قلوبهم من الاوهام ومثل الرسل من ورث منهم حظا ونصيبا فخصوصيتهم محتجبة في سرادقات الهياكل الانسانية قال تعلى اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس الآية فتامل قوله وجعلنا الخ فان نور الايمان والهدى قلبي سري لا يلهمه ولا

يرشد اليه إلّا من سبقت له من الله سابقية خير فانه يقذف في سويداء قلبه من نور المعرفة المقسومة له ما يدرك به نور الهدى والرشاد وإلّا فلا سبيل الى معرفة الخصوصية كما علمت ذلك بالمشاهدة قال ابن عطاء الله لا يلزم من ثبوت الخصوصية عدم وصف البشرية وكلام المولف من حيث المعنى كقول ابن عطاء الله سبحان من لم يجعل الدليل على اوليائه إلّا من حيث الدليل عليه ولم يوصل اليهم إلّا من اراد ان يوصله اليه وقد قيل ان معرفة الولي اصعب من معرفة الله لوجود المثلية في الخلق وعدمها في الملك الحق ومن كان حامل المسك يفوح عليه ما يشم من رائحته احب ام كره ومع هذا فالارواح تقتضي بالائتلاف او الاختلاف كما قال الارواح جنود مجندة فما تعارف منها اي هناك ائتلف اي هنا وما تناكر اي هناك اختلف اي هنا فالخصوصية روحانية لا تدرك إلّا بالخاصية الروحانية التي سبقت من التعارف في عالم الارواح فالالفة بين اهل الله قديمة وضدها بين غيرهم كذلك وانما جعل الله سبحانه هذا التكليف والسعي في الامر الذي يوجب الالفة ونهى عن ضده لما يترتب عليه من الثواب والعقاب حكمة حكيم

وإلّا فالامر القديم كاف والله اعلم ثم قال رضي الله عنه (ان صح منك الظاهر اشرق لك الباطن من لم تكن بدايته محرقة لم تكن نهايته مشرقة فظاهر البداية عنوان النهاية من لم تكن له بداية لم تنتج له نهاية فكون البداية في الظاهر عبودية وكونها في النهاية خصوصية)

وقوف العبد على قدم الصدق في العبودية وتوفية ما طلب منه لحقوق الربوبية علامة لصحة ظاهره اذ هو مقام الاسلام وبتحقيق هذا المقام يشرق باطن العبد بنور الايمان فمن شمر على ساق الجد واستعمل نفسه بغاية الجهد فكانت بدايته هذه محرقة لشهواته واوزاره كانت نهايته بحمد الله منتجة مثمرة لاشراق شمس انواره فظاهر البداية المطالب بتصحيحها توفية احكام العبودية اداء لوظائف الربوبية ونجح بباطن النهاية مشاهدة ومحاضرة وخصوصية فصحة ظاهر البداية دليل على كمال النهاية

وكلام

وكلام المولف رضي الله عنه مناسب لما ذكره ابن عطاء الله حيث قال من علامات النجح في النهايات الرجوع الى الله في البدايات وقال من اشرقت بدايته اشرقت نهايته اه اي من اشرقت بدايته بالمكابدة والمجاهدة اشرقت نهايته بالمقاربة والمشاهدة وقال البدايات مجلاة للنهايات اه فبان بهذا ان البداية هي عين النهاية كما قال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى فالنية بداية والعمل على وفقها نهاية الا ترى ان نجح العمل الذي هو النهاية مقرون بشرط صحة النية التي هي البداية وفي الحقيقة البداية هي النهاية مثال ذلك كلمتا الشهادتين بهما البداءة وبهما النهاية حياة وموتا فافهم فاوله توحيد وآخره تجريد اوله اسلام وآخره احسان واوله عبودية وآخره خصوصية اوله التوجه الى الله في التعبد بالاستعانة وآخره وجود وتحمل امانة قال ابن عطاء الله من كانت بالله بدايته كانت الى الله نهايته او كما قال رضي الله عنه ويشير الى ما تقدم المولف قول الشاعر

بقدر الكد تكتسب المعالي ومن رام العلا سهر الليالي

ثم قال رضي الله عنه (سبحان من اختار اقواما وخص كلا منهم بما شاء فقوم اقامهم لخدمته وقوم امدهم بخصوص عنايته وقوم خصصهم بحضور مشاهدته) هذا من المولف رضي الله عنه رجوع عن ظاهر قوله قبل من كانت بدايته الخ وذكر هنا ان جميع عباده في خصوص ارادته ومقتضى ما سبق فيهم من مشيئته والكل في اختياره وتدبيره خصص منهم من شاء بما شاء كما شاء وانعم على اقوام اختارهم واصطفاهم انعاما متباينا بان جعلهم ثلاثة اقسام فقوم اختارهم لخدمته واستعملهم في ميدان دوام معاملته فهم في تحملها دائبون وفي ادائها اليه آيبون وقوم امدهم في بساط خصوص ما سبق لهم من العناية بالاعانة وقدس اسرارهم غيرة منه عليهم وصيانة وقوم اجتباهم واختصهم لحضراته وشهوده وغيبهم بفقد غيره في عين وجوده ثم انه رضي الله عنه سمى الاقسام الثلاثة وعين مقاماتهم فقال (فاقامة الاخيار لعبادة ربهم مقام زهد وايمان واقامة

الحاضرين بحسن استعدادهم لربهم مقام منة واحسان واقامة الخاصة

بشهود تجلي الحق لهم مقام قرب واطمئنان) منح الرب جل جلاله المختارين لعبادته المقامين في خدمته بخصوصية الزهد فيما يشغلهم عنه الذي هو موجب لراحة القلب والبدن كما قال صلى الله عليه وسلم الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن كما خصصهم بكرامة الايمان به الذي هو فردوس المقامات الثلاث فاوجب لهم التصديق بالغيب وانتفى عنهم الشك والوهم والريب فرسخت اقدامهم في العبادة على بساط التمكين وداموا عليها حتى اتاهم اليقين وتكرم على الحاضرين معه المراقبين له في كل احوالهم بحسن استعدادهم له واخلاص المعاملة له وصدق التوجه اليه والعبودية المحضة بين يديه بان اشهدهم منته واحسانه فاورثهم شكر نعماه فهم في شهود آلاء والنعماء دائمين فجنتهم عرفانية وارزاقهم فيها بكرة وعشيا احسانية وانعم على خاصة الخاصة بشهود تجلي الحق على سرائرهم وكشف الحجب بينه وبين ضمائرهم فجعل مستقرهم في مقام صدق في حضرة العندية عند مليك مقتدر فمقامهم والحالة هذه مقام قرب ودنو منه من غير اتصال ولا انفصال واطمئنان في كل الاحوال لهم القدم الصدق والطمانينية بالملك الحق شهودهم حق يقين ورسوخهم في غاية الطمانينية به والتمكين قال ابن عطاء الله قوم اقامهم الله بخدمته وقوم اختصهم بمحبته كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا ففيه مناسبة لكلام المؤلف رضي الله عنه قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه الزاهد صيد الحق من الدنيا والعارف صيد الحق من الجنة ثم قال رضي الله عنه

(الحق منك ما قارنه الحق

منه والا فهو باطل ان خرجت من نظر الخلق اليه دخلت في نظر

الحق عليه فاخرج عما انت ناظره منك الى ما هو ناظرك منه ولا تغتر

بشهود الخصوصية منك فان الخصوصية لمخصصها) ما اقاء الله به على عبده بوجه من وجوه المعاملة فلا يخلو من ان يقارنه ويمازجه شهود الحق وارادة العبودية له او لا فما قارنه الحق منه فهو حق وعبودية صدق

وما لم يقارنه الحق فهو باطل لكونه تمحض انه مراد نفساني وغرض حيواني فلا يغني عن صاحبه شيئا قال تعلى اياك نعبد واياك نستعين والعبادة والاستعانة ان خصتا به كانتا حقا وان روعي فيهما شرك ما كانتا باطلا وانت ايها المحب ان راعيت رشدك واعرضت عن غير مولاك فافردته بالوجهة اليه وقنعت بنظره اليك وعناية اطلاعه عليك لباك بالادخال اليه وحقق اليك خصوصية الاقبال عليه اذا عرفت هذا فاخرج عن روية حولك وقوتك الى شهود حوله وقوته ولتستغن عن نظرك الى ما هو منك واليك بما هو ناظرك منه ومراقبك فيه وسائلك عنه ومعينك عليه وحاضرك لديه تستروح من شبكة الالتفات الى غيره فان تمت لك هذه النعمة فحصلت على حالة الانفراد به وخاوص المراد اليه كنت صاحب خصوصية وولاية وذا تقرب وعناية فاياك والركون الى تلك الخصوصية واحذر القناعة بها والالتفات اليها والوقوف عندها فالاستقرار في مستقر شهودها والتلذذ ببرود وجودها من الاغيار وهو والحالة تلك علامة اغترار فالخصوصية منه واليه وانت مطالب في كل احوالك بالرجوع اليه فالباسه اياك حلة تخصيصه لا نسبة لك في ايجادها ولا حول ولا قوة لك في امدادها فهي ابدا لمخصصها وحين كان ذلك كذلك فما لك وشهود الخصوصية والالتفات بل الواجب رد الامر فيهما لناصبها للسلامة من معاطبها وما هي الا بفضل الله ومحض جوده قال تعلى يختص برحمته من يشاء وقال قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا الآية فالفرح الذي ارشد اليه هو الفرح بقيد شهوده من الله ولله فافهم

ثم قال رضي الله عنه (ان اشهدك قربك منه اشهدك بعده منك وان اشهدك بعده منك اشهدك قربك منه اذ لا قرب في بعده لمن ابعده ولا بعد في قربه لمن قربه والعجز عن ادراكه ادراك) يقول مشاهدة العبد من نفسه انه قريب من ربه وانه متصف ومتحلي بصفاته قرينة دليل البعد عنه ومشاهدته بعده منه دليل قربه منه فمتى شاهد اثبات القرب فهو بضده ومتى شاهد البعد فهو في القرب لان اوصاف الحدوث مضادة لاوصاف القدم وحينئذ فلا قرب لبعده

لمن هو موضوع في قالب الحدوث ولا بعد في قربه لمن قربه فان سلبه اوصافه الحادثة وحلاه وستره باوصافه القديمة فكانت جوهرية انسانية مستهلكة في جمال صدفة لاهوتية فكان بشريا روحانيا قربه في بعده وبعده في قربه متوسطا بين وصفي القدم والحدوث الطوت بينه وبين محبوبه مسافة بعد المناسبة المعبر عنها في الحديث بالحجب السبعين فلا بعد له حتى يقرب ولا قرب له حتى يبعد غيبته في حضوره وحضوره في غيبته جامع بين الضدين ومشار اليه بالوصفين فسراج معرفة من ثبت له القرب من ربه بعد الفناء عن الفناء عن نفسه بعد البقاء والصحو من شربه الحيرة في اودية العجز عن الادراك فيخرس عجزا عن النطق دهشا من جلال الملك الحق فيقول بلسان حال روحانيته العجز عن الادراك ادراك كما ارشد اليه الصديق رضي الله عنه بقصد الافادة لمن انعم عليه بمثل ما تكرم عليه به والا فهو في غاية القرب وكمال المعرفة الموجبين لصمته وكلال لسانه عن اظهار الدعاء لما عمر به باطنه من الهيبة والجلال والحياء كما قالوا من عرف الله كل لسانه فلا جرم ان ظلمة العجز عن الادراك محل الهدو والسكون فافهم ثم قال رضي الله عنه (فالواجب في حقك النقلة من الكون لمكونه فان وجودك في الكون ظلمة وانعدامك في الوجود حجاب فاخرج عن كونهما لمكونهما والا فانت مقيد بسلاسل الاوهام) قد عرفت ان الكون بامره عدم وهو ظلمة والحق جل جلاله وجود وهو نور كما قال الله نور السموات والارض الآية فالواجب عليك والمتحتم في حقك النقلة والارتحال من ظلمة الكون الى نور مكونه وذلك بالجهاد في سبيله حتى تقتل بسيف المحبة فتموت قبل ان تموت كما قال موتوا قبل ان تموتوا وتقوم قيامتك كما قال من مات قامت قيامته وتدخل جنتك كما قال ولمن خاف مقام ربه جنتان وقوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة وقد فسر الاحسان من عرفه وهو عليه الصلاة والسلام فقال ان تعبد الله كانك تراه الحديث فالاحسان يقتضي الشهود والحسنى حضرة الخلود فنعيمهم في جنتهم مزيد النظر الى وجهه الكريم وهو اجل ما معهم من النعيم المقيم فبقاء الانسان

في الكون ظلمة وهو عدم وانعدامه في نور الوجود حجاب عن المكون فان دخلت ظلمة الكون باشعة نور الوجود خرجت بنور اليقين عن كونهما اي العدم والوجود لمكونهما فكنت به واليه ومنه وعليه والّا فانت مكبل بقيود سلاسل الاوهام الغيرية كما قال ابن عطاء الله ما حجبك عن الله وجود موجود معه ولكن توهم موجود قال تعلى كل شيء هالك الّا وجهه اي الآن كما هو شهود اهل المعرفة به تعلى والى هذا المقام يشير الصديق رضي الله عنه بقوله كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان ولا حجاب عن الله على التحقيق بل الحجاب هو توهم ان في الوجود غيره فالعاقل لا يرضى لنفسه البقاء في قيد سلاسل الاوهام اذ لو حجبه شيء لحصره والحصر مقتضاه القهر وهو القاهر فوق عباده فتحصل انه لا وجود لشيء سواه حالا ومآلا وما كان حاله العدم ونفي الوجود عنه من اصله لا يليق البقاء في قيد توهم وجوده كما قال (تخيلات السر بالامور المبطلات من اكبر عوائدها المذمومات فاخرج عنها والّا فانت مكبل باوهام فلاسفيتها) يقول اذا عرفت ان الكون عدم وظلمة محضة وما كان هذا حاله فهو باطل فتخيلات اوهامه وتوهم وجوده في سرك من اعظم عوائد النفس التي اعتادت الركون اليها والانس بها المذمومات بكونها تلهيك عن مطلوبك وتشغل سرك عن مرغوبك فالبقاء في يد الاغيار الباطلة عار والخروج عنها الى نور مكونها وموجدها شان الخاصة الاحرار فان فعلت وبادرت الى الخروج كما امرت صادفت وجه الصواب وزال بينك وبين مطلوبك ما كان من الحجاب وان خالفت الامر وبقيت في ظلمات الاوهام تشكلت لك وتوهمت ان ثم اودية وآكام وسهول واعلام فظننت انها امور وجودية واشياء شهودية قيدت في كبل توهم فلاسفيتها المنعدم من اصله وما هو في الحقيقة الّا كالسراب قال تعلى او كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا الا ترى ان سعي الظمآن الى السراب بقصد الشراب ربما يكون سببا في زيادة هلاكه ولا يدرك له ما يفرج عنه غما فالظمآن هنا من فقد شرب ماء العلم بالله والمعرفة به واما من ورد وارتوى منهما وكان على

بصيرة من امره تحقق حقيقة الحال وادركها من غير تحول ولا انتقال فدام له نور الوجود واستغرقه ما وجه به من الشهود ثم قال رضي الله عنه

(ليس من الخاصة من استقام ظاهره بل من الخاصة من اذا نهض للعبودية

استخدام واذا قام بحق الربوبية استقام) استقامة الظاهر بمجردها لا تحصل بها خصوصية المتصف بها وانما الخصوصية الحقيقية ثابتة لمن اذا نهض الى اداء مطالب العبودية لله تعلى ثبت ودام واذا توجه الى القيام بآداب حقوق الربوبية استقام فبان لك انه لابد من مجموع الامرين استقامة الظاهر والباطن فاستقامة الظاهر ودوامها عبودية مشهودة واستقامة الباطن بالآداب الباطنية مع الربوبية عناية وخصوصية موجودة واحترز رضي الله عنه باشتراط الامرين عن فقد احدهما ووجود الآخر وذلك ينافض تمحض العبودية لله تعلى كما قال ابن عطاء الله ليس كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه وقال ربما رزق الكرامة من لم تكن له الاستقامة اي الظاهرة بمجردها واما ان اقيم على المنهاج القويم والصراط المستقيم فما يبرز على يديه من خوارق العادات يسمى كرامة سالمة بحمد الله وفضله من سمة المكر والاستدراج والّا فلا ومع هذا فالخصوصية خلق لمخصصها وانظر الى قوله تعلى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا كيف رتب الاستقامة على توحيده اذ توحيد الحق بالاخلاص اليه اصل والاستقامة فرع تنبني عليه ثم قال رضي الله عنه (والارتحال من كون

الى كون كالمقهور الذي سار منه عاد اليه رحلتك من الكون اقامة فيه

واقامتك فيه رحلة منه والرحلة هي انتقالك من وصف الى وصف) عمل المرء على قصد الجزاء والثواب مما يذم به وعنه يعاب يكون والحالة هذه سائرا في ظلمة الاغيار الكونية كائنة ما كانت ولو كانت انوارا لان ما سوى الله غير تجب عليه الرحلة منه فان كان كلما انتقل من وصف حل في غيره وكلما باين حالا اتصف بمثله كان كحال من هو راجع في سيره مقهقرا في امره لانه مهمى انتقل من كون نزل في مثله فهو بمثابة حمار الرحى المكان الذي ينتقل منه هو الذي يعود اليه بجامع

ان اسم الكونية شامل له فلا فرق بين مقامه وارتحاله فرحلته من الكون الاول الى الكون الثاني اقامة فيه وعكسه وانما الرحلة ان يخرج عن جميع الاغيار الكونية الى مكونها قال ابن عطاء الله لا ترحل من كون الى كون فتكون كحمار الرحى يسير والذي ارتحل اليه هو الذي ارتحل منه ولكن ارحل من الاكوان الى المكون وان الى ربك المنتهى وانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه فافهم قوله عليه الصلاة والسلام فهجرته الى ما هاجر اليه وتامل هذا الامر ان كنت ذا فهم والسلام ومع هذا فالرحلة والانتقال من وصف الى وصف تعاب لاقامة فيه والدوام عليه والّا فالسير الى الله تعلى لا يكون الّا بالتنقل من حال الى حال ارفع منه تنقلا قلبيا وتخليا وتحليا سريا فالانتقال من مقام الى مقام ومن حال الى حال كله وان تباينت مراتبه وقلت مناصبه فهو اكوان تجب الرحلة عنها والتنقل منها وان الى ربك المنتهى ثم قال رضي الله عنه

(رجى السائرين اليه كي لا يبقيهم في الخوف وخوف المحبين له كي لا يوطنهم بالرجاء قبض السالكين اليه كي لا يختطفهم البسط وبسط الواصلين له كي لا يوحشهم القبض انس المطمئنين به كي لا تصطلهم الهيبة وامكنهم من الهيبة منه كي لا يفترسهم الانس جمل الكاملين بالحضرة معه كي لا يفوتهم الجلال وجللهم بالقرب منه كي لا يحجبهم الجمال كلا نمد هولاء وهولاء من عطاء ربك وما كا عطاء ربك محظورا) تقدم للمولف رضي الله عنه في صدر الكتاب ذكر هذه الاحوال ونبهنا عليه هناك بما امكن وساذكر هنا طرفا يقرب مرامه ان شاء الله فاقول ان احوال السائرين الى الله تعلى لا تحصى كثرة ولا تنحصر كيفية ولكن اصطلح القوم رضي الله عنهم على بعضها وذكروا منها الخوف والرجاء والقبض والبسط والهيبة والانس والجلال والجمال ففي المقام الاول والثاني الخوف والرجاء وفي الثالث القبض والبسط وفي الرابع الهيبة والانس

وفي الخامس الجلال والجمال فكل مقام يسمى فيه بما يناسبه وهي قريبة من بعضها بعضا بحسب الظاهر وارباب الاحوال التدريجية يعرفون تفرقتها ويدركون تمييزها فكل مقام له مقال وقد بين المولف رضي الله عنه هنا حكمة تعاقب هذه الاحوال على من تاهل الاتصاف بها حيث قال رجى السائرين له في اول سلوكهم بما يفتح عليهم من موجبات الرجاء لطفا بهم ومنة عليهم كي لا يطول مقامهم في حالة الخوف وازعج المحبين له المستغرقين في شهود الائه ونعمائه لئلا يطيب لهم التلذذ ببرد الرجاء فتقف هممهم عند ما يلوح لهم وقبض قلوب السالكين له في توسط سلوكهم بليل موجبات القبض وفلق فجر السر لاجل ان لا يختطفهم وارد نهار البسط لما فيه من غاية حاله حتى يخشى على صاحبه من سوء الادب فيه لان القبض ادب صاحبه السكون في ليله والتسليم لسلطان وارده وله ثلاثة اسباب ذنب مرتكب او مصيبة دنيا او ظالم يوذيه فالعبودية في هذه الاسباب الرجوع الى العلم مستعملا له كما أمرك اما في الذنب فالتوبة والانابة وطلب الاقالة واما في مصيبة الدنيا فالتسليم والرضى والاحتساب واما في اذاية الظالم فالصبر والاحتمال وقد يكون القبض بلا سبب اصلا فان لم تعلم له سببا مما تقدم فالادب فيه السكون عن الاقوال والافعال والارادات فان فعلت فعن قريب يذهب ليلك ويطلع نهارك او يبدو نجم تهتدي به او قمر تستضيء به او شمس تبصر بها والنجوم نجوم العلم والقمر قمر التوحيد والشمس شمس المعرفة والتحرك في الليل مظنة العطب فهذا حكم الادب في القبضين جميعا واما من كان وقته البسط فلا يخلو من ان يعلم له سببا ام لا فالاسباب ثلاثة زيادة الطاعة او نوال من المطاع كالعلم والمعرفة والسبب الثاني زيادة من دنيا بكسب او كرامة او هبة او صلة والسبب الثالث بالمدح والثناء من الناس واقبالهم عليك وطلب الدعاء منك وتقبيل يديك فاذا ورد عليك البسط من احد هذه الاسباب فالعبودية تقتضي ان ترى النعمة والمنة من الله عليك واحذر ان ترى شيئا من ذلك لنفسك وحصنها ان يلازمها الخوف من سلب ما به انعم عليك

فتكون

فتكون ممقوتا هذا في جانب الطاعة والنوال من الله تعالى واما الزيادة من الدنيا فهي نعمة ايضا كالاولى وخف مما بطن من آفاتها واما مدح الناس اليك وثناؤهم عليك فالعبودية تقتضي شكر النعمة بما ستر عليك وخف من الله تعالى ان يظهر ذرة مما بطن منك فيمقتك اقرب الناس اليك واما البسط الذي لا تعلم له سببا فحق العبودية فيه ترك السوال والادلال والصولة على النساء والرجال اللهم الا ان تقول سلم سلم الى الممات فهذه آداب القبض والبسط في العبودية جميعا ان عقلت والسلام انتهى كلام الشيخ ابي الحسن نقله ابن عباد ذكرته بالمعنى في القبض وباللفظ في البسط لحسنه وفقده من غيره ولذلك اوردته مطولا لمناسبته لكلام المواف في القبض والبسط وبهذا التقرير فيهما يعرف الادب الذي يعمل عليه في الاحوال التي بعدهما كل بما يليق به كما قال بسط الواصلين اليه بما اشرق عليهم من شموس المعرفة والعلم به كي لا يوجب الوحشة لهم القبض لو اقاموا في ليله اذ القبض محل الوحشة وانس المطمئنين به الساكنين لجميع اقداره المتمكنين بالثوى في مقام المعرفة كي لا تصطلهم وتهلك احوالهم وتقطع اوصالهم الهيبة منه وشهود عظمته كي لا يفترسهم الانس به ويختطفهم من محل التمكين فيفترسهم بالرد الى التلوين وجمل الكاملين الذين زكت انفسهم وطهرت اسرارهم وكملت بالتطوير اقتباسا من شمس الالوهية اقمارهم بتاج جمال الحضور معه والقرب منه والاستواء على عرش الجبروتية لديه لئلا يشوقهم جلاله واعظامه فلا يشهدونه وجللهم برداء كبريائه وازار عظمته على بساط غاية القرب والدنو منه كي لا يحجبهم الجمال فيبقون في التلذذ تحت ظلاله فتفوتهم مشاهدة جماله فهذه احوالهم رضي الله عنهم في حال ترقيهم الى كمالهم فيكون منتهى سيرهم اليه في سدرة المنتهى فيغشى سدرتهم من انوار جماله وجلاله ما لا يطيقه الا ارباب التمكين وتزيغ منه ابصار اهل التلوين فسبحان من انعم على عبيده وامدهم بنعيمه وكمال مزيده نساله سبحانه ان يسلك بنا سبيل النجاة في الحياة والممات وان يمتعنا بما به متعهم انه جواد كريم فامداده غير مقطوع

واعطاؤه غير محظور ولا ممنوع كما قال كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا وفي هذه الآية اشارة الى معنى ما تقدم له وزيادة ان الفضل بيده يؤتيه من يشاء لا يسال عما يفعل وهم يسالون وصنيع المؤلف كثير في مثل هذا كما علمت وقد ذكر المؤلف ما يقرب من كلامه السابق كالايضاح له حيث قال (فتح باب الرجاء واورد عليك وارد الخوف فيه كي لا يضطرب جاشك ويسكن وكشف لك وجه القبض لئلا تانس بغيره ووجه البسط لئلا تستوحش منه وواجهك بالانس واقبل عليك بالهيبة كي لا تتمكن وتتلون وافنىك في الجمال ثم ابقاك في الجلال كي لا تسكن لغيره) من حكمة الباري جل جلاله وحسن معاملته مع من احسن معاملته وتوجه اليه قاصدا محاضرته انه يفتح عليه من موجبات الرجاء ما يحمله على الشوق والطرب ويوسع ميدان سره فيرغب ثم يتداركه بلطفه فيورد عليه وارد الخوف حفظا له وصيانة من ان يسكن جاشه تارة وتارة يضطرب فيبقى قلبه مدعما بدعامتي واردي الخوف والرجاء كما قال صلى الله عليه وسلم لو وزن خوف المومن ورجاؤه لاستويا او كما قال ثم ان دام لك هذا الحال وثبت لك هذا المنزال يكشف لك قناع وجه القبض ليحفظك من الانس لغيره والاستناد لشيء سواه فلا تزال ساكنا في ليله وهمتك مقيدة في نيله حتى يكشف لك فجر البسط عن وجه نهاره وتشرق عليك شمس انواره فتزول وحشتك منه الموجبة لبعدك عنه ثم انه يواجهك بما يوجب لك حال الانس به ويثبت لك القرب والدنو منه فاذا رتعت في ازهاره وطابت لك اذواق ثماره فوقفت في لذيذ عيشه وبرد ظلاله وقنعت بمبادي لاحت لك من الروية كماله فبينما انت كذلك اذ اقبل عليك سلطان الهيبة والحياء فتدكدكت منه جبالك وكادت ان تنقطع حياء وهيبة منه اوصالك لانك شغلت عنه بالنعيم وارحت مطيتك فيما هب لك من النسيم فاوجب لك وجه الهيبة منه حفظ السر من التمكين الذي يعقبه تلوين ثم ان علم منك قوة تمكينك والسلامة من عيب وصم

تلوينك هجم عليك الفناء عنك فغبت في شهود جماله ثم بقيت بوجود الجلال فاورثك حال الفناء في جماله عمن سواه وحال البقاء به في عظمته وجلاله ان شاهدت فردانيته في عز رتبة احديته الازلية الصمدانية فكنت به واليه ومنه وعليه وفيه وله فلا ترى في الخليقة غيرا تسكن اليه فناء ولا احدا تعتمد عليه بقاء فكان حالك منتهيا الى الجمال فيوجب لك الاستغراق الفناء والى الجلال فيوجب لك البقاء فاذا تواردا عليك استوى حالك فيهما وكانا لك كجناحي الطائر فكنت فانيا باقيا فلا فناؤك يحجبك عن البقاء ولا بقاؤك يحجبك عن الفناء لثبوت انفرادك به وسكونك له ورجوعك اليه بعد طمانينتك به فهذا كمالك بحسب الترقي في المقامات السبع بتدريج السادة الخلوتية واما بحسب التجلي فلا نهاية للكمال لان فوق كل كمال كمالا حتى ينتهي الكمال اليه تعلى وهذا معنى قولهم السلوك ينقطع والتجليات لا تنقطع ولو بعد الموت فالسلوك هو الترقي في المقامات وهي معدودة محدودة واما التجليات فبمثابة نعيم الجنة لا نفاد له ولا انقطاع فافهم ثم قال رضي

الله عنه (خلق الكون لاجلك ثم ابرزك الحق منه ثم اراد نقلتك منه

اليه فاخرج عما خلق لاجلك الى ما خلقت من اجله) هذا ماخوذ من قوله صلى الله عليه وسلم الدنيا خلقت لكم وانتم خلقتم للآخرة او كما قال صلى الله عليه وسلم فالكون ما سوى الله تعلى وهو مكون لا لنفسه بل ليكون علما دالا على مكونه فهو مخلوق للانسان بمعنى انه يستدل به على موثره كما قال على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم كنت كنزا لم اعرف فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف فبي عرفوني فبان بهذا ان الكون خلق للانسان وهو جوهر من جواهره فلما ان اراد الله اختصاصه واصطفاءه بمعرفته والعلم به ابرزه منه وسلطنه فيه فكانت له السيادة عليه باجمعه وكانت الارض فراشه تنبت معاشه والسماء له سقفا مرفوعا تضيء شمسها نهارا فتمكن من السعي في منافعه الدينية والبدنية ويهتدي بكواكبها ليلا في ظلمات البر والبحر ويعرف بقمرها عدد السنين والحساب وجميع الاملاك تخدمه وتجري

في مصالحه من حفظ لبدنه وكتب لاعماله وجر لارزاقه حتى انها لا تهمل من امره شيئا سواءٌ كان الذي له او عليه منه او اليه ولا تزال معه كذلك حتى يستقر في داره ومع هذا فالكونان الدنيا والآخرة خلقت من اجله فالدنيا مزرعة للآخرة والآخرة يحصد فيها ما زرع في الدنيا وهي محل جزائه على وفق ما صنع فهما محلان لا غير ينزلهما بسرعة ان عقل وينتهي الى ربه كما قال وان الى ربك المنتهى فالواجب عليك الارتحال من منزل خلق لاجلك وما خلقت من اجله وما ذاك إلّا مولاك فالآخرة جعلت لك لا لترغب فيها بل لتزهدك في الدنيا وترغب فيما عنده حتى اذا رغبت فيما عنده كان ذريعة ووسيلة الى رغبتك فيه فهو يقودك اليه ويدلك بآلائه ونعمائه عليه فلو وقفت همة الانسان مع الاولى لحجب بها عن الثانية وهي الآخرة ولو وقف مع الثانية لحجب بها من مولاه الذي خلقه لاجله وسواه فلا تقصر همتك يا حبيبي عند غيره فتكون عبد هواك مسجونا في حبائل دنياك او في شرك اخراك فتكون عبدا لهما لمحبتك فيهما وهو غيور لا يرضى ان تكون لغيره عبدا قال ابن عطاء الله ما احببت شيئا إلّا كنت له عبدا وهو لا يحب ان تكون لغيره عبدا وقد جعل الله تعلى عبيده قسمين فمنهم من قاده اليه باحسانه ومنهم من جره الى الاقبال عليه بسلاسل امتحانه ففي كل من الامرين ترحيل له من الاستيطان في غير حضرته والسكنى في غير جنته جعلنا الله بمنه وكرمه ممن كان به واليه انه جواد كريم ثم قال رضي الله عنه (ان عرفت حقيقة الكون تحقق لك المكون فكن في الاكوان بالمكون ولا تكن مع المكون بالاكوان) معرفة الانسان حقائق الاشياء الكونية بنعوتها التي لا تنفك منها واوصافها الذاتية التي لا تفارقها تثمر معرفة مكونها حق المعرفة لما يلزم على معرفة اوصاف القدم التي هي نعته تعلى من نفي ثبوتها للحادث ووجود ضدها له فاذا حققت شهود اوصاف الحادث اخرجتك الى شهود اوصاف القديم كما قال ابن عطاء الله لا يخرجك من الوصف إلّا شهود الوصف فتحقيق الكون الوقوف على ماهيته وادراك حقيقته من الافتقار اليه حالا والفناء له حالا

والا فاذا نظرته بعين من لا يراه تلاشى وذهب فلا يبقى الا المكون وحينئذ فالواجب ان تكون في مشهد الاكوان الظلمانية بنور وجود مكونها واجعله دليلك ابتداء وانيسك فناء ووارثك بقاء فهو الاول والآخر والظاهر والباطن ان تجلى على قلبك باسمه الاول اثمر لك شهود اوليته قبل كل شيء فكنت به وان تجلى عليك باسمه الآخر نتج لك شهود آخريته بعد كل شيء فكنت اليه وان تجلى عليك باسمه الظاهر فنيت في شهود ظاهريته جميع الاغيار الكونية ولم يبق الا وجوده بصفاته الازلية وان تجلى عليك باسمه الباطن بقيت به وكنت تشاهد ما واجهك من الاكوان الغيرية باظهار باطنيته فيها اظهر كل وصف بطون ضده وابطن كل نعت ظهور ضده وفي معنى كلام المولف ما قاله ابن عطاء الله انت مع الاكوان ما لم تشهد المكون فاذا شاهدته كانت الاكوان معك اه مثاله انك اذا قابلت قرص الشمس بوجهك كان الظل خلفك تابعا لك حيث كنت واذا ادبرت عنها بوجهك كان الظل امامك وانت تابع له حيث كان لا قدرة لك على امساكه فالشمس عبارة عن وجه الحق جل جلاله والظل عبارة عن الاكوان فافهم المثال يظهر لك الحال ويزول عنك الاشكال فان كنت مع الاكوان حاضرا والى بهجتها ناظرا كنت معها مقيدا بسلاسل اتباعها لتلونك بتلونها كيف لا وانت والحالة هذه محجوب بها عن مشاهدة مكونها وان شاهدت المكون كانت معك باجمعها تابعة سامعة لك طائعة ثم قال رضى الله عنه (ما فتح لك باب التلوين الا اراد منك وصلة التمكين فاخرج عما يتلون الى ما يتمكن ان تلونت بشريتك تجنست خواطرك فالتلون ما يظهر في الباطن ويختلف والتمكين ما يثمر في الباطن ويعرف ان اثمر لك الاجتهاد تلوينا اعقبته المداومة يقينا ان صح منك اليقين اعقبه الايمان تمكينا) اذا واجه الحق تبارك وتعلى عبدا من عبيده في اثناء سيره اليه باشعة انواره مما تثمره المجاهدة والمكابدة والرياضة للنفس يكون قلبه يتلون فتارة تلوح في باطنه شموس معرفته وتتوالى عليه دلائل قربته فتكون

خواطره ربانية والهاماته رحمانية وتارة بعكس ذلك فلا يزال كذلك حتى يغلب خيره على شره ونوره على ظلمة طبيعته ونهار وصلته على ليل قطيعته فيتمكن من الاوصاف الحميدة ويثبت له نور المعرفة بربه ثباتا لا يتخلف بحال فما دام في حال بدايته فشانه التلوين وان داوم على التقرب الى سيده بانواع قرب النوافل احبه وادناه وتكرم عليه واولاه فيكون حاله تمكينيا بعد ان كان تلوينيا فمطلق المجاهدة والرياضة مظنة التلوين والترديد في الاحوال بين محمودها ومذمومها فاذا دام له الاجتهاد في الطاعة والمثابرة عليها ثبت ما هو حق وانتسخ ما هو باطل فيكون روحانيا بعد ان كانت احواله بشرية تارة وروحانية اخرى فتغلب روحانيته على بشريته وتمكينه على تلوينه فالتلوين هو ما يظهر في عالم القلب تارة ويبطن اخرى وهذا معنى اختلافه اي تعاقبه وتوارده والتمكين ما يثبت في السر ويعرف رسوخه بانوار اليقين الذي هو نتيجة الايمان الذي هو سلم للشهود والعيان فالتلوين في مقام الاسلام واليقين في مقام الايمان والتمكين في مقام الاحسان ان تلونت البشرية في عالم اختلافاتها تجنست الخواطر وتنوعت بخيلاتها فاخرج من ربقة الترديد والتلوين الى فضاء اليقين والتمكين ولا ترض لنفسك البقاء في سجن الاغيار الذي هو مقر الامتحان والاكدار فما دمت في التلوين كنت كمن هو في تيه لا يعرف اين يتوجه فاذا لاح له لائح معرفة ذهب على وفقه واذا خفي عليه الشاهد وقف في ظلمة حيرته وربما رجع على عقبه ان لم يلطف الله به وصاحب التمكين طلعت على قلبه شمس المعرفة به تعالى لا تعتريه حيرة ولا يخفى عليه اثر ولا يشكل عليه امر فهو على نور من ربه فتنزل والى اول درجات الكمال حائز لكن يا حبيبي ما فتح لك ربك باب التلوين لتسكن فيه ولا لتقيم به وانما هو ذريعة الى التمسك بوصلة التمكين فهو قنطرة لا بد من عبورها للمريد ويجوزها بجنة المداومة على الطاعة ومصاحبة التجريد وبها يثمر اليقين الذي

هو اول لوائح التمكين ثم قال رضي الله عنه (ان اشهدك بره في التلوين

اشهدك قربه في التمكين وان اشهدك قربه في التمكين اشهدك

جلاله في التبيين وان اشهدك مقام التلوين فسر التمكين افناك عنه)
فرق بين الابرار والمقربين وسببه اختلاف المشرب وتنوع المشهد
فالابرار يمازج نورهم ظلام ويخالط صحتهم ضروب من الاسقام فلا يصفو
لهم مورد حتى يخرجوا بالترقي الى مشاهد المقربين ولا يحجبون عن
تلوينهم منهزمين حتى لا يسموا ابرارا بل هم قوم غالبهم خير وطالعهم نوراني
غير انه لما ان مازجه ما كدر صفوه واوجب له التلوين سمي به ومشهد
المقربين شهود ووجود صفاء ووفاء فناء وبقاء لا يعتريهم من الاحوال ما
يزول به تمكينهم ولا يخامر قلوبهم ما يكدر اسرارهم ويوجب تلوينهم
مشهدهم احساني ومشربهم ايقاني فان اشهدك ربك مشهد الابرار وعاينت
منه لطفه وبره حيث ترقيت من ظلمتك الطبيعية الى مقام التلوين
فاوجب لك الشكر لنعيمه ورفعك الى مقام تكون فيه من اهل التمكين
ونزه سرك راسا من توارد موجبات التلوين فان من عليك واوضح لك شهود
تمكينه اياك فكنت بشعاع اليقين داخلا في ربوة التمكين واجهلك
بشهود جلاله وعظمته في التبيين فاوجب لك ذلك فناء عن الفناء وفناء
في عين البقاء فان اشهدك بعد كمالك وشهودك لجمالك وجلالك مقام
تلونات البشرية ورجعت من سماء الحقوق الحقية الى ارض الحظوظ
الخلقية فسر ما سبق لك من التمكين افناك عنه اي عن التلوين
فالتلوين بعد التمكين وشهود الجلال والجمال لا تاثير له لما سبق من
الفناء فشهود مقام التلوين غير الحلول فيه بل رجوع اليه لاجل اداء
الحقوق المعبر عنه بارض الحظوظ فالحظوظ بالنسبة لغيره لا له هو واما هو
فمات قبل ان يموت وخرج عن حظوظه راسا فافهم ثم قال رضي الله عنه

(فسبحان من اظهر تلوينات البشرية في سر غيهب الخصوصية ثم غيبها
في الفطرة الاصلية ثم افناها في الصفة الاحدية ثم مكنها فالحقيقة الازلية
بالحقيقة الازلية) عادة المولف رضي الله عنه انه اذا ذكر من عجائب
الاسرار الالهية والحقائق الربانية التي اختص بها اهل القرب منه
والمعرفة والعلم به ان يذكر تسبيحا وتنزيها عقبه كالتعجب من عظيم

ما مر كما قال سبحان من اظهر وابدى حالات تلوينات البشرية علامة على افتقار الهياكل الانسانية وقهرها تحت عرش سلطان المقادير الربانية وابطن وطوى سر ما انطوت عليه من المحامد الكمالية في سر غيهب حدس الخصوصية ثم زج بها في غيب الفطرة الاصلية التي اخذ عليها العهد يوم الست بربكم فتميزت الخصوصية متمحضة ثم اعيدت في ظلام حجاب المثلية التي موجبها تلون الاحوال البشرية ثم افناها في الصفة الاحدية بعد الفناء في صفة الوحدانية لان الاحدية ابلغ فشهود الوحدانية يوجب الفناء الاول وشهود الاحدية يوجب الثاني ثم بعد الفناء في الصفة الاحدية والغيبة عن كل الكل والتلاشي مكنها واثبتها في وجود الحقيقة الازلية وهو البقاء فشهود الحقيقة الازلية والتمكين منها يوجب البقاء الذي هو مقام الجمعية والتفرقة فلا جمعه يحجبه عن فرقه ولا فرقه يحجبه عن جمعه كثرة في وحدة ووحدة في كثرة فلا وحدتها تنافي كثرتها ولا كثرتها تنافي وحدتها وقولنا التي اخذ عليها العهد الخ اشارة الى ان الله تعلى انزل عبيده منازلهم واحلهم مقاماتهم في سابق علمه ثم ابرز ذلك الى الوجود يوم اخذ العهد عليهم فبقدر سرعتهم في الجواب بقولهم بلى وطوعهم تكون خصوصيتهم فالسابقون السابقون اولئك المقربون فالخصوصية ثبتت من هناك وتميزت ثم اعيدت في عالم غيبها وظهرت في الاصداف الانسانية التلوينات البشرية وتدنست النفس عن فطرتها الاصلية فكانت جوهريتها منحجبة تحت ما علاها وسترها من الاوصاف البشرية فاذا من الله على احد من عبيده بالتخصيص الهمه ذكره واوقفه على حدود توجب صقالة مرآة قلبه من الصدى فلا يزال كذلك حتى يرجع حاله الى ما انتهى اليه سابقا ازلا كماله فلا يتعدى ما قسم له من النور المحمدي لان الخصوصية ناشئة من النور المحمدي المنقسم من قبضة كوني محمدا كما قال ان الله قبض قبضة من نوره وقال لها كوني محمدا فلا يزال قسم الارواح التي سبق التخصيص في ترق وتدل الى ان يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين فالنور المحمدي لا زال في امة الاجابة لا يفارقهم ابدا ظهر اثره على البعض وخفي في البعض

قال الله تعالى ما كان الله ليعذبهم وانت فيهم فالاشارة الى ما استودع من نور روحانيته عليه الصلاة والسلام في اسرار اهل ملته الذين هم اهل الخصوص وهذا النور بالنسبة الى الروحانية وانشاء تنوير السر وترقيه الى حالة كماله بمثابة عجب الذنب للجسم فلولا ما اودع الله تعالى من هذا النور المحمدي في لطائف الارواح ما كان خصوص ولا تم خلوص فما كان الله ليعذب اهل الخصوص بنار الطبيعة السفلية والحجب النفسانية وانت مودع فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاهل الخصوصية شهودهم ما اشتملت عليه من الكمالات حدودهم وداب من دونهم الاستغفار فاولئك مقربون وهولاء ابرار ولنثن العنان خشية الخروج عن المقصود والله دائم الوجود ثم قال رضي الله عنه (متى افناك في وجود الحق غيبك عن وجودك ومتى اخفاك عن وجودك اشهدك وجوده فكن بما شاهدته منه في الوجود لا بما يشهده منك في المفقود لان المفقود غيب في المشهود ولا يظهر الموجود إلّا بظهور المفقود) تقدم معنى الفناء والبقاء كثيرا فطالعه في محاله وقال هنا متى غلب عليك الشهود حتى افناك عن حسك وغيبك عن الوجود باسره حتى فارقت جنسك فاعلم انه غيبك بنور وجوده عن ان ترى لك وجودا او تثبت لذاتك شهودا لان وجودك حجاب مضروب عن ادراك وجوده فاذا طلع شاهد الحق بنور وجوده اضمحلت الآثار الكونية وتلاشت الخيالات الغيرية فلا يبقى لصاحب الفناء إلّا شهود الحق بالحق وإلّا فمتى اثبت لنفسه شهودا كان له وجودا وهو ينافي الفناء الذي يزعمه لان الفناء يغيبه عن وجوده ويلزم منه عدم علمه بحاله وشهوده ومتى اخفاك عن وجودك بالفناء عنه وانسلاخك منه اشهدك وجوده به لا بك اذ خروجك عن اوصافك الفانية بدخلك على اوصافه الباقية وتخليك من الاخلاق البشرية يورثك التحلي بالكمالات الروحانية فكن حينئذ معه بما تشاهده به ومنه من انوار الوجود لا بما هو مستعار اليك مما هو منعدم ومفقود فظلمة تكوين ليل وجودك بساط لظهر شمس نهار وجوده فلولا وجودك ما ظهر لك وجوده ولولا بطونه فيك ما كنت انت ولا انيتك فهويته هي التي اظهرتك

لك وإلّا فلا سبيل لبروزك انت ولا شهود لانتيتك وهو الاول والآخر والظاهر والباطن فالاول ايجادا والآخر امدادا الظاهر شهودا والباطن وجودا هو الاول بلا بداية والآخر بلا نهاية هو الظاهر بباطنيته والباطن بظاهريته اوليته سابقة لكل شيء وآخريته باقية بعد كل شيء احاطت اوليته وآخريته بكل شيء واكتنفت ظاهريته وباطنيته كل شيء فما بين الاولية والآخرية والظاهرية والباطنية لسواه من وجود ولا لغيره من شهود فاوليته دالة على آخريته وآخريته دالة على اوليته وظاهريته دالة على باطنيته وباطنيته دالة على ظاهريته فاوليته الازلية مضروبة في آخريته الديمومية وظاهريته المشهودة مضروبة في باطنيته الموجودة فافهم ثم قال رضي الله عنه

(خذ من الدنيا ما يفنيك ومن الاخرة ما يبقيك ومن الله ما يغنيك ومن الزهد ما ينقلك عنه خذ من الدنيا ما يزهدك فيها ان نظرت الى ظاهر غرة الدنيا حقرتها وان نظرت الى عبرة باطنها استقذرتها فالنظر الى ظاهرها يضر والنظر الى باطنها يدر) خذ من العالم الدنياوي ما يئول اليه امره ليفنيك عنه وينقلك منه ومن العالم الاخراوي ما يقدمك اليه ويوقفك عليه ليبقيك به فان وقفت قدمك في بساط الآخرة وخلفت الدنيا وراء ظهرك فاقبل على مولاك وازهد في اخراك كما زهدت في دنياك وخذ من كمالاته ما ينسيك فيهما ويغنيك عنهما اذ هما اكوان غيرية والوقوف عند الكون والافتقار اليه قادح في العبودية وان ثبت لك مقام الزهد فيما سواه والخروج عما عداه فخذ من باطن زهدك الزهد فيه والغيبة عنه وسيأتي لكلامه ما يكمل به مرامه في الزهد فاستعن على رحلتك من الدنيا وانتقالك بقلبك عنها بموجبات الزهد فيها وذلك ان تاملك في ظاهر زهرتها وبادي غرتها يوجب لها الحقارة لان جميع طيباتها وحلاواتها على التمام آيلة الى المرارة كما قال صلى الله عليه وسلم الدنيا زهرة ذابلة ولعاعة حابلة او كما قال وقال ما من فرحة إلّا ووراءها ترحة لان امورها كلها مزدوجة ما من خير في ظاهرها إلّا وهو حابل بشر من باطنها زيادتها نقص وعطاوها منع ورخاوها شدة

وسعتها ضيق وبالجملة فالامر بآخره وآخر الدنيا وما انطوت عليه الفناء وما كان هكذا فالواجب على العاقل الزهد فيه واعراض القلب عنه وقد علمت ان كسوفات الفناء لائحة على هذه الدار بدليل ما انطوت عليه واشتملت من الاكدار فظاهرها غرة زاهرة وطلعة باهرة يقف عند بهجتها من لا عقل له ولا فهم وينفذها الى باطن حالها من له بصيرة نورانية فتنقلب غرتها غرورا والفتها نفورا حتى اذا باطن حالها وادرك مآلها استقذرها وعافها كما وقع المولف رضي الله عنه من انكشافها فى صورة شابة جميلة المنظر طيبة الريح وعرضت نفسها عليه فاعرض عنها فابدت له باطنها واظهرت حقيقتها فوجدها عجوزا شمطاء زرقاء بادية الانياب منتنة الريح فكان زهده فى غرتها اورثه الاطلاع على باطنها وروية حقيقتها واثبت له كمال الزهد الذي هو عين الفلاح فهذا ابتداء حاله رضي الله عنه وارضاه واسعدنا به وبالاجتماع به يوم لقاه آمين واعلم يا حبيبي ان الوقوف مع ظاهر الدنيا واستحسان بهجتها والتلذذ بزهرتها يضر القلوب ويصدها عن معرفة علام الغيوب كيف لا والدنيا خمر ابليس وعلى بابها يدخل على العباد الخلل في طاعتهم وفى احوالهم التلبيس كما قيل الدنيا نهر طالوت فمن عبرها طائفا نجا وفضل اهل الحجا ومن اغترف يسيرا لحقته السعادة وكانت عاقبته الى الزيادة ومن انكب على الشرب منه اورثه الفشل واعقبه حرمان الشهادة فى سبيل الله بكبل الوهن والوجل وكثيرا ما اسمع من المولف فى مجالس وعظه وتذكيره حاكيا عن شيخه سيدنا ابن عزوز ما نصه الدنيا حية فما دام راسها بها تعطب من حاولها وان قطع راسها حلت للاكل ويعنون براسها حبها فمن زال عنه حبها لا تضره كيفما عمل بها كما هو شان الاكابر رضي الله عنهم اه كلامه بالمعنى وفى تمثيلهم الدنيا بالحية وراسها بحبها دليل على امتزاجها بالسم واعظمه فى راسها وذنبها لان العلماء اباحوا اكلها بعد قطع راسها وذنبها بهيئة مخصوصة وكيفية معلومة حتى قالوا يقطعها بضربة واحدة خشية سريان سمها عند شدة غيضها لسائر جسدها فيحصل الضرر لآكلها من حيث لا يشعر فليعلم الواقف على مثالهم وعلى كيفية ذبحها ان يعمل فى خروجه

منها على التحيل فى قطع طرفيها بداية ونهاية ويحذر ان تدس له حبها فى غير مضانه ولا يشعر بذلك فيظن انه زهدها وخرج حبها من قلبه وحصل له الامن من غوائلها والامر بخلاف ذلك بل لابد من محاولة الزهد فيها بسياسة وكياسة وان يوطن النفس على ترك شهواتها وعدم المبالاة بحظوظها وان يخرجها من عاداتها واهويتها شيئا فشيئا حتى يصير لها ترك العادات طبيعة لا تتضرر به وحين يستحكم فى قلبه هذا يتيسر له الزهد فيها ويكون له مقاما معتدا به واما الاحوال التي ترد على القلوب بغتة فلا تحصل الطمانينة بها الّا بعد ثبوتها و رسوخها فمن انعم الله عليه بالزهد فيها بموهبة ربانية فى واردات رحمانية وثبتت له كان له السبق فى ميدان الجهاد الاكبر وفاز بالامن من هموم الامر الاخطر اذ حب الدنيا راس كل خطيئة كما قال ابن عاشر

راس الخطايا هو حب العاجله ليس الدواء الّا في الاضطرار له

فاضطرارك الى الله تعلى على قدم الصدق فى العبودية والاستكانة وسيلة الى الاعانة على قطع قاتل سمها والنجاة من دسائس همها وغمها وذلك بدخول النور فى القلب ودخوله في القلب له علامة تدل عليه وهي كما قال صلى الله عليه وسلم اذا دخل النور فى القلب اتسع وانفسح وانشرح فقيل له هل لذلك من علامة فقال التجافي عن دار الغرور والانابة لدار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله او كما قال فاذا ثبت هذا النور فى القلب انتسخ ظل حبها منه ورجع شره خيرا وضره نفعا فينقلب سمها اي الحية لبنا خالصا سائغا للشاربين لتذكيته لها بمدية اتباع الشرع واجهازه على علائقها بالقطع فكان محل (١) الضرار الادرار لان نظر باطنها هو الذي يوجب حقارتها وقذارتها الموجبين الاعراض عنها الموجب للزهد فيها الموجب للراحة الابدية والنعم السرمدية كما قال عليه الصلاة والسلام الزهد فى الدنيا يريح القلب والبدن والرغبة فيها تتعب القلب والبدن او كما قال وبالجملة فلما كان حب الدنيا هو راس كل خطيئة فازالة ذلك الحب وحسم مادته بسيف الاعراض عنها والرغبة عن حطامها هو راس كل حسنة كيف لا تكون الرغبة فيها داء وهي محشوة بالاكدار

(١) كذا بالاصل فليحرر

مملوة بالاغيار تكدر صفاء القلوب وتفرق بين المحب والمحبوب كما هو مشاهد مرئي فاستغراب ما يقع فيها من الاكدار وانتظار فروغ ما انطوت عليه من الاغيار يناقض وصف العقلاء لانه ولابد منه يكون لتحتم وقوعه قال ابن عطاء الله لا تستغرب وقوع الاكدار ما دمت في هذه الدار فانها ما ابرزت الا ما هو مستحق وصفها وواجب نعتها ابن عباد فمن ضروريات الدنيا وجدان المكاره والمشاق فيها فتقع الاكدار بسبب ذلك وايضا فحاصل الدنيا امور وهمية انقادت طبائع الناس اليها وهي لا تغني بجميع مطالبهم لضيقها وقلتها وسرعة نقصها وتعلتها فتجاذبوها بينهم فتتكدر عيشهم ولم يحصلوا على كلية اغراضهم كما قيل

اري اشقياء الناس لا يسامونها   على انهم فيها عراة وجـــوع

اراها وان كانت قليلا كانهـــا   سحابة صيف عن قريب تقشع

ثم قال وفي بعض الحكايات المنقولة عن جعفر الصادق رضي الله عنه انه قال من طلب ما لم يخلق اتعب نفسه ولم يرزق فقيل له وما ذاك قال الراحة في الدنيا وفي معناه انشدوا

تطلب الراحة في دار العنـــا   خاب من يطلب شيئا لا يكون

وقال بعض البلغاء ملتمس السلامة فى دار المتالف والمعاطب كالمتمرغ على مزاحف الحيات ومداب العقارب وقال ابن مسعود رضى الله عنه الدنيا كلها غموم فما كان منها فى سرور فهو ربح وقال الجنيد رضي الله عنه لست استبشع ما يرد علي من العالم لاني قد اصلت اصلا وهو ان الدنيا دار هم وغم وبلاء وفتنة وان العالم كله شر ومن حكمه ان يتلقاني بكل ما اكره فان تلقاني بكل ما احب فهو فضل والا فالاصل هو الاول وقال ابو تراب رضى الله عنه يا ايها الناس انتم تحبون ثلاثة اشياء وليس هى لكم تحبون النفس وهي لهواها وتحبون الروح والروح لله وتحبون المال والمال للورثة وتطلبون اثنين ولا تجدونهما الراحة والفرح وهما فى الجنة فالواجب على العبد ان لا يوطن على الراحة فى الدنيا نفسا ولا يركن فيها الى ما يقتضى فرحا وانسا ويعمل على قول النبى صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه ابو هريرة رضى الله عنه الدنيا سجن المومن

فبتوطين العبد على المحن فى دنياه يهون عليه ما يلقاه ويجد السلوان عند فقدان ما يهواه كما قيل

يمثل ذو اللب فى لبه — شدائده قبل ان تنزلا
فان نزلت بغتة لم ترعه — لما كان فى نفسه مثلا
راى الامر يفضى لآخره — فصير آخره اولا
وذو الجهل يامن ايامه — وينسى مصارع من قد خلا
فان دهمته صروف الزمان — ببعض مصائبه اعولا
ولو قدم الحزم فى نفسه — لعلمه الصبر عند البلا

ثم قال قال الله تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وقال علي رضى الله عنه الصبر مطية لا تكبو اي لا تعثر وسيف لا ينبو وقال ابن عباس رضي الله عنه افضل العدة الصبر عند الشدة اه كلامه ببعض اختصار واوردته هاهنا بطوله اسيس الحاجة المتعلقة بكلام المولف اليه ثم قال رضى الله عنه (ان اعتبرت ظاهرها رغبك فيها وان اعتبرت باطنها احقركها فحذ مه يحقركها ويرغبك عنها) نظر المربي الى ظاهر زهرة الدنيا موجب لرغبته فيها واقباله بكليته عليها فيقع له فى باطنه من الحرص عليها ما يوجب له التعب والنصب ظاهرا وباطنا فالظاهر بالسعي على جمعها بجوارحه واما الباطن فباهتمامه بها وتعلق قلبه بشانها فلا يزال كذلك تاعب القلب والقالب حتى يحكم الله بينه وبينها واما اعتباره باطنها ونفوذ بصيرته الى ما اشتملت عليه من شرها فيوجب له ذلك حقارتها الناشئة عن تلاشيها فى الشهود واضمحلالها من اصلها فى الوجود فلا يصفو على من وقف على بساط التامل والفكرة فيها قدم ولا يفرحه وجودها ولا العدم اذ هي محل الاكدار ومعدن الشرور والاخطار ايلة للغير ومشتملة على الكدر فان كانت هذه حالتها فما لك والرغبة والتنافس فيها الكائن اصلا لكل شر لان الرغبة فيها منبع الخبائث كالحقد والحسد والغل والغش والغضب والكبر والرئاسة والتقاطع والتخاصم والتهارج وامثال ذلك من الاحوال الرديئة والاوصاف الخبيثة ويقطع اصلها ويحسم مادتها الرغبة عنها والزهد فيها فتبدل صفاته السيئة حسنات فما نبت

بالحرص والرغبة فيه يتقطع في الزهد والرغبة عنه كما يثمر له تحليا بدل تخليه من اوصافه قال تعالى ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفونا وكما قال تعالى فاولئك يبدل الله سيآتهم حسنات واعظم نتائج الزهد راحة القلب والبدن التي لا توجد بطوفيها ولو عند ملوك الدنيا فالملوك على الحقيقة هم الزهاد الذين فقوا جميع من ساد وقد تقدم الكلام من المؤلف على مثل هذا آنفا وانما اعدت التنبيه عليه تادبا ثم

قال رضي الله عنه (خذ من الزهد فيها ما يزهدك فيه ليس الزاهد من زهد الدنيا بل الزاهد من زهد الزهد) يقول الزهد في الدنيا والرغبة عنها وان كان خصلة حميدة لكنه لا مطلقا بل هو اول قدم يضعه المريد في الطريق فتصح له الارادة بصحته حتى اذا ثبت فيه قيل له جعل الزهد مطمح نظرك ونصب عينيك مكدر لصفاء الارادة التي بينك وبين مرادك بل اختر ان تزهد الزهد وتخرج عنه بالكلية بان لا ترى انك زاهد اصلا لان زاهد الدنيا الخارج عن حطامها مع بقائه في ملاحظة زهده ووقوفه مع وجده ليس بزاهد ولا يصح له اسم الزهد حتى يتخلى على روية الزهد وهكذا كل مقام لا يعتد به حتى يجرد نفسه من سجاف رويته كالاخلاص وغير ذلك لانه والحالة هذه باق مع نفسه عامل على حظوظها ونسبة الاحوال والمقامات اليها وذلك قادح في العبودية المقتضية للحرية من الاوصاف بالكلية لانك وان كنت زاهدا

فلست بعارف كما قال (ليس العارف من اذا زهد عرف الحق بل العارف من اذا عرف الحق ترك الزهد ليس الشان ان تزهد الزهد بل الشان ان تغيب عن رويته) لان المعرفة ارفع من الزهد لان متعلقها شهود الحق جل جلاله واعظامه واجلاله فاذا زهد هذا الشخص في الدنيا فان مجرد زهده فيها لا يوجب له كمال المعرفة بالحق تبارك وتعلى لانه لم يزل في الكثرة محجوبا بها عن وحدته واذا عرف الحق باوصافه الكمالية وشاهده باوصافه الجمالية زهد فيما سواه وسقط من عينه كل ما عداه لان معرفته بربه تثبت له الغيبة عن جميع الاغيار وروية

انه زاهد شهود غيري يناقض مقام المعرفة المقتضية انه لا مشاهدة له لغير مشهوده ولا ادراك له لغير معروفه وموجوده فافهم ثم قال رضي الله عنه

(ليس المراد منك ان تفني عن مرادك بل المراد منك ان تبقى بمراد ربك)

تقدم الكلام على هذا والذي بعده واعاده للايضاح قائلا ان فناءك عن ارادتك لا توجب لك الوفاء بعبوديتك بل حتى تضم اليها البقاء بمراده لان الاول تخل من اوصافك والثاني تحل باوصافه والتخلي اصل التحلي فلا تكون فانيا عن الارادة حق الفناء حتى يثبت لك البقاء بمراد ربك فتكون به واليه في كل احوالك ومنه وعليه في جميع اعمالك فالفناء تخل من اوصافك والبقاء تحل باوصافه فاخرج من اوصافك بالتخلي يمدك باوصافه بالتحلي فاخرج عن مرادك فناء يمدك بمراده بقاء ولا تكون خارجا عن مرادك حتى تكون بمراده ثم قال

رضي الله عنه (ليس المقصود منك ان تغيب في الغيوب وانما المقصود منك تنقية العيوب ليس المراد تخلية الاغيار بل المراد تحلية الاسرار)

تطلع المريد الى ادراك ما حجب عنه وستر من المغيبات خروج عن المقصود والمراد منه لانها اي المغيبات ان كشف له عنها مع عدم تنقية عيوبه التي هي نتيجة الاستقامة على الطاعات لا عبرة بها بل الاهم في حقه تنقية عيوبه اولا ثم ان انعم الله عليه بكشف بعض المغيبات واكرمه بالاطلاع على اسرار الخفيات حمد الله وعلم ان ذلك منه واليه وليحذر الوقوف عنده والاعجاب به والسكون اليه والاعتماد عليه فانه خلق من خلق الله اكرمه به ليقوى يقينه ويشد بتاييده يمينه ولا يامن مكر الله في ذلك فعسى ان يكون مدسوسا بالمكر والاستدراج فيعسر في مداواته اذا تمكن العلاج وربما كانت الكرامة لمن لم يكن حاله ثابت على اساس الاستقامة فتخرج حينئذ عن كونها كرامة من حيث استدراج صاحبها واغتراره انه على حالة حميدة ولولا كونها محمودة ما اكرم بما اكرم به وهو والعياذ بالله في مصداق قوله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون واهل المعرفة بالله خارجون عن شهود الاحوال وفانون من وجود الاعمال باقون بالله الكبير المتعال لا عبرة لهم بشي

لان سفن قلوبهم في بحر حقائقه ثابتة في غاية التمكين مرسية كالجبال مما معهم من انوار اليقين لا يزيدون بشهود ولا ينقصون بعدم ولا وجود كما قال الصديق رضي الله عنه لو كشف الغطا ما ازددت يقينا وقد روي عن علي رضي الله عنه وكرم وجهه نحو هذه المقالة لانهما رضي الله عنهما لما ان حصل لهما كمال التمكين ونهاية مقامات اليقين ووقفا على ربوة الكمال ودام لهما الاتصال تنزهت منهما السرائر عن ان يعتريها زيادة فاحرى النقص لان ما كان قابلا للزيادة كان قابلا للنقص وقد تبرءوا من ذلك حتى عبروا من بساط المعرفة بالله بقولهم العجز عن الادراك ادراك ومثل كلام المؤلف قول ابن عطاء الله تشوفك الى ما بطن فيك من العيوب اولى من تطلعك الى ما ستر عنك من الغيوب والعيوب الباطنية التي امر السالك بتنقيتها كثيرة منها العجب والكبر والخيلاء والرياء والرئاسة والغضب وسوء الخلق والحقد والحسد والغرور والغش والخديعة وحب الجاه وحب المال والتفاخر والتقاطع والتهارج وامثال ذلك مما هو مناقض للاوصاف الحميدة فاذا كان السالك والحمد لله جادا في صقالة مرآة قلبه من ادناس عيوبها شيئا فشيئا عاملا على تهذيب سريرته كان على خير مكاشفا او محجوبا وقد مر التنبيه على مثل هذا فراجعه ان شئت **واعلم ان المراد المهم تحلية الاسرار بالصفات الحميدة عقب التخلي من الاوصاف الذميمة لان التخلي تطهير من قبيح الرذائل والتحلي تنوير بحميد الفضائل ولا يتم امر التحلي الا بالتخلي فتخلية السر من اغيارة** الكونية شرط في صحة تحليته بالاسرار الالهية اذ الحق تبارك وتعلى لا يتجلى على قلب محشو بصور الآثار الكونية حتى يتخلى منها فاذا تخلى واجهه وعليه تجلا فليس المقصود مجرد تخلية الاغيار بل حتى ينضاف اليها ويعقبها تحلية الاسرار ثم قال رضي الله عنه (ليس الاهم ان تترك الكون بل الاهم ان يتركك الكون لا تترك الكون الا من حيث يتركك فلا تتركه بترك من لا يتركه) يقول ليس الامر الاهم والمقصد الاعظم عند ارباب القلوب ان يترك المريد في اول درجات ترقيه الاكوان ويتخلى منها راسا ويتجرد من اسبابه الطبيعية له المنغرسة جبلته في ارض

عوائدها لانه لا يقدر على ذلك ولا يتيسر له ما هنالك بل لا يكون خروجه منها وانحرافه عنها الّا بعد مشاهدة تركها اياه وانحيازها عنه وتلك علامة يعرفها من سلك الطريق وعرف خبايا النفوس لانها ربما كانت في الاسباب وترغب من صاحبها النقلة الى التجرد منها وهي كاذبة او كانت في التجرد فتتطلع الى الاسباب وتنحط من سمائها الى ارض اسبابها فلا يعرف حقها من باطنها الّا من له بصيرة بها كما عرفت بل الاولى والاحق ان يترك المريد التلبس بالاكوان بترك من لا يحاول تركها ولا يريد الّا ما اراده الله منه فيها فمقامه حيث اقامه وهذا حال يلائم الادب وترك الاختيار والتدبير والطلب فان اقامه الله في الاسباب وظهرت عليه امارات الاذن فيها بتيسرها عليه من غير شغل مانع له من اداء الحقوق منها وكانت له ذريعة الى نفع خلق الله بها ودامت طاعته وصفت اوقاته فليست حينئذ هي باسباب مذمومة بل يطلب منه البقاء فيها حتى ينقله الله منها بالكلية او البعضية والوسائل بمقاصدها والمدار على توجه القلب الى الله تعلى ولا عبرة بالغالب ومن كان في ميدان المعاملة تشخص نفسه الى محاولة ضد ما هو فيه دائما يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت قال ابن عطاء الله ارادتك التجريد مع اقامة الله اياك في الاسباب من الشهوة الخفية وارادتك الاسباب مع اقامة الله اياك في التجريد انحطاط عن الهمة العلية وقال بعضهم تركت الاسباب كذا كذا مرة فعدت اليها فتركتني مرة فلم اعد اليها والى هذا يشير المولف بما تقدم له من قوله فاتركه بترك من لا يتركه ومحاولة الانسان الامور والدخول فيها بالنفس ذريعة الى التعسر والتوجه اليها بالله نتيجة التيسر قال ابن عطاء الله ما تيسر طلب انت طالبه بنفسك ولا تعسر طلب انت طالبه بربك اي لان النفس سفلية تحاول ادراك سماء العلا مع الخلود الى الارض السابعة السفلى ومن كانت هذه حالة من اين له ان يدرك امله ولذلك كان دابهم رضي الله عنهم مخالفتها او اتهامها ومراعاتها ولا يزالون ملاحظين لها من طرف خفي حتى انها لودعتهم الى طاعة تدبروا عاقبتها فلا يقبلون منها نصيحة حتى

تتميز فاسدة هي ام صحيحة فكان المؤلف يقول لا تترك الاكوان التي انت متلبس بها بتسويلات نفسانية وداعيات شهوانية بل اتركها نترك من تركها بالله ولله وكانت هجرته من الله والى الله فلا اخذ له ولا ترك الّا بالله ولله وهذا شان ارباب الهمم العلية الخارجين من الدنيا والآخرة بالكلية ثم قال رضي الله عنه (استعر منه ما هو آخذه منك وخذ من عاريته ما يريد نزعه منك والّا فانت عارية متى اراد نزعك) الامر عند ارباب البصائر بغايته ونظرهم في بدايته نافذ الى نهايته فلذلك صار في شهودهم جميع ما هو في وجودهم عارية مؤداة ومنحة مردودة فاخذوا جميع نعمه الايجادية والامدادية بعين ردها اليه واخذها منهم فاستعاروا منه ما هو مفقود واخذوا من يده ما هو منزوع منهم واليه راجع ومردود فكان وجودهم فقدا واخذهم ردا فلم يفرحهم العطاء ولم يحزنهم المنع لرويتهم نفس المنع عنه عين العطاء فجعلوا الاخير من قوله تعالى انا لله وانا اليه راجعون اولا فشاهدوا عند العطاء انا اليه وعند المنع انا لله لامر بمظهر انا لله الملك وانا اليه الملكوت فافهم فالازمنة والامكنة ظروف زائلة بما فيها فالعاقل نظرها بعين التلاشي والزوال والاحمق ما واجهها منه عقل ولا بال وهل في هذه الدار امر يدل على البقاء او شيء يشهد على الدوام بل هي بحذافيرها راحلة زائلة فانية الآن فما كان هذا حاله كيف يطمئن اليه ام كيف يعكف عاقل عليه الا ترى الى العالم العلوي والسفلي وما فيهما من الوجود تارة والعدم اخرى والتنزيل تارة والتجرد اخرى والى نفسك والى احوالها انفاسها والفاظها والحاظها وحركاتها وسكناتها وما يعتريها من الاعراض فهل عاد اليك بعض ما ذهب عنك شاهدت شيئا مما فقد منك كانت والله كالغرض تنتضله بنات الدهر بحوادث سهامها حتى اذا اصابته بسهم في مقلته سقط ميتا ولا يدري متى يصاب فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ومن كان في نفسه عارية كيف يملك فمتى اراد مالكه اخذه وما بيده اخذه ومتى اراد نزعه نزعه لله الامر من قبل ومن بعد الا الى الله تصير الامور وانظر الى قوله جل جلاله منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى

فانها تضمنت وجودا بين عدمين نسبيين فالعارفون طمح نظرهم عن هذه المرتبة الوسطى التي شغف بها غيرهم جهلا منهم وكان لاولئك قدم الصدق وحصل لهم في هذه وفي تلك الفوز والسبق كيف لا وقد ماتوا قبل ان يموتوا وارتحلوا قبل ان يرتحلوا وجعلوا هذه العاجلة موضع قدم للاخرى وضعوها في الاخرى وكانت هذه صراطهم الى جنتهم وهي حضرة ربهم فيا فوزهم في الدارين جعلنا الله منهم بمنه وكرمه (ان اردت استقامة احوالك فاستعد للتربية بحسب امكانك واختر لتربيتك من لا تطرف عيناه عنك) فالناس في سيرهم الى ربهم على قسمين ابرار ومقربون وكلام المؤلف مع السائرين على منهاج المقربين يقول من اراد تنمية احواله وتصفية شوب اعماله والسعي في جادة قويمة والتخلي من صفات ذميمة والتحلي باوصاف حميدة فليتهيا بالاستعداد وليقف على ساق الجد والاجتهاد وليضع في حجر التربية نفسه ويكل الى مربيه بحسب وسعه معناه وحسه وليصطف لتربيته وتدريج احواله من كان ذا بصيرة نافذة ومعرفة تامة كاملة فارغا من تاديب نفسه لابسا خلعة كنت سمعه وبصره ويده ورجله يستوي في مداواة وتطلع احوال مريده الباطن والظاهر والغائب والحاضر والفعل والخاطر صاحب ذوق سليم وعلم كاشف مستقيم جالس على كرسي الكمال خبير بكمالات النفوس وتزكيتها من عيوبها في كل الاحوال ليس لشمس معرفته من افول ولا يعتري قلبه من غفلة ولا ذهول يجيب كل طالب ويعطي كل راغب لا تشغله الكثرة عن الوحدة ولا الوحدة عن الكثرة يراعيك ويحفظك في الغيبة كالحضور ويكلاك في الورد والصدور فمن ليس له ابوة ولا كفالة ولا نسب ففي صغره لا يامن من الضيعة والعطب ولابد له في سائر الطريق من رفيق قال صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس في الوحدة ما اعلم ما سار راكب بالليل وحده او كما قال فمن كان في ظلمة اغياره ولم تلحظه اشعة انواره لا قدرة له على السير الى مطلوبه دون رفيق ولا اهتداء له في معرفة ولا طريق اذ لا يخلو السبيل من امور مخوفة وعقبات كئودة معروفة لابد فيها من الخبير مع الوقوف على بساط الجد والتشمير ومع هذا فلابد

لك من حفظ الادب معه ظاهرا وباطنا معتقدا انه اعرف اهل زمانه واكمل اهل عصره واوانه تكون بين يديه ميتا بين يدي غاسل يقلبك كيف شاء ويوجهك الى حيث شاء لا يتحرك منك باطن ولا ظاهر ولا يتحول عنه وجه منك ولا خاطر فان كنت معه كما وصفت والهمت قيادك اليه على نحو ما ذكرت غسلك بماء اسراره والبسك حلل انواره وادرجك في اردية الكمال وآزرك بعظمة الجلال يحملك على الاعناق وينادي خلفك بلسان الاقتداء اللحاق اللحاق تصير عبرة للناظر ويتعظ بذكرك الغائب والحاضر يصون اسرارك في ارض الحفظ الى يوم اللقاء ويعقب فناءك الدوام والبقاء تحيى في الدارين حياة ابدية وتستريح من العناء راحة سرمدية ونتيجة متابعة الاشياخ والاقتداء بهم في اقوالهم وافعالهم اكتساب ما هم عليه من الكمالات السرية والتحلي بالصفات البرية وبالاعراض عليهم ولو بالقلب يقع الحرمان ويضرب سور الصد على غيهب الخسران فالمخالفة والشقاق تقود الى الافتراق ولو على حق فانظر الى موسى مع الخضر عليهما السلام كيف اشترط عليه في بداية الصحبة بينهما كما حكى الباري جل جلاله عنهما بقوله قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا الآية فبدايته اقتداء واتباع ونهايته اهتداء وانتفاع وانظر الى الخضر كيف شرط عليه عدم السوال والاعتراض قال تعلى حاكيا عنه فان اتبعتني فلا تسالني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا الآية فلما كان من الخضر في ظاهر الامر ما يباين ما يئول اليه امر موسى من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حكم بما اقتضاه ظاهر الحال ونسي ما الزمه الخضر من اقتراح السوال فكان ظاهر الاعتراض قاطعا للوصلة ومفيتا للاغراض وكان امر الله قدرا مقدورا قال هذا فراق بيني وبينك سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا الآيات ولم يراع كونه معذورا لكون موسى بصدد الرسالة وسياسة الخلق الى الملك الحق اذا عرفت ما افضى به الاعتراض من قطع البينية وايجاب الفرقة فالحذر الحذر منه ولو بالقلب قالوا فمن قال لشيخه لم ولو بقلبه لا يفلح وقالوا عقوق الاستاذ لا توبة له ففي الخبر عنه صلى

الله عليه وسلم انه قال الشيخ في قومه كالنبي في امته او كما قال ومن خالف شيخه لم يبق على طريقته دليل ذلك في الشاهد ان سالك الطريق الحسية اذا حكم عقله واعرض عن الخبير الضلال والهلاك اليه اقرب قال صلى الله عليه وسلم التمسوا الرفيق قبل الطريق او كما قال فمن اخذ الجادة تلو رفيق عارف نصيح سلكها وعرفها وادرك معالمها كان جديرا بابلاغ من اقتدى به واتبعه قال الاستاذ ابو علي الدقاق بدو كل فرقة المخالفة يعني به من خالف شيخه لم يبق على طريقته وانقطعت العلاقة بينهما وان جمعت البقعة بينهما فمن صحب شيخا من الشيوخ ثم اعترض عليه بقلبه فقد نقض عقد الصحبة ووجبت عليه التوبة حكي ان شقيقا البلخي وابا تراب النخشبي قدما على ابي يزيد فقدمت سفرة وشاب يخدم ابا يزيد فقالا له كل معنا يا فتى فقال انا صائم فقال ابو تراب كل ولك اجر صوم شهر فابى فقال شقيق كل ولك اجر صوم سنة فابى فقال ابو يزيد دعوا من سقط من عين الله فاخذ ذلك الشاب بعد مدة بسرقة وقطعت يده قال عبد الله الرازي سمعت ابا عثمان الحيري يصف محمد بن الفضل البلخي ويمدحه فاشتاق اليه وخرج الى زيارته فلم يقع بقلبه من محمد بن الفضل ما اعتقد فيه فرجع الى ابي عثمان فساله فقال كيف وجدته فقال لم اجده كما ظننت فقال لانك استصغرته وما استصغر احد احدا الا حرم فائدته ارجع اليه بالحرمة فرجع اليه عبد الله وانتفع بزيارته اه اذا عرفت هذا فبحار قلوب الاشياخ لا تسلك الا بسفن الادب والاحترام لهم وتحريكها برياح المحبة وصحة اليقين محفوظة ومذللة بملاح المعرفة وشراعاتها انواع القربات ومرساها بر الشريعة جعلنا الله ممن ركب فسلم وصحبهم فغنم انه جواد كريم ثم قال رضي الله عنه (فالمربي لا يعرف قدره الا ربي ان امكنك الوصول اليه فاسلم قيود امورك لديه ولا تبد منك اليه ما تريد الا من حيث يبدي اليك ما يريد) يقول الاشياخ شتى والعارفون قليلون واهل التربية منهم امراء يسيرون سترت شموس خصوصية ارواحهم اصداف مثلية بشرية اشباحهم فلا يعرف احد المربي قدرا ولا يستطيع ان يحيط

به خبرا لانهم غيب في غيب مخدر في حجب جلال الالوهية المنزهة من الكيفية والتقييد والاطلاق لابسون خلع لا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها الحديث فمن كانت هذه صفاته فكيف يدرك له كنه ام كيف يعرف له قدر ولذلك قال فالمربي لا يعرف قدره الّا ربي ونعوت الكاملين غيبية سرية لا يلوح منها علم الّا لمن حظي بنصيب من نورهم الا ترى الى قول الجنيد من رآني في بدايتي قال صديق ومن رآني في نهايتي قال زنديق وذلك واضح اذ ارباب البدايات سالكون سبيل الجد والاجتهاد وهي امور ظاهرة على من اتصف بها فينسب الى الصديقية واهل النهايات سائحون في فضاء التجليات الالهية ومنغمسون في بحار العلوم العرفانية اعمالهم سرية خفية لا تشاهد اعمالهم ولا تدرك احوالهم لا يحجب عليهم شهود ولا ينقطع لهم وجود غيبتهم في حضورهم وحضورهم في غيبتهم ان تحركوا فهم الساكنون وان سكنوا فهم المتحركون فافلاك قلوبهم في عالم الجبروت سابحة ما لها من قرار وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب فنتائج جميع الفوائد في العالم العلوي والعالم السفلي الملكي والملكوتي سائرة بسرسرها في جواهر الاجرام الحسية والمعنوية كما يدركه مشاهدة ذوو الاستبصار فمن طلعت شموس انوارهم على ملكوت سره بواسطة التعرض بالاعتقاد وحسن النية فيه نتجت فوائده وتنوعت موائده وتكاثرت بالامدادت عوائده ومن حجب بغيهب الجهل او سوء الاعتقاد او مسته نار الحسد في سبخة العناد حرم الامداد وصادف سبيل الطرد والاقصاء والابعاد عافانا الله من الوقوع في اوليائه وانعم علينا بالانتظام في سلك زمرة اصفيائه ومن اجل ارخاء استار البشرية على مخدرات مراتبهم قال فالمربي لا يعرف قدره الّا ربي وقد يلوح المريد في باطنه من انوار مربيه ما يحمله على حسن الاعتقاد فيظن انه ادرك قدر مربيه كلا والله لا يعرف له قدرا ولا يحيط بامره خبرا حتى تفنى ذاته في ذاته وصفاته في صفاته فلا يشهد لنفسه عينا ولا اثرا وحينئذ يرجع الى البقاء فلا يرى دونه غيرا

فيدخل في مقام العجز عن ادراك حقيقته وذلك عين الادراك وان خاض بسره في ملكوت خصوصيته فهو عند اهل الحق ضرب من الاشراك لان الانسان الكامل هو الروح الاعظم الذي قال فيه جل جلاله ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الّا قليلا الا ترى الى تعليمه جل وعلا نبيه الادب في رد الامر اليه وما ذلك الّا ليورث عنه ما فيه سلامة ونجاة لان التربية روحانية سرية يودعها الله في صدفة بشرية من شاء والامور الروحانية لا سبيل الى معرفة حقائقها لانها من امر الله تعلى فالمربى الكامل العارف بمسالك الطريق المتقن لاحوالها سهلها وجبالها نفعها وضرها مائها وضمائها وما يعرض المار عليها بمثابة الروح للجسد فالروح ممتزج بجميع اجزاء الجسد دقيقه وجليله لا يعزب عنه منه مثقال ذرة في سماء سره ولا في ارض ظاهره شيء فكذلك الانسان الكامل سرت روحانيته في صدفة الملك وجوهرية الملكوت فبه قوام العالم العلوي والسفلي فلا يصدر شيء الّا عن علمه وبامره والى هذا يشير الاستاذ سيدي محمد بن عبد الرحمان الازهري بقوله لو خفيت عني من مريدي شعرة ما حسبت نفسي مربيا وقد تكرر منه القسم لمن عانده ونفى عنه التربية انه مربيا والباعث له على الحلف اظهار الحق واخماد الباطل لان اهل التربية في زمانه مستمدون من سره من بعد منه ومن قرب ومقتبسون من اشعة انواره بواسطة مواهب الله الجارية على قلبه ومن ذلك البساط تنقسم الامدادات والمواهب الى من فيه قابلية الى تحمل الامانة فهم كالوكلاء والنائبين عنه فاذا توجه بهمته الى شيء انعزل عن التصرف فيه من سواه وقد صادمه بعض من لم يطلع على احوال الكمل وما هم منطوون عليه من الكمالات التى لا تقاس فظن ان التربية امر ظاهر يدرك باحاطة الحواس بل هي ملكة غيبية مودعة في اسرار من اختصهم الله بذلك ومنحهم معرفة حقائق دقائق ما هنالك غير ان اهل الحق شرطوا للتربية والترقية من تربى وترقى على يدي طبيب عارف كامل فرغ من تاديب نفسه وخلص حاله في معناه وحسه ذي بصيرة نافذة وعلم صحيح يرشد به مريده ويدل لله

على

على سبيل شريعته من يهديه وقد تعاطى التربية في زماننا هذا اناس كثيرون بعد خروج الاستاذ المؤلف رضى الله عنه من هذه الدار اعتمادا منهم على مجرد اقبال الخلق عليهم واشارتهم بالاصابع اليهم من غير ان يكون لجلهم شهود ذوقي ولا وجود حقي فضلا عن السلوك ولا عن الحلول في مقامات الملك الله الله فالواجب على من تمشيخ واقتدى الناس به ان ينصح نفسه اولا فينظر في احواله السرية ويزنها بميزان الشريعة وينقد خبا'ياها نقد صيارف اهل الحقيقة فان وجد فيه قابلية لما ادعي عليه ونسب من الكمالات اليه فلا باس بانتصابه الى الارشاد لسواء السبيل وان يدعو الخلق الى مولاهم الجليل بحسب ما عنده من النور مراعيا لحاله هائبا من ربه مشاهدا لجلاله معتقدا في شهوده ان الاقبال من الخلق ليس عليه بل على الحق الذي فيه محققا انه كالظرف للشيء المظروف قاطعا بسيف الاعراض كل التعلقات والالتفاتات والاسباب موقنا ان ذلك ليس من قبله ولا من عمله بالاكتساب بل هي مواهب الملك الوهاب وان نقد نفسه وراعى احوالها فلم يجد في باطنها ما يثبت له الامامية فالواجب عليه ان ينصحها بالسعي في تزكيتها وتصفية عيوبها واخراجها من سجين ظلمات اهويتها وخبائث ذنوبها ويرحلها من سجن الاغترار بكلام المقتدين به الى فضاء انوار الراحات الابدية فانه اعرف بنفسه منهم ولا يعتمد على مدحهم له وثنائهم عليه فانهم يحمدونه بما يظنون فيه وان الظن لا يغني من الحق شيئا ابن عطاء الله لاحمق من ترك يقينه لظن ما عند الناس وقال الناس يحمدونك بما يظنون فيك فكن ذاما لنفسك بما تعلم انت منها ولا عجب ولا غرابة في رجوعه تلميذا لمن هو اعرف بالله منه فضلا عن تلامذته ولا يمنعه منه خوف ضياع رئاسته فيهم ومشيخته عليهم لان مقتضى الايمان النصيحة لقوله صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة من غشنا فليس منا والشيخ لا يكون غشاشا لانه طبيب لابد له من معرفة الدواء لكل داء والا فلا سبيل له الى تعاطي مداواة العبيد من حدسه دون معرفة ولا اتقان وحقه التسليم الى ما هو اولى منه ويجب عليه الفرح بذلك حين اذ كفاه المئونة وطوقها

غيره قال بعضهم لا اعدل بالسلامة شيئا وهذا لما لم يكن اهلا لحمل الامانة وآدابها الى مستحقيها وتداركه ربه بصرف محنتها الى غيره وجب عليه الشكر على نعمة عافيته هو واصابة غيره وجه الحق طيبا ومطبوبا والكلام مع من هو في التربية والتسليك لا غير واما من هو في بحث الاوراد وايصالها الى مستحقيها مع خروجه عن دعوى ما ليس له باهل فلا يعترض عليه ولا ينكر عنه ذلك الا جهول مطلقا وصل اولم يصل ولا يشترط فيه كمال التخليص لانه ليس كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه وليس ذلك الا شرط كمال لا غير وقوله ان امكنك الوصول اليه فاسلم قيود امورك لديه نص ظاهر في ان معرفة المربى صعبة لا يهتدي اليها الا من سلك الله به سبيل الهداية والتوفيق وليس ذلك ممكن لكل من توجه لسلوك جادة المقربين لان منهم من يعثر على مربيه ويجد في حاله من يرقيه ومنهم من لا يمكنه ذلك لفقده او لفساد عقده عياذا بالله يقول اذا امدك الله بالهداية والتوفيق وسلك بقلبك جادة الصدق والتصديق يسر لك اسباب معرفة مرشدك ودليلك واوضح لك بعض ما يقوي زادك في مقامك ورحيلك فتعلم علم اليقين انه كبريتك الاحمر الذي تصفو به عناصرك الاربع من خبثها وفسادها وترتفع سلعتك بين اهل الله من انحطاطها وكسادها فالواجب عليك حينئذ اسلام امورك اليه وعكوف قلبك وسرك عليه لا تلتفت الى غيره ولا تستمد الا من سره فيكون سببا في وجودك ويتكفل بشهودك فاول فتحك ومبدا معرفتك عثورك على كنزه وانواره واول ترقيك ذوقك من ينابيع اسراره فهو باب الله الاكبر الى المريدين وسلم صعود المرتقين الى سماء المعالي وقوله ولا تبد منك اليه ما تريد الا من حيث يبدي اليك ما يريد كالبيان لما قبله كما كانت هذه عادته رضي الله عنه في هذا التاليف غالبا اي اذا وقفت بتاييد الله وارشاده على بساط معرفة المربي واهتديت للوقوف على بابه فاسلم كليات امورك اليه دقيقها وجليلها ولا تدبر معه امرا ولا تجعل لك مع اختياره لك اختيارا لانه اعرف بمصالحك منك وادرى فالاب الجسماني لا يفتقر الى دلالة احد على مصالح ولده التي يحتاج

اليها

اليها الولد ولا يتوقف نظره في جلب نفع او دفع ضر على غيره بل هو ادرى لاحوال ولده منه ومن غيره فكذلك الاب الروحانى لا مرية في انه عارف بمصالح مريده السرية والجهرية حالا ومآلا ولا يزال يدفع عنه الاوصاف والعلل التي تشينه تخليا ويلبسه خلع ما يزينه تحليا يفيض عليه من ينابيع الارزاق الربانية ويغمر وجوده بمشارب الاذواق الروحانية لا يبدي ولا يظهر له مريده مرادا حتى يفيده به قبل سواله ارشادا اغترافا من بحر قول الله عز وجل على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم عبدي اطعني فيما امرتك ولا تعلمني بما يصلحك الحديث فمن اطاع مربيه بامتثال اموره وجانب مخالفته في ورده وصدوره كان كفيلا له بالمراد من غير اعلام ولا استرشاد فاذا ترك المريد مراده في مراد مربيه وخرج عن اختيار نفسه وتدبيرها رضا باختياره له وتدبيره كان اقرب الى الادب واسلم من مواقع العطب لان مرادات المربي دائما لا تكون لمريده الا روحانية علوية بخلاف مقاصد المريد فقد تكون بمقتضى ما تميل اليه نفسانية سفلية فالفرق بين الابوة الروحانية والجسمانية ظاهر لا خفاء فيه ولله در القائل

اقدم استاذي على حق والدي وان نالني من والدي العز والشرف
فذاك مربي القلب والقلب جوهر وهذا مربي الجسم والجسم من صدف

فشتان بين من يراعي ظاهرك وبين من يراعي باطنك فالانسان بروحه لا بمجرد جسمه انسان اذا عرفت ان حق مربيك وطاعته اوجب وآكد من حق والدك الجسماني فاسلام امرك اليه وترك اختيارك في اختياره وتدبيرك في تدبيره هو محض توكل وتفويض واعتماد على الله عز وجل اذ الاستاذ وسيلة موصلة اليه والمقصد والغاية هو الله تعالى قال الله تعالى يايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون فانظر لباطن الآية بعين فكرتك وتدبرها تجد فيها العجائب الا ترى الى انه قرع اسماع المخاطبين ونوه عليهم بخصوصية النداء عنهم باسم الايمان فالتفتوا اليه باحداق قلوبهم مسترشدين له فامرهم بالتقوى التي هي السمع والطاعة اجتنابا وامتثالا ظاهرا وباطنا ثم

ارشدهم الى ابتغاء وطلب الوسيلة اليه والدالة عليه وبين لهم ثمرة انعقاد البيعة اليها وفائدة الاقتداء بها وهي صحة المجاهدة فقال وجاهدوا في سبيله فكما ان الجهاد الاصغر الذي هو جهاد الكفرة لا يستقيم الا مع امام عارف ذي مكانة وثبات فكذلك الجهاد الاكبر الذي هو جهاد النفوس لا تحصل فائدته التي هي الفلاح والفوز بالمطوب الا بعد انعقاد بيعة وتصحيح ربطة مع امام توفرت شروطه وانتفت موانعه يصح به الاقتداء وينتج معه الاهتداء ينصر جيوش ايمانك على الاعداء ويستخلص بهجتك من اوصاف الرداء وانظر ايضا الى قوله يايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا ان الله مع المتقين والغلظة هي القوة والشدة في الدين وهي لا تتم الا مع امام والكفار الذين يلون الانسان في باطن الآية هي اعداوه الباطنة من النفس والهوى والشيطان وما انضم لهم وانتظم في سلكهم كانه يقول في معنى مجموع الآيتين الكريمتين يايها المومن حل ايمانك بحلاه التقوى واصحب وسيلة تبلغك الي وتدلك في سبيلك علي تصح لك معها المجاهدة وتثمر منها نتيجة المشاهدة وذلك عين الفلاح فافهم ثم قال رضي الله عنه (واطلب شيخك من حيث هو هو ولا تطلب نفسك من حيث هي هي) اي لا تكون لك ارادة صادقة حتى تكون لك همة سابقة تجوس بها خلال الديار وتدرك بها من شيخك ما تضمنه الاظهار والاضمار تطلبه من حيث سريان هويته فيك ومشاهدة اشراق شمس سره عليك يتزايد منها شجر ايمانك وينتسخ من نورها ظل اكوانك فترى عند ذلك الحق حقا والباطل باطلا فتحذر ان تطلب معه غيرا من الاغيار الكونية معنى ولا حسا وتخرج عن وجود هويتك فلا ترى جسما ولا نفسا فاذا جاء حق وجود الاستاذ في باطنك زهق باطل شهود نفسك فشهودك اهوية شيخك السارية في عوالمك بقاء وخروجك عن مرادات نفسك وغيبوبتك عنها فناء فاخرج عن سجين مشاهدة نفسك الى فضاء مشاهدة شيخك فاذا جاء الحق زهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فالشيخ هيكل نوراني تغيب عند مشاهدة لطيفه وخياله الخواطر والشواغل والهواجس

فطلبه وراقبه في اول سلوكك الى المطلوب فيه السعي والوصول الى المرغوب ولذلك حثوا على تخييل صورته للمريد السائر في الطريق للفوائد التي يتحف بها المريدون من حصول صورته امام المريد واغتفروا مطالبة حصول شخصه في صلب العبادات لما فيه من المنافع التي تعود على من انعم عليه بذلك لان له دخلا في تربية المريد وموانسته في طريقه ودلالته السائر الى المطلوب دلالة سرية وجهرية فالجهرية هي قوله للمريد افعل لا تفعل عند اخباره له بما يرد عليه من الخواطر يقظة او ما يقع له مناما والسرية هي حصوله للمريد في حال اثناء سلوكه عند حلوله في مشاهدة الروحانيات المعبر عنها عندهم بعالم المثال الذي تشاهد فيه روحانية سيدنا صلى الله عليه وسلم فيظن مشاهدها لقوة شهوده انه عاين ذاته المكرمة بعين راسه والحق انه ما عاينها بذلك ولكن شاهد الروحانية لا غير كما وقع لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حين اتاه جبريل في صورة آدمي بحضر جمع من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين فساله ما الايمان والاسلام والاحسان الحديث المشهور فشاهدوه والحالة تلك في سنة وقعت لهم حتى اتم سواله الذي مضمنه وثمرته تعليمهم كما اخبرهم صلى الله عليه وسلم انه جبريل اتاكم ليعلمكم دينكم ولا تشاهد الروحانيات الّا بالسر لان الحواس موقعها ادراك المحسوسات وكما وقع لشخص جاء الى سيدنا مصطفى البكري واخبره بانه راى ذات المصطفى صلى الله عليه وسلم يقظة بعين راسه فقال له هل كان معك حين الروية احد فقال نعم فقال له هل رآه معك فقال لا فقال له ما شاهدته الّا بعين قلبك ولو شاهدته بعين راسك لشاهده جليسك فاطمان ذلك الشخص بكلام الشيخ وقال له جازاك الله خيرا كنت تائها فدللتني على الطريق اذا عرفت هذا علمت انهم جعلوا تخييل صورة النبي صلى الله عليه وسلم صورة الشيخ للمريد في حال ذكره شبكة يصطاد بها واردات الحق جل جلاله وبتمكنهما من القلب ورسوخهما فيه يتقوى ويقدر على حمل امانة اسرار تجليات الجليل تبارك وتعالى فاول ما يكرم به المجتهد حصول صورة قدوته وانتقاشها نصب عينيه حتى تتمكن منه

فيرى انه هو ولا يرى لنفسه ولا لغيره عينا ولا اثرا فاذا تم له ذلك وحظي بسر ما هنالك قادته تلك الصورة واخذت بعنان قلبه حتى توقفه على صورته صلى الله عليه وسلم المباركة فتنفتح له جنة حضرته عليه الصلاة والسلام فيشاهد فيها من النعيم الروحاني والكمال الايماني ما لا يقوم له قدرا ولا يودي له شكرا فبينما انت في نعيمك وسرورك ومملكتك وحبورك اذ غشيك نور الحضرة الالهية فغيبك عما انت فيه من الحضرة المحمدية فتنصب على سرك سحائب الافضال ويواجهك سيدك بما لم يخطر لك على بال فلا تزال في شهودك الاحساني ووجدك العياني مختطف عن كل اغيارك زاجا في ابحر تجلياتك وانوارك ملهما مخاطبا فتصير للتجلي طورا وللتحلي نورا فاذا تمكنت منك التجليات وقامت بقلبك التحليات فقت من غشية الفناء الى صحو البقاء يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي فارجع حينئذ من سماء الحقوق الى ارض الحظوظ فلا يشغلك شهود الحق على حقوق الخلق ولا عكسه فاولها وحدانية وثانيها جمعية جمعية ثم لا تشغله هذه من هذه ولا هذه عن هذه فهذا هو النعيم المقيم جعلنا الله من اهله بمنه وقد طال بنا الكلام هنا فافضى بنا الى الخروج عن المقصود من تتبع كلام المولف فالعذر لنا من حيث الذهول والفائدة في الكل موجودة

تنبيه تقدم لنا الاشارة الى حديث جبريل عليه السلام مع النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضى الله عنهم اجمعين وانهم شاهدوه في حال السنة الفهوانية بعين قلوبهم فهذا مقتضى كلام من وقفت عليهم والذي يظهر والله اعلم انهم لما كانوا بحضرة شمس الوجود سيدنا صلى الله عليه وسلم الذي اعطاه الله من كمال النهاية ما لا تدرك له غاية ان قدر على روية ذاته الجليلة في هذه الدار بعيني راسه لاجرم انهم اقتبسوا من شمسه عليه الصلاة والسلام ما قدروا به على مشاهدة روحانية جبريل عليه السلام بعيون رءوسهم في صورة كرامة من الله لهم وما ذلك على الله بعزيز فكذلك الوارثون لهم لا مانع من ان يكرموا بحظ وافر مما اكرم به غيرهم من تحقيق الشهود وتكاثف ما لطف لقوة الوجود فافهم ثم قال

رضي الله عنه (والشيخ من بصرك بعيوبك ثم انقذك منها) اي فالشيخ المربي الذي تثق به وتعتمد في سيرك الى مطلوبك على معرفته وتهتدي بدلالته هو الذي له بصيرة نافذة وذوق سليم وعلم مستقيم وميزان صحيح ينقد دنانير احوالك ويزن جواهر خواطرك واعمالك فما كان منها خالصا اثبته وابقاه وما كان منها مشوبا رده والقاه يعرفك بخفيات عيوبك وينقذك من خبائث خطوبك فاذا وجد فيك عيبا بصرك به وعرفك منشاه لتكون من الوقوع في مثله على حذر وبالتخلي منه والخروج عنه على بصر والعيوب التي يجب التخلي عنها والتحلي باضدادها لا تنحصر بالعد بل بالتقريب والحد وهي كل ما حجبك عن مطلوبك او ابطا بك عن مرغوبك فهو عيب وهي باعتبار المتصف بها اقسام فمنها حجب الذنوب وهي ظلمانية يتصف بها من كان في المقام الاول الذي هو مقام النفس الامارة وذلك كالكبر والعجب والرياء والسمعة والحسد والغش والمكر والخديعة والرئاسة وغير ذلك او نورانية وهي لاهل المقام الثاني وهو التي تسمى النفس اللوامة لكونها تلوم صاحبها بعد الوقوع فيما نهي عنه ما لك فعلت وفيما امر به ما لك او اكثرت وهذا دابها وسميت حجبها نورانية لرقتها وخفة كثافتها فترى الحق حقا والباطل باطلا ولا تقدر على التخلي عن الباطل ولا على التحلي بالحق لكونها لا زالت في التلوين ومن حجبها الرياء الخفي وهو اخفاء العمل ثم محبة اطلاع الخلق عليه ليحمدوه على فعله تمنيا في اثناء العمل لا في ابتدائه ان لو اطلعوا على اخفائه واخلاصه وهو خطر كما قال صلى الله عليه وسلم المخلصون على خطر عظيم او كما قال ومنها محبة الجاه ورفع الذكر واقبال الخلق والعمل طمعا في الجزاء وخوفا من العقوبة ومثل ذلك وكل مقام حجبه بالنسبة لما بعده كالملهمة والمطمئنة والراضية والمرضية والكاملة فالاول حجبه ظلمانية اغيارية والثاني نورانية والثالث اسرارية والرابع كمالية وهكذا وكل مقام له مقال فحسنات الابرار سيآت المقربين فمن كان في الاول فهو محجوب بظلمات الاغيار عن مشاهدة الانوار ومن كان في الثاني فهو محجوب بالانوار عن مشاهدة الاسرار ومن كان في الثالث فهو

محجوب بالاسرار عن الكمال وهكذا كل مقام حجابه اكثف مما بعده وادق والطف مما قبله وهي امور نسبية بحسب بعد المناسبة كما في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان بين العبد وربه سبعين حجابا او سبعين الف حجاب من نور وظلمة فلو كشفها لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه او كما قال وهذه هي الحجب التي حجبت ابصار القلوب عن مشاهدة علام الغيوب ولا يقطعها اي الحجب الا من سلك طريق المقربين فلا يزال يتخلى عنها ويمزقها ويقطع عقباتها شيئا فشيئا حتى يخرج عن آخرها وان الى ربك المنتهى كما يقع للحاج : طريقه فلابد له من رفاق وسلاح وزاد ومطية وخبير بالسبيل يدله على الطريق ويعرفه معالمه الى ان يبلغ به المقصود فالخبير هو الاستاذ العارف والمطية هي الهمة الباعثة والارادة الصادقة والقصد الصحيح والزاد هو التقوى لقوله وتزودوا فان خير الزاد التقوى والسلاح هي الاسماء التي يلقنه اياها خبيره ليرهب بها اعداءه السرية ويستعين بها على قطع المسافة المعنوية والرفاق هم اخوانه الطالبون مطلبه فلا يزالون كالحاج يقاسون شدائد الطريق ويركبون مشاقه ومتاعبه شيئا فشيئا وامامهم امامهم حتى يصل بهم الى ميقات الاحرام فيتجردون من ثياب العلائق ويغتسلون من درن الشهوات وممازجة الخلائق ويلبسون جلابيب المهابة والاحتقار تخليا ويترددون باردية الاستكانة والافتقار تحليا فيلبون بتلبية خبيرهم ويجدون في قصدهم اطاويهم ومسيرهم خارجين عن الاغيار ليس لهم دون حرم بيته وقوف عرفات معرفته ومشاهدته مثوى ولا قرار حتى اذا دنوا من بيته ولاحت لهم معالم حضرته صمتوا عن التلبية اجلالا وقدموا بين ايديهم هِمَما واحوالا فلا تسمع الا همسا فمن عرف الله كل لسانه ولا يلبي ويجاب حاضر ولا يدعى سامع ناظر فيطعمون في حضراته ويشربون من زمزم خمراته ويخرجون لرقي الجبل حتى تغشي ابصار بصائرهم ظلمة العجز عن ادراك ماهية عرفات معرفته والخوف والوجل ثم يفيضون من سماء حقوقهم الى ارض حظوظهم فيباح لهم ما كان ممنوعا ويدفع اليهم ما كان

مقطوعا وهكذا حال السائر حتى يبلغ المقصود والله ذو الفضل والكرم والجود فنرغب منه ان يمن علينا بكمال الحجبين بمنه وكرمه لا رب غيره ولا

موجود سواه ثم قال رضي الله عنه (والشيخ من اذا تدبرت فيه فكرك واذا نظرت اليه ذكرك) يقول الشيخ الذي ينفع المريدين اتباعه والاقتداء به هو من اذا تدبرت احواله السرية فكرك فيه وايقظك من سنة غفلتك عند حضورك معه واذا كنت في وصف رقاك الى ما هو ارفع منه كائنا ما كان وبه ترتقي الى معالي امورك وتهتدي الى مقاماتك وتصورك فلا يزال فكرك فيه وتحصيلك خيالك سراجا ودوام مراقبته لترقيك معراجا حتى يحل بك على مناخ منهلهم وورودهم فتروى من سر سرهم ريا لا ظماء بعده والشيخ من اذا نظرت اليه ذكرك اي اذا نظرت اليه بعين الوقار والاستكانة والافتقار ذكرك بعد النسيان والبسك ثوب العرفان قال في الرحمانية سمتك يا اواه من رآك ذكر الله فسمة العارفين المشرقة على اسرة وجوههم تذكر من آها وترقص من عناها لما انطوت عليه من الكمالات السرية فتشرق على ظواهرهم شموس بواطنهم فلا يقابل شمس حقيقتهم شي الا واضاءت اكوانه وامتلات اوانيه وكيسانه كيف لا وقد كانت قلوبهم اوعية للانوار ومحلا للتجلي والاسرار لهم من الهيبة والجلالة ما ينفع مشاهدهم لا محالة صاروا عبرة للناظر وتذكرة للغائب عنهم والحاضر فمن شاهد خيالهم بقلبه فكروه ومن نظر الى ظواهرهم ذكروه فالى مثلهم تشد الرحال وعلى سلمهم يعرج ومنهم تكتسب الآمال ومن كانت هذه احوالهم لا شك ان معرفتهم والوقوف ببابهم هو عين الفلاح قد كانت سارية في عوالم القلوب مسلكة جاذبة لكل محب ومحبوب ومن شرط الانتفاع والاستسلام والاتباع كما لا يخفى والا فمن اين والفكرة والتذكرة قال تعالى ذلك لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد وقال انما يتذكروا اولوا الالباب ومعلوم في الظاهر ان كل انسان له قلب وله سمع من غير تمييز لاحد على احد بل المراد قلب واع كما عرفت ومن هنا ظهرت حكمة الله فيمن اراد بهم خيرا بان جعل لهم قلوبا يفقهون بها وآذانا يسمعون بها وعيونا يبصرون بها بخلاف

غيرهم كما قال لهم قلوب لا يفقهون بها الآية فلتكن يا اخي من القسم الاول وان الله لمع المحسنين الا ترى الى نور سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وما جاء به من النور الالهي وانطوى عليه من الحكم والعلوم والمعارف والحجج الباهرة كيف كان الامر فيه فمن الهمه الله رشده حجبت عنه البشرية وانكشفت له الخصوصية فعاين من الكمالات ما اوجب له السعادة والحسنى والزيادة ومن جعله تائها في اودية الغفلات جعله في اكنة من ان يفقه او يعتبر او يتفكر ويتدبر مكبولا في قفص البشرية لا يرى الّا اثرها ولا يعاين الّا ظلامها وغبارها فاوجب له المخالفة وعدم الموالفة فتخذ الهه هواه فاضله ذلك واعماه فكذلك الولاية خصوصية سرية لا شاهد لها في الخارج ولا دليل يدل عليها الّا حسن الظن وكمال الاعتقاد فمن حسن ظنك به وكمل اعتقادك فيه كان ذلك موجبا لانتفاعك منه واتباعك اذا عرفت هذا علمت مصداق قولهم شرط المحبة اتباع المحبوب قال تعالى قل ان تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقد جاءت امراة لسيدنا صلى الله عليه وسلم فقالت له اعذرني يا رسول الله فان لي قلبا واحدا فقال لها عليه الصلاة والسلام انت في حل من احبه فقد احبني ومن احبني فقد احبه ففهم عنها ما انطوت عليه واشار لها بالمقام الذي انتهت احوالها اليه فكذلك الشيخ مع تلامذته كما في الخبر الشيخ في قومه كالنبي في امته فمن ابصر رشده واستكان اليه وكسر ميزانه وعزل عقله وتجاهل لديه وعرج في سلم ترقيه عليه لاجرم انه ينتفع به حاضرا وغائبا مطلوبا وطالبا تظهر له شموس انواره في مشكاة السريرة ويشاهد خصوصيته بعين البصيرة يقتبس قمره من ذلك ويتكمل حاله بحسب ماهنالك فهذا شان من انتمى الى اهل الكمال وانتسب الى الواصلين من الرجال فافهم تصب ثم قال رضي الله عنه

(ومن شرط الشيخ ان لا يكون غشاشا من غشنا فليس منا ومن شرط الشيخ ان يكون شفافا كالمراة يرى فيه كل جميل وقبيح ومن شرطه ان ترى فيه عيوبك وتنظر فيه خواطرك) اي من شرط صحة مشيخة الشيخ وثبوت الامامية له والاعتماد عليه في ارشاده ان يكون ناصحا

منزها عن وصمة الخلابة والمداهنة والغش هذا معنى قوله ومن شرط الشيخ ان لا يكون غشاشا من غشنا فليس منا كما في الخبر وهذا معلوم ضرورة اذ من شرط النجح بالمطلوب والظفر بالمقام المرغوب السعي اليه خلف خبير عارف ناصح خال عن الغش وما يقطع طريقه لا يعزب عنه منه مثقال ذرة كما ان من شرطه ان يكون شفافا خاليا من كدرات ادناس النفس الشهوانية مقدسا عن الاحوال الحيوانية ترى فيه جميل احوالك وقبيحها وتزن بميزانه سقيم الاعمال والخواطر وصحيحها كالمرآة وتمثيله بالمرآة بديع الا ترى الى انه من شرط المرآة ان تكون شفافة مقفولة عن جميع الاغيار منسدة من جهة واحدة مقابلة بالوجه فكذلك لا يثبت لك روية احوالك في مرآة شيخك الّا اذا كان صقيل القلب من ادناسه سالم السريرة في جميع انفاسه منسدا من ناحية منفتحا من اخرى اي منسدا من جهة الخلق منفتحا من وجهة الحق لا يشغله عنه من الكثرة شاغل لا ينظر الّا اليه ولا يدل الّا عليه تلاشت امامه جميع الاكوان الغيرية واضمحلت منه ولابد من مقابلة اي من توحيد وجهته وجعله قبالة عين القلب ونصبها فهو قبلة المريدين وكعبة المصلين فمن حاد عنه بشيء من شخص قلبه واستدبره ولو بيسير دخل عليه الخلل كما عرفت من حال المرآة وايضا لابد من احتفاظك بالمرآة وحذرك من وضعها في الارض خشية ان يذرو عليها الريح التراب ونحوه فكذلك شيخك لابد من رفعه وحمله بعين الاعظام والاجلال وتوقيته من ان يصيبه من ارض حظوظك ما يوجب له نوعا من الادناس او يذرو عليه من رياح هواك فتنكدر مرآته بعد مشاهدتك اصفائها فتنقض عهودك بعد وفائها عياذا بالله ومع هذا فوخامة ذلك راجعة اليك ووبال كدرها مردود عليك والّا فالمرآة من حقيقتها البقاء على حالها والكدر وصف طاري ضرره راجع للناظر لا غير فكذلك الشيخ مرآة للمريدين يشاهدون فيه حسن احوالهم وقبيحها سقيمها وصحيحها فما كان من خير اثبتوه وما كان من شر ازالوه كما اذا جعلت المرآة قبالة وجهك فانك تزيل ما يشين وتثبت وتبقي ما يزين وقد توفرت شروط المشيخة بحذافيرها في

هذا السيد الولي رضي الله عنه وارضاه باطن الاوصاف وظاهرها جربها السالكون على يديه واثبتها العارفون منهم لديه اغنتهم خيالاته السرية بكل شهود واغمرتهم اياديه بانواع التنزلات في الفقد والوجود ناصحا عارفا شفافا كاملا مكملا واصلا موصلا جميل الظاهر والباطن ليس الخبر كالمعاينة جعلني الله والمحبين من اهل وداده وافاض علينا وعلى المسلمين من زلال فيوض امداده فانه الجواد الكريم نعم وقد قالوا الشيخ مرآة مريده فمثلوا الشيخ بالمرآة لان المرآة لا يشترط فيها إلّا الصقالة وصفا ذاتيا والتلميذ بالمقابل لها فما عاينه المقابل للمرآة في داخلها هو عين من انطوى عليه والمرآة منزهة عن ذلك لا يشوبها شيء ولا يداخلها امر وينطبع فيها ما يواجهها ويقابلها فايحذر المريد من تبرئة نفسه من انواع النقص واثباتها لقدوته حسبما ينطبع له في مرآته فان ما شاهده في المرآة هو عين ما انطوى عنه حاله قطعا فالمثال في غاية الوضوح والافادة عقلا وتجربة ومشاهدة بالحس والعادة ويحتمل وجها آخر وهو ان قلب المريد يكون كالمرآة ان صقله من ادناسه ونقاه من خيالات اوهامه وانفاسه وسد مسامه عن الاغيار وقابل به وجهة الانوار صرف اليه بصر بصيرته ونفذ ما تكون في عالم سريرته راقبه بالصيانة وراعاه بالمحافظة والابانة ينقيه من وجهتي الدنيا والآخرة فناء ويسد احد الوجهتين على غير الله بقاء كل شيء هالك إلّا وجهه فلا يشاهد في مرآة قلبه بعد مراعاته والتبويب عليه وصيانته موجودا غير الله كما وقع ذلك لبعضهم فكان اول ما فتح الله به عليه ان جعله بوابا على قلبه زمانا طويلا فحكى ذلك لقدوته ففرح له بذلك وشكر نعم الله على ما هنالك فاعقبه من الفوائد والفتح وخرق العوائد ما لا تفي به العبارة ولكن يكفي منه الايماء والاشارة فافهم وقد ركبت البحر للحج في عامنا هذا وهو عام ثمانية وستين ومائتين والف في مركب الريح ففتح الله من المثل السرية المتعلقة بامر الطريق السلوكية ما يسوغ ان نذكر بعضه ههنا ونغشي طرفا منه لافادة الطالب وذلك ان راكب بحر الحقيقة يحتاج سيره لمطلوبه الى مركوب وهي الهمة السليمة من كل وصم يشينها ويوقع الريبة

فيها ولابد له من رياح وهي المحبة والهوى والشوق الباعث ولابد له
من نواتيه وهم اخوانه المهيجون له على مطلوبه القاصدون مقصده
فلهم دخل في تسيير المركب مع رئيسه فهم اعوان وهو الكل بحسب الحقيقة
وشراعات وهي اعماله الصالحة فيتعرض بها النفحات مولاه عسى ان
تهب ريح نفحة من نفحات الرب جل جلاله فتنقله من مقام الى مقام
ولابد له من رايس وهو القدوة العارف الذي ركب البحر وعرف
معاطبه ونجاته فيسير بسفينة مريده في بحر الحقيقة في ظلمة اغياره
كما يسير به في شموس انواره كلما هبت ريح عرض لها الشراع حتى
يحصل لمريده كمال المطلوب ويظفر بالمراد فكنت والحالة هذه مراقبا
لاحوال الرايس واشاهد في وجهه حسن الحال وقبحه فاذا رضي سير
المركب وقصد السبيل تظهر عليه امارات الرضى بذلك واذا راى العكس
انقبض فكذلك القدوة مع المريدين السائرين يرون في وجهه جميع
ما عليه الحال من غير التباس ولا اشكال وفي هذا من المثل ما تركته
خوف الاطالة وقد كتبت هذا المحل في المسجد الانور تجاه روضته
عليه الصلاة والسلام بقصد التبرك والاستمداد منه كما كتبت بعض ما
قبله في المسجد الحرام كذلك ولله الحمد فالله يكتب السلامة في
السفرين ويجعل النجاة في ركوب البحرين بمنه وكرمه ثم قال رضي
الله عنه (والشيخ من اذا حضر غيبك واذا غاب احضرك) اي فالشيخ
الثابت على بساط المعرفة الجالس على كرسي الاستقامة الناظر بنور
اليقين اذا حضر معك ايها المريد غيبك عن احساسك ذهولا عنهما واذا
غاب عنك احضرك مع مولاك واشهدك حسن معناك فان حضر افناك
وان غاب ابقاك فمن كانت هذه حاله هو سيدك ومولاك فحضوره
شهود وغيبته وجود فحضوره فناء وغيبته بقاء فحضوره تخلية وغيبته
تحلية فحضوره صحو وغيبته محو فحضوره ذهول وغيبته وصول فحضوره
وصال وغيبته كمال فحضوره في قلبك عناية وغيبته استغراقا في الشهود غاية
فالتمس لتربيتك من حضوره زيادة في الاستغراق وغيبته ضياء واشراق
متحليا مع المريدين تجعله مصداق قوله تعالى وهو معكم اين ما كنتم فلا

غيبته تحجب عن حضوره ولا حضوره يحجب عن غيبته يربي الطوارك ويقضي اوطارك يتكفل لك بالمطالب ويفيض عنك جزيل المواهب فهو للقلوب بمثابة الشمس في تنميتها للعالم السفلي مع سيرها في العالم العلوي ان اشرقت على ظاهره افادت النبات والمعادن صفا وان سرت تحت العالم السفلي انمتها من باطنها فلا تزال في التنمية ظهورا وخفاء كما هو في الشاهد فهي في الحالتين نافعة دافعة ان ظهرت في عالم الشهادة افادته ضياء وان بطنت في عالم الغيب اورثته زيادة ونماء ثم قال

رضي الله عنه (والشيخ من اذا تكلم افادك واذا صمت اشهدك) اي فالشيخ الواصل الذي اذا تكلم لمريده بالارشاد افاده علوما ومعارف واذا صمت عن التكلم اشهده غيوبا ونفى عنه من باطنه ظلمات وعيوبا ففي الحالتين مرشدا ناطقا وصامتا لانه ترجمان الحق ودليله يرشد ويهدي بحول الله وقوته الزائغ الضال ويرحل بهمته ونفوذ بصيرته المتناس الحال ولا تكلمه ينافي سكوته ولا صمته ينافي تكلمه يجيب قبل السوال ويعطي قبل ارادة النوال همته علية المرام تصريحا واشارة وتلويحا وعبارة يداوي المريدين بهمته السارية فيهم ويضيء على مكونات بواطنهم بشموسه المنتشرة عليهم فلا يزالون يحدون عيس العشاق حتى ينزل بهم مناخ الاشراق وان الى ربك المنتهى قلت

دعاني للهدى امام اجبته فصرت على متن الهوى نترنم
يكلمني سرا وجهرا بسره ويغمرني جودا عن الحق نفهم
اضاء بشمسه العوالم كلها ففي الحس والمعنى وبالذل اقسم
ينادمني شربا يروق مذاقه ففي السكر غيبة اصول انعم
فمازجني حبا فكنت انساءه وخامرني قربا عليه اسلم
فاثني عليه والثناء جزاوه واشكر نعمة الدلالة نكرم

وكلام المولف قريب من حيث المعنى من قول ابن عطاء الله لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله فالكامل من الرجال لا يخلو من الدلالة في جميع احواله ارشادا بمقاله او انبساطا وحملا بحاله فاهل البدايات دلالتهم مقالية ومن سواهم تطوراتهم حالية

ثم قال رضى الله عنه (ليس الشيخ من اذا رآك تملق انما الشيخ من اذا رآك تحرق) اي فالشيخ الكامل شانه النصيحة وعدم المداهنة والغش حتى تحمله مداهنته مع المريدين على التملق لهم فيفضي ذلك بهم الى حالة الرضى عن انفسهم في كل احوالها والظن انها على حق في اقوالها وافعالها وذلك داء عضال عياذا بالله بل الشيخ من اذا راى مريده اظهر له ضربا من التحرق واعرض عن التزين له بوصف المداهنة والتملق فلا ملق إلّا للوالدين كما في الخبر لانهم جعلوا امارة الكمال الرضى في عين الغضب والغضب في عين الرضى فتكون احواله مع المريدين خفية يظهر من الكامل آثار الغضب عند موجبات الرضى وتستبين دلائل الرضى عند توقع موجبات الغضب فمن كان من المشايخ بحال العجز عن ادراك حاله في صمته وحالة اقواله وافعاله فهو الذي تتعين صحبته والربط معه لان صفاته الاهية يراعي مصالح مريده ومنافعه سواء كان في موجبات الغضب او الرضى اذ مداره مراده على ترقية نفس المريد وتزكيته باي وجه كانت فالتملق عين الغش الذي تقدم ذكره ومن غشنا فليس منا لان المراد اختبار حال المريد وعن تصفية عناصره من ردي اوصافه وغرس طباعه الحسنة في بساط الثبات واليقين والرسوخ والتمكين والتملق له ينافي ذلك بل التحرق في وجهه واظهار العبوسية له وان كان على حالة توجب الرضى عنه والحمد لله على صالح اعماله وسني احواله اولى به هذا غالب الحال وقد يكون الامر مع بعض المريدين جاريا على النادر فلا يليق به التحرق فربما يكون له داء يوجب قنوطه وانقطاعه والعياذ بالله فهذا يعمل معه قدوته على ما يليق به اذ فائدة الامر ونتيجته جبر القلوب وتصفيتها من العيوب والحاصل ان كلام المولف اغلبي من حيث الواقع كما شاهدناه يعامل المريدين معاملة الطبيب مع العليل من غير تملق بل باعراض واعراض تحرق فيثمر ذلك سقوط النفس من عين المريد وشهود انه في التفريط والتقصير وذلك يحمله على الزيادة الى امام وهو عين الفلاح بخلاف حال من تمشيخ من غير كمال فحاله ضعيف مداره على جلب

القلوب له وعكوف النفوس عليه من غير مبالاة بحال مريده زيادة ونقصا والعبرة عنده باقباله عليه والخشية من ادباره عنه وان كان في ذلك خير وهو التوالف وعدم التنافر والتخالف فما فاته من التزكية اكثر مما حصله بالتاليف ولكن كل مقام له مقال والحمد لله على كل حال والكلام مع من هو في السلوك والترقي فيراعي مسلكه ما يخلص به سبيكة قلبه باي امر كان كما يعمل الصائغ بالمعادن عند التصفية والتخليص لها بمس النار وضربها بمعول يليق بها حتى يكمل حالها الى بلوغ حد المقصود منها ولا يزيدها مس النار وضرب المعاول الا حسنا فكذلك قلب المريد بين يدي استاذه العارف لا يزداد بما يعامله به الا تزكية وتصفية قال في الهمزية

لو يمس النضار هون من النا ر لما اختير للنضار الصلاء

والنضار هو الذهب فلو لم يكن في سبكه بالنار تخليصه وتصفيته ورده الى فطرته ما سبك منها فكذلك سبائك القلوب العمل فيها على التخليص لا غير والله ولي الهداية والتوفيق ثم قال رضي الله عنه (والشيخ من اشهدك غيبته وستر عليك حضوره) اي فالشيخ الكامل من افادك غيبته في الشهود وحجب عنك حضوره في الوجود يغيب عنك وهو حاضر ويحضرك وهو غائب يحضرك بروحانيته وهو غائب ويستتر عنك بخصوصيته وهو حاضر فغيبته في طي حضوره وحضوره في فلك غيبته يفيدك نتيجة الحضور وهو غائب ويحجب عنك لمرة الوجود وهو حاضر وفي كل ذلك لهمتك رافعا ولحظوظك وهواجسك ورعونات نفسك دافعا فامداداته عليك سائحة وغيوث اسراره عليك غادية رائحة سواء حضوره معك وغيبته عنك فاغتنم محبة من حضوره غيبة وغيبته حضور فلا غيبته تنافي حضوره ولا حضوره ينافي غيبته ان حضرك غيبك وان غاب عنك اشهدك فحضوره يفني وغيبته تبقي فحضوره اشهاد وغيبته امداد فحضوره تخلية من الرذائل وغيبته تحلية بضروب الفضائل تشهده في الغيبة وتفقده في الحضور يذيقك في الغيبة كئوس اسراره ويستر عنك في الحضور شموس انواره يريك من خصوصية روحانيته في الغيبة ويحجب عنك في

سرادق بشريته فى الحضور ان وجدته فكن معه كما كان معك وان تفنى خياله فى الغيبة اعظم مما ترتقبه فى الحضور تستفد من شهوده فى الغيبة الفناء ومن استتاره فى الحضور البقاء فافهم ثم قال رضى الله عنه

(المربى من اربى لك الفوائد وخرق لك من نفسك العوائد من لم تخرق لك على يده الستور لا ترده فانه غرور) يقول المربي لاطوار القلوب من اربى وزاد لك يا مريد جليل الفوائد وافاض من ينابيع قلبك على سرك ارواقا وقدم لك من الارزاق الروحانية موائد وخرق لك من نفسك عوائد فتستبدل مكان السيئة الحسنة وتخلع منسلخا من قبائح عيوبك مشاهدا لخفيات غيوبك فتخليت اذذاك وتحليت واعلم ان خرق العوائد من النفس هو حملها على مفارقة مالوفاتها والتحمل بمشاق الجوع والسهر والذكر والفكر والمجاهدة والمكابدة والرياضة واسقاط الحظوظ والجاه المذموم وغيرذلك من الاخلاق الذميمة والاتصاف باضدادها وهى الاوصاف الحميدة وذلك يكون بيدي طبيب عارف ناصح يربيك شيئا فشيئا ويخليك منها وصفا وصفا ويحليك باضدادها خلقا خلقا حتى تاخذ طرفا من خلعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم وذلك بطرح نفسك بين يدي مربيك وجعلها فى قبضته مستسلما له معتقدا كماله على ابناء جنسه خاليا عن وصمة الانكار عليه فى امر ما قل او جل جازما بانه على السداد قائما على ساق الجد فى هديك والارشاد لا تخالف امره ولا تتطلع خبره فهذا ان رافقته فى سيرك لمطلوبك وكنت على هذه الحالة معه يرجى لك الوصول به لمرغوبك فبالصدق معهم تصل الى الصديقية والعكس بالعكس فارباء الفوائد نتيجة خرق العوائد وذلك لا يتم الا بالرياضة والمجاهدة والمكابدة للنفس على يدي من عرف حقائقها وادرك خفيات دقائقها فان عملت على ما ذكرت وسعيت على منهاج ما سطرت فطالب نفسك بمزيد الاخلاص وارج من فضل مولاك الخلاص فمن رافقته وصدقت مع الله ومعه فلم تخرق لك على يده عوائد الحجب والستور لا تصحبه فانه غرور نعم واياك والتعلق بمجرد ظاهر كلام المؤلف رضى الله عنه من غير حمله على ما يليق به فانه فيه

نوع خفاء وذلك ان من تعلق بظاهره ان عمل على بعض ما تقدم تتشوف
نفسه الى الفتح وتطلع الى الكشوفات والغيبات فان لم ير شيئا حمل
شيخه على القصور في الوصل واعتقد في زعمه انه ليس من الفحول
وليس كذلك بل المدار على صدق التوجه الى الله معه والاقتداء به
بعد العزم والتصميم والتحقيق انه على بصيرة من امورك وما قسم لك على
يديه يلحقك فمن جد وجد والوجود في الوقت الذي يريد لا في الوقت
الذي تريد والشيخ وان حرص لا يصلك على يديه الّا ما قسم لك فهو
باب الله الاعظم الذي تصعد منه اعمالك وتاتيك عنه تحفك واحوالك
فاما ان يعجل او يوجل واما ان يظهر او يخفى لان من السالكين من
لا يليق به المكاشفة لضعف حاله عنها فهي امانة لا يقدر على حملها
كل الناس فيلطف الله به ويجعله في كنف ستره وحصن حجبه وهو اليق
به لكن المكاشف مع لطف الله به امكن والمحجوب مع تاييد الله امن
لان من كثرت في سيره انواره تنوعت افكاره ومن لا فلا فالحجاب حينئذ
اسلم وحيث كان ذلك كذلك فاين للمريد وجه النقد في شيخه عند تاخر
فتحه وبطوه عنه بل لا يطالب شيخه بعد العقد فيه والربط معه بشيء
اصلا ونيته حينئذ تكفيه فكلام الاستاذ المولف محمول على ابتداء الامر
والسعي فيه على بصيرة عند اخذ البيعة وارادة السير فيختار من توفرت
فيه شروط التسليك والتوصيل واما بعد الاخذ في السير على يديه فلا
يتشوف لشيء بل يتهم نفسه ويحملها على النقص ويخوفها تارة ويرجيها
اخرى ويحذرها من الانتقاد في امر المشايخ لان قلوبهم هي ابواب الله لا
تفتح الّا لمن رضوا عنه وتوجهوا اليه واقبلوا عليه ولا يخفى على اللبيب ان
الاستشراف على الخصوصية قادح في العبودية فمقام الاستاذ جليل عن
ارادته والدلالة عليه وبالجملة فالمريد يطالب نفسه بالصدق مع مربيه
وجعلها في حجر تربيته والفتاح بيد الفتاح وما على المربي الّا ان يدل كما
انه ما على الرسول الّا البلاغ وتاخذ ثمرة ما تقدم من قوله صلى الله عليه
وسلم انما انا قاسم والله يعطي اذ المعطي هو الله وايصال الاقسام السابقة
لمستحقيها ازلا صادرة لهم على يديه عليه الصلاة والسلام وكذلك الوارثون له

فهم

فهم نواب مقسطون اخذوا حظا من العصمة بواسطة غرفة من بحر قوله لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون وقد كان داب اهل المعرفة انهم يبحثون اولا عن الحال وثبوت الوصول والكمال فاذا ظفروا احرموا خلفه وكبروا فالالتفات بقلوبهم لغيره قادح في ماموميته وهو نفس الخلل في الاقتداء ومن ذلك يقع التخلف لبعض السالكين على بعض مع اتحاد الشيخ واتفاق العمل والزمان والمكان فالله الله يا اخي من الالتفات والبحث في احوال امامك بعد اقتدائك به وشروعك في السير خلفه والتوجه لامام غيره مع وجوده وتوفر شروط الاقتداء به فكما ان المنظور اليه في الصلاة الاقتداء الكلي قولا وفعلا واعتقادا فكذلك الاقتداء بايمة السير والسلوك الى مالك الملوك بل هو اولى واحق لصحة وقوع الصلاة فذا هناك وعدم صحتها وقانيها هنا الا للنادر القليل واين القليل في هذه الازمنة التي غلب فيها اتباع الهوى وعمت بالدعاوي الباطلة الدعوى ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فما عطل المريدين على الوصول الا العلل الناشئة في قلوبهم واكثرها النقد في ايمة هديهم جعلنا الله ممن سلم فسلم وفاز بسرهم فغنم بمنه وكرمه ثم قال رضى الله عنه

(الكيس من الرجال من اشهدك منه الفضائل ومن افضالك انت متغافل) فالكيس ضد العجز كما فسره به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بقوله الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني ومعنى دان نفسه اي حاسبها اي فالكيس العارف الحاذق حذاقة سرية الفطن فطنة ربانية الذي فاق اقرانه من الرجال الاكابر هو الذي اشهدك منه انواع الفضائل بل واطلعك من سرائر القلوب وكشف لك مكنونات الغيوب على طائل فشاهدت اسراره واقتبست انواره فاضاءت مصابيح ملكوتيته في فوادك وشربت من امداداته الغيبية ما اوفى بمرادك فاكتسبت من فضائله وحسن عوائده ما تتزين به وتتوشح وترشد به وترشح فتكون انسانا روحانيا وهيكلا رحمانيا تقتبس منك الاسرار وتستفيد العبيد والاحرار ومع هذا فذلك الكيس الذي اطلعك على بعض ما يشهد لك بالخصوصية

ويوجب لك معه صدق العبودية متغافل عن افضالك ومتزاهد في احوالك حسما تقتضيه قوانين التربية الاصطلاحية فانهم يظهرون للمريد من احوالهم ما يناسب حاله كما شاهدناه في الاستاذ المؤلف قدس الله سره فاذا كنا نشاهد احوالا سنية يقظانية او منامية فيداخلنا من الفرح بها ما يناسب المقام حتى اذا قدمناها له بالحكاية والاخبار قل ان يظهر الفرح والاكتراث والمبالاة بها وانما يتغافل ويتزاهد فيها وما ذلك الا ليقل فرحنا بها وتسقط من اعيننا فنزداد في الخدمة او نثبت في المقام فجازاه الله خيرا من خبير وامام لقد عجزت النسوة ان يلدن مثله بعده نعم وقد عرفت ان مدار الطريق على قطع العلائق من القلب راسا وعدم تغافل الشيوخ عن احسان مريدهم وافضالهم موجب لاعجابهم باحوالهم واعمالهم وذلك عين تيههم واهمالهم فعمل الكمل من الرجال مع مريده على اسقاط المقامات والمنازل العلية من عينه ليحصل له صدق العبودية مع الربوبية وان كان تشوف النفوس في اول بداياتها الى المنازل والكرامات غير مضر فالكل مقام مقال اذ حسنات الابرار سيآت المقربين والاكابر اشاراتهم علية المرتقى كما قال في الهمزية

رامقا طرفه السماء ومرمى عين من شانه العلو العلاء

وقد كانت عادة المؤلف رضي الله عنه كثرة الارشاد لاخوانه لاسيما عند اجتماعهم عليه في الزيارة في المواسم والاعياد ومن جملتها بقوله لهم يا معشر الاخوان صححوا اوانيكم ومن جاء بنية رجع بها ومن رشح اناءه فلا يلومن الا نفسه ومراده بالاواني النيات فمن صحت نيته تمت امنيته ومن لا فلا وتارة يقع منه في معرض الزجر العام والمراد الخصوص لمن كشف له عن سريرته بنافذ بصيرته ايها الاخوان صرنا ذئابا في ثياب ثم يختم مذاكرته ووعظه بالبشائر العظيمة والتحف الجسيمة اقله عنده مغفرة الذنوب لانه يقول ليس غرضنا في الاجتماع مجرد المغفرة فهي شيء سهل بل الغرض فتح البصائر واستنارة السرائر ونحو ذلك وما ذلك الا تحذيرا وتبشيرا ليقلع المسيء عن اساءته وطغيانه ويزداد المحسن في احسانه والله ولي التوفيق ثم قال رضي الله عنه (فالشيخ

المعتنى به من اذا رمق خجلت له القلوب واذا تنفس تفتقت له الغيوب)
اي فحال الشيخ الكامل الذي يجب عليك الاعتناء به والتوجه اليه والوقوف ببابه والاستغناء به عن اشكاله واضرابه هو الذي اذا رمق ببصره و بصيرته عوالم القلوب اخجلها واذا لمع برق انواره على الاكنة اوجلها تحدث عند مكافحته الخشية والمهابة لما عليه سره من الجلالة الالهية والسلطنة الربانية فاذا داخل القلوب من جند انواره كثر زهرتها وتغير من الباطل الى الحق حالها قال تعلى ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون فافسادهم هو عين الاصلاح وقهرهم هو نفس الفلاح كما ان الشيخ الذي يجب الاعتناء به والاقتداء به والاهتداء بهديه هو الذي اذا تنفس بانفاس ربانية وتجلى بتجليات رحمانية على رتق القلوب فتق رتقها وعن الغيوب اوجب كشفها وخرقها لان القلوب محجوبة عن ربها بسبعين حجابا او سبعين الف حجاب من نور وظلمة كما قال صلى الله عليه وسلم ان بين العبد وربه سبعين حجابا وفي رواية سبعين الف حجاب من نور وظلمة لوكشفها لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه اوكما قال والمراد بالحجب الموانع التي تمنع البصائر عن الشهود وتحجب القلوب عن اليقظة والوجود فلا يزال يرقيك بانفاس كماله ويزحلك باخلاص حاله ويدلك على ربك بسره ومقاله حتى تعرفه حق معرفته وذلك غاية المراد فان توجهت الى الاغيار الكونية بهمته او الى الاسرار العينية بجلالة قهريته ازال ليلها ورواقها واطلع شمسها وبين اسواقها اقتباسا من قوله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه تعلى لا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها الحديث فمن كان هذا تحليه يكون اعظم مما تقدم للمريدين تخليه وعليهم تجليه فانفاسه شهب ثاقبة ليس لها دون الله حجاب فافهم ثم قال رضي الله عنه

(من شان الشيخ المعتنى به ان يكون لربه عارفا ولهموم مريده صارفا)
اي شان الشيخ ودابه وعادته وثمرة الاعتناء به والقصد اليه ان يكون لربه عارفا ولهموم مريده وعوائقه صارفا اي قاطعا فالمريد في سفره

له مقصد لابد له منه وله في ذلك السفر مهمات وهموم تعطله وتقطعه فالمقصد هو الوصول الى الله تعالى ويحتاج الى من عرفه وعلم دقائقه وادرك حقائقه لا يعرفك به الا من عرفه ولا يوصلك اليه الا من وصله اذ لا يعرف السوق الا من تسوقه ولا يرافق في علم السير ويدل عليه الا من تحققه فالسبيل مشتمل على هموم ومهمات والدليل العارف يرفع لك المهمات ويحفظك عن الملمات فان وجدت من هذه صفته فعليك به والحق اثره حتى يوصلك اليه ويوقفك عليه ثم قال رضى الله عنه (ليس من شان الشيخ ان يزهدك في الدنيا ويرغبك في الاخرة بل الشان منه ان يفنيك عنهما و يبقيك مع مالكهما) يقول للاشياخ لهم مراتب ومقامات وكل من له مقام يدل عليه ويرشد بالدلالة اليه والمراد من الشيخ الكامل توصيل مريده الى اعلى المراتب وحفظه من الملمات والمعاطب فمن دلك على الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة وجعل ذلك نهاية المعرفة وتمام الوصلة فليس بشيخ وانما الشيخ الذي يلبسك جلباب الفناء عن الدنيا والآخرة ويحليك بحلية البقاء مع مالكهما فالدنيا حجاب من الآخرة والآخرة حجاب عن الله تعالى فمطمح نظر الابرار الوقوف على ربوة الزهد في الدنيا والرغبة في ثواب الآخرة والمقربون مطالبون بالخروج عنهما معا والتنقل منهما كما وقع لبعضهم في معرض التوفيق على رشده لو وقفت مع الاولى وهي الدنيا حجبتك عن الثانية وهي الآخرة ولو وقفت مع الثانية لحجبتك عنا فانظر الى الفرق بين الابرار والمقربين فالشيخ البار لا تتعدى دلالته الى ما ليس له من المقامات وانما دلالته وارشاده الى الزهد في الدنيا والمقرب لا يقتضي حاله ذلك ولا يطاوعه ارشاده الى ما هنالك بل معظم غرضه ومبلغ قصده رحلة مريده من الاغيار الكونية راسا لانها بوضعها ظلمة وهو لا يدل من اقتدى به على ما هو غير بل يدل على الفناء عنه والانسلاخ منه حتى لا يرى له وجودا ولا يعاين له شهودا بل نهايته وصالية وغاياته كمالية فناء بالتخلي وبقاء بالتحلي فناء بالفقد وبقاء بالوجد فناء بالغيبة وبقاء بالهيبة فناء عن الشهود وبقاء بالوجود يرى ان ما

سوى

سوى الله حجاب فمن دلك على الدنيا فقد اغناك ومن دلك على الآخرة فقد الهاك ومن دلك على الله فقد اغناك من دلك على الدنيا فقد خانك وقطعك ومن دلك على الآخرة فقد الهاك ومنعك ومن دلك على الله فقد هداك ومتعك فالوقوف مع الكون من حيث هو حجاب مانع عن رب الارباب والكامل من الرجال لا يرضى بما يحجب مريده وان كان من الخيرات ما كان كما قال ابن عطاء الله كلما وقفت همة سالك عند كون من الاكوان الا ونادتها حقائقها انما نحن فتنة فلا تكفر والشيخ لا يهنا له عيش ولا يطيب له قرار حتى يفنيك عما سوى الواحد القهار تنبيه اعلم يا اخي ان احوال السالكين ومقاماتهم مختلفة متباينة وارتحالهم في سيرهم لمطلوبهم جار على قانون السير والسلوك الى ملك الملوك فربما كانت بعض العلل لبعض المريدين ادوية لبعض وبالعكس والخبير العارف يدل متبعه على ما يليق به بحسب مقامه فمن كان من المريدين في اول سلوكه لا يتاتى له الخروج عن الاكوان بالكلية وان حرص على ذلك هوا وقدوته حتى يقطع بعض المفاوز شيئا فشيئا تارة بتارة فغذاء الرجال لا يسيغه الاطفال بل لا يزال يرحله من كون الى كون الطف منه ومن حال الى حال اشرف وارفع منه حتى يغيبه عن الاكوان باسرها اسرارها وانوارها احوالها ومقاماتها بحسب ما يقتضيه ترقيه فصاحب البداية ادويته علل ارباب النهاية الا ترى الى ان من كان في المقام الاول يداوى بالادوية المقوية لجيش انواره ومن كان في الثاني يعالج بالادوية المهيجة لينابيع اسراره وهكذا فتكون مداواته بما بعده حجابا ولا يكون ذلك قادحا لانه آخذ بعنان همته مرغب لها حتى تستغرق في مقام العشق والهيمان فيفضي به ذلك الى الفناء عما سوى المحبوب وذلك يفضي الى البقاء بالمطلوب فقد بان لك ان لكل مقام مقالا ولكل ميدان مجالا فالاستاذ المولف بصدد الكلام مع من هو متوسط او في الكمال عما علمت اما ارباب البدايات فلهم المعالجة والمخادعة للنفس فكل شيء يرحلها من مقامها ويرغبها فيما بعده حتى قالوا لا باس بخداع النفس بالمقامات والكرامات

لانه يعسر عليها الفناء والغيبة عنه ولا ارتحال منه الا بعد الاخذ في

التدريج فافهم ثم قال رضى الله عنه (ليس الشيخ من يبيح لك المباحات

انما الشيخ من يقيك فيهن التعلقات ليس الشيخ من يرغبك في

المستحسنات بل الشيخ من يزهدك في التعلقات ما الشان منه ان يحسن

لك ظواهر الطاعات بل الشان منه ان يريحك فيها من الخيالات)

المريدون على اضرب وكل يعمل على ما يليق بحاله فمنهم من يليق به التجرد عن الاسباب والانقطاع بالكلية الى الملك الوهاب ومنهم من لا يساعده ذلك اضعف حاله عن الصعود الى ربوة التجرد وخلع ربقة الاسباب من عنقه او لقوة باعثه وشدة عزيمته وصحة ربطه مع مالكه فلا يوثر في باطنه من اسبابه ما يشوش عليه قلبا ولا يكدر له لبا ومنهم من له الاسباب بداية والتجرد نهاية وعكسه والامر مختلف باطنا كالاختلاف ظاهرا ومن آياته اختلاف السنتكم والوانكم فاختلافها في الظاهر دال بالاحروية على الاختلاف في الباطن فاذا كان ذلك كذلك فالامر والحمد لله يحتاج الى من يحقق حقائقه ويكشف خباياه ويبين دقائقه وهو الشيخ الكامل العارف بكمالات القلوب وادويتها فيصف لكل داء دواء ويعطي لكل ذي حق حقه فان كنت ايها السالك من اهل الاسباب والمعاملات بالاكتساب فما شيخك من يبيح لك اباحة مطلقة من القيود بل شيخك من يقي قلبك ويحفظه من التعلقات به والاستناد له والاعتماد عليه فتكون في اسبابك داخلا على باب الاذن محروسا بعناية التوكل جالسا على كرسي التفويض حاكما على اولها بآخرها ناظرا لباطنها من ظاهرها ولظاهرها من باطنها فتكون في قبضة القهر والتلاشي والفناء فلا ترى لافعالك تاثيرا فقطع العلائق القلبية من قلبك واعراضه بعدم الالتفات لها والمبالاة بها هو شان من سلك الله به سبيل الهداية والتوفيق فشيخك من قطع عنك العلائق واخرجك من سجن روية الخلائق كما انه ليس الشيخ من يرغبك ويحثك في الافعال المستحسنات ويدلك على مجرد عملها والوقوف معها

بل الشان من الشيخ العارف من يرفع قدمك من بساط شهود الاعمال ويقطع نياط قلبك عن التعلق بالاحوال فتعملها بظاهرك وتتخلى عنها بباطنك وقد قال بعض العارفين لبعض المريدين بم ذا كان يامركم شيخكم فقال له كان يامرنا بكثرة الاعمال ورويته التقصير فقال له قد امركم بالمجوسية المحضة افلا امركم بالغيبة عنها في شهود مجريها ومرسيها فرقاه بترياقه من علة كامن نفاقه فشيخه لقصوره عن درجة الكمال رغبه في كثرة الاعمال ولم يراع صفر كدر الاحوال حتى واواه من انعم الله به عليه بالهداية الى التبري من الحول والقوة والخروج عن روية الافعال ونسبتها الى فضاء مجريها شهودا ومرسيها وجودا فشيخك من زهدك في الاعمال مع وجودها واخرجك عن الاحوال مع ورودها فمقام الاول ينظر من طرف خفي الى مقام الابرار ومقام الثاني مطمئن الى المقربين الاخيار ولذلك يقول المولف رضي الله عنه ليس الشيخ من يحسن لك ظواهر الطاعات وانما الشيخ من يريحك فيها من الخيالات اي فالاعمال الصالحة تنقسم بالنظر الى فاعلها الى قسمين فمن قنع بصوانها وقشورها كان محجوبا بذلك عن نورها ومن نفذت همته الى باطنها ووقفت بصيرته على حد صدورها ادرك بحول الله مظهر قوله تعلى والله خلقكم وما تعملون فذهبت عن قلبه خيالاته واوهامه وزالت عن بصر بصيرته اكننه وظلامه فنظر لافعاله بعين الحقيقة وشاهد ان ما سوى الله باطل وانها خيالات وهمية لا وجود لحقيقتها بل حقيقتها الفناء والتلاشي والذهاب في الحال والآل كما قال صلى الله عليه وسلم اصدق كلمة قالها الشاعر لبيد

الا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائـــــل

اي فالنعيم الدنيوي زائل حقيقة والنعيم الاخروي زائل حكما لان ارباب القلوب لا يرون نعيما في هذه الدار وفي تلك الّا التمتع بروية محبوبهم والسبح في رياض حضراته وما سوى الله متلاش ذاهب قال تعلى كل شيء هالك الّا وجهه اي الّا وجهه المظهر لهذه الاشياء الكائن محلا لظهور اوليته وآخريته ظاهريته وباطنيته ايجادا وامدادا جمعا

وانفرادا فهو باق غير زائل ولا هالك اذ لولا بقاؤه بآخريته فيهما ما ظهر زوالها ولا تلاشيهما فالنهار يظهر بوجود الليل والليل يظهر بوجود النهار فالاكوان بوضعها ظلمة والحق جل جلاله نور فظهور ظلمة الكون باشراق شمس الحق فيه قال الله تعالى الله نور السموات والارض الآية وقال ابن عطاء الله الكون كله ظلمة وانما اناره ظهور الحق فيه وبالجملة فاطلاق المولف رضي الله عنه التعلقات على الالتفاتات والوقوف مع المستحسنات فيه نوع ترق وتدريج بحسب الاشارة في غاية الافادة وهو قريب من بعضه بعضا فعليك به تستفد ثم قال رضي الله عنه

(ما الشان ان يخليك في استقامة الظاهر بل الشان ان يحلي قلبك بترك الخواطر) اي ليس شان كامل الاشياخ العارف بحقائق الامور ان يتركك يا مريد مكبلا في شبكة الاستقامة على الاعمال الظاهرة من غير سعي منه في بهرجتها وتخليصها من شوائبها القادحة فيها بل الشان منه ان يحلي قلبك بحلية الخروج من اختلافات الخواطر الردية حقيقة لارباب البدايات وحكما لارباب النهايات فتحلية الظواهر مركز اقدام الابرار وتحلية البواطن معشش ارواح المقربين فلا يقف لهم نظر الا في برزخهم كالارواح عالمها ملكوتي في هذه الدار وفي تلك فلا تزال اهل المقامات الروحانية في نفوذ لبصائر بصائرهم الى مكونات ملكوت الاسرار الباطنة الى ان يرجع اليهم طرفهم خاسئا وهو حسير من حضرة العجز عن الادراك ادراك فالشيخ العارف لا يقنع لمريده بمجرد الوقوف على استقامة ظواهر الاعمال دون الظفر بمكنونات حقائقها ومغيبات اسرارها ودقائقها ثم يخرجك من سجن ما يقع لك فيها من الخواطر الالتفاتية والتلذذات النفسانية القادحة في العبودية المحضة كيف والعبودية تحرير البواطن والاسرار من الاغيار الكونية والاكدار ورؤية العمل وجولان الخواطر فيها فمشاهدة اثبات وجودها منك شوب نفساني وغرض حيواني والا لخرجت عنها بالكلية فاسترحت راحة ابدية وتنعمت نعمات سرمدية قال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين فاخلاصك العمل له هو بالتبري من شهود حولك وقوتك فيه والتحلي

بحوله

بحوله وقوته ثم خروجك عن الشهود استهلاكا في احدية الوجود ثم وجود في شهود وشهود في وجود فالاول فناء والثاني فناء عن الفناء والثالث بقاء فافهم ثم قال رضي الله عنه (من لم يرحلك من الظاهر الى الباطن ومن الباطن الى ما بطن فيه ليس بدليل) اي فالشيخ الكامل من يسافر بسر مريده من ظواهر الامور الى ملكوت بواطنها ثم ينقله من بواطنها الى حدقة ما بطن فيها فعالم الظواهر مشهد المحبوبين وباطنها مشهد المكاشفين وباطن باطنها مشهد الفانين فاول تدريجات السائر حلوله في مقام ادراك ظواهر الاعمال وتحسينها ثم رحلته الى شهود بواطنها والاطلاع على خبايا مغيباتها ثم استغراقه في باطن باطنها وهو الاشراف على مكنون شهود مجريها ومرسيها وذلك سر سر الاعمال ادراكا للباقي وجودا وغيبة للفاني شهودا فمن صحبك في رحلتك حتى اخرجك من اخطارك الثلاث هو الدليل العارف فعض عليه بنواجذ صحة ربطك معه ومن لم يكن له معك ذلك فليس هو بدليل ولا معرفة له بالترحيل فخذ حذرك من غروره واحتفظ من ظلمه وحروره فالسبيل يحتاج الى مخبر ودليل ومن لم يسلكها فهو معذور بجهله والله ولي الهداية والتوفيق ثم قال رضي الله عنه (الدليل من دلك على الله بالله والا فاجتهد في طلبه) يقول ليس كل من انتصب للدلالة وتعريف السبيل بمخبر ودليل وانما الدليل الذي تراعي دلالاته وتحفظ عنه اشاراته من دلك على معرفة الحق بالحق واخرجك من مفاوز علائق الخلق دلالاته ربانية وتدريجاته عرفانية علمه لدني وحاله رحماني لا يرضى بوقوف قدم قلبك على ظل الاغيار الكونية ولا يستقر بسرك في اودية الانوار العينية كلما وقفت همتك على طالع من انواع الشهود ناداك من ورائها في اذن قلبك ان الذي تطلب امامك انما هي فتنة فلا تكفر كما قال ابن عطاء الله ما وقفت همة السالك عند كون من الاكوان الا ونادته حقائقها ان الذي تطلب امامك انما نحن فتنة فلا تكفر والعارف من المشايخ لا يدل مريده على الحق بالخلق هذا ان كان سالكا واما ان كان مجذوبا فدليله هو الحق جل جلاله بحذف الوسائط بينه وبينه وليس كل السالكين دلالتهم

على الله بالله من اول حال بل حال الابتداء يستدل على المؤثر بالاثر الى
ان يتمكن من سره شهودا ويدركه في قلبه وجودا فيحل في تجلي الانعال
فحينئذ يعلى بهمته الى تجلي الصفات فيشاهد صفات الحق بالحق في
مظهر مدارك الخلق ثم الى مقام تجليات الاسماء فلا يكون لمن ترقى من
مقام تجليات الافعال الى ما فوقه شهود الا لله بالله لغلبة الحقيقة عليه
فيشهد ان جميع ما يواجهه حق باطن في خلق فيكون انساني الذات
روحاني الحقائق والصفات فدلالة المريد تكون على قدر حاله في
ارادته وارشاده على حسب قوته في امداده قد علم كل اناس مشربهم
فهم في قربهم على وفق شربهم فسكارى الشراب ليسوا على حال واحد
في نشاتهم وطربهم فكذلك اهل هذا الشان شهودهم مختلف كما ان نور
الابصار مختلف فنور البصائر كذلك والدلالة من الدليل العارف تكون
بقدر ما يطيقه المدلول ليتكمل حاله ويصفو مآله فان وجدت يا مريد
من سمت همته وكانت دلالته على الله بالله ظفرت به واحتضيت
بقربه وان لا تجده فانهض وشمر وجد واجتهد في طلبه لان من كان في
شرك الخلق لا يستطيع الدلالة على الحق لانه يعبر المقام الذي هو
فيه وان اجتلبه ولابد وتصنع به لا يثبت له كما قالوا تعرف عقول
الرجال في تصانيفهم وتصار يفهم ومن ادعى ما ليس فيه كذبته شواهد
الامتحان وحيث وصل التنوير وصل التعبير فمن جلس على بساط الاحدية
واستهلكت صفاته في الصفات الصمدية وكانت جمعيته في الحضرة العندية
تفيض من قلبه ينابيع اسراره وتشرق على ظاهره مكنونات انواره فيرى
مريده جوهرة ملكوت الوحدانية في صدفة ملك الاغيار الكونية فيطوي له
معالمها الى ان تفنى وتتلاشى فلا يرى الا الله بالله شهودا ثم الغيبة عنه
فناء عن فنائه الاول ثم يرجع الى احساسه ويخوض في بحره على قدر
انغماسه قائلا يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية
فادخلي في عبادي وادخلي جنتي هذا حال اهل الكمال في سيرهم مع
مرقاهم في عالم سرهم واما غيرهم فلا قدرة لهم على السير في زاخر بحار
الحقيقة اصلا ولا ينسبهم الا اتباع العارفين المدركين وذلك اسلم لهم

ولمريديهم

وارديهم والله المستعان ثم قال رضي الله عنه (من اين لك المعرفة حتى تعرف الدليل لان الدليل لا يستدل عليه الا بالمدلول عليه)
قد عرفت ان الخصوصية امر سري باطني مكنون في اصداف البشرية ومنحجب في خفايا الاكنة السرية والدلالة الصادقة لا يدركها بفضل الله الا اهل الهمم السابقة فالدليل العارف كامن كمون الزبد في اللبن لكثرة امثاله وتعدد اشكاله ان هو الا بشر مثلنا فلا نستطيع معرفة الدليل لعدم ما يدل عليه ونفس الدلالة حال رباني لا وجود له في الخارج حتى يدرك فيعرف صاحبها فلا تعرف الدليل حتى تعرف وجود دلالته وذلك امر خفي لا مجال للعقل فيه الا بحسن الظن وجميل الاعتقاد وكان الاستاذ المؤلف رضي الله عنه كثيرا ما يقول معرفة الولي اصعب من معرفة الله تعلى لان معرفة الله تعلى لها دلائل و براهين تدل عليه بخلاف الولي وقال ابن عطاء الله سبحان من ستر الخصوصية بظهور البشرية والخصوصية امر سري لا ادراك لها ولا دليل يدل عليها دلالة قطعية والا فشي في الجملة كائن والحمد لله اي ليس الدلالة على الخصوصية لها براهين قاطعة تدل عليها لوجود المثلية واحتمال حصول النقص بخلاف صفات الحق جل جلاله فكلاهما منتف فالدلالات عليه قطعية وآثاره انواره بخلاف الولي فالمثلية والكثرة اوجبتا احتمال عدم الخصوصية والاثرة وما ذلك على الله بعزيز فالدليل لمن سلك بسره سبيل الهداية هو الله تعلى يدل من اصطفاه على معرفة دليله المصاحب له في مقامه ورحيله ولا يعرف الدليل الا بمعرفة مظهر دلالته ومظهر الدلالة امر صعب الا لمن يسره الله عليه ببراءة سره من اختلافات القلب وتلاطم امواج الخواطر المانعة من سير سفينة القلب في بحر الحقائق الربانية في نهار العلوم العرفانية وقد ينعم الله على بعض بادراك حقيقة الدلالة فيكون من انواع المجذوبين ولا مانع لما اعطى ولا معطي لما منع ولا راد لما قضى ولا مبدل لما حكم والله اعلم ثم قال رضي الله عنه (ليس المريد من يريد لنفسه وانما المريد من تراد منه نفسه

الارادة منك لنفسك قبيحة وارادة الله منك نفسك حسنة فلترد لنفسك

ما يريده ربها منها والّا فانت لست بمراد) يقول الارادة بحسب من يتسم بها ويتعلق باسبابها على ضربين وتنقسم بحسب الباعث والوارد الى قسمين فارادة الانسان الامر لا يخلو من ان يكون بقصد رباني او بقصد نفساني والباعث على ذلك يدل على سر ما هنالك والخاطر الحال في القلب اولا هو الذي ينتهي اليه الامر آخرا وان كان يكمن ويخفى عمن لا حذاقة سرية عنده ولا ذوقا صحيحا يميز به الخبيث من الطيب فيعمل عليه ويدرك الحال والمآل الذي ينتهي الامر اليه فالمريد ان دخل الامور بنفسه لا بربه وطلبها لنفسه وقصد حصول غرضه وحظه فليس هو بمريد ولا ينتظم في سلك الارادة وان حاول اموره ودخلها بربه واستعان به وقصد التقرب اليه خارجا عن حظوظه ومراداته فهي الارادة الحسنة التي تحمد عاقبتها ويكون مآلها الى خير لان ارادتك ايها الانسان نفسك وسعيك في حظوظها واتباع اغراضها ركون الى الهوى الذي نهى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم عنه اذ قال فاما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى الآية وقوله صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني اوكما قال فنهي النفس عن هواها واتباعها في مراداتها ونيل شهواتها متعين على من اراد دخول جنة هذه الدار اذ هو واقف بين يديه غاديا رائحا اليه يوجب له دخول الجنة المعجلة التي تورثه الراحة الابدية والتنعمات السرمدية التي لا حظ للنفس فيها بل هي للروح المحمدي واما اتباع النفس في اراداتها واهويتها فهو موجب لاينار نار الشهوات وتراكم الكدرات على القلب والظلمات ولا حول ولا قوة الّا بالله العلي العظيم وانظر للحديث الشريف حيث يقول الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت وما لاح اليه سره فانه يقول بمضمون باطنه العارف من حاسب نفسه عن جميع اغراضها محمودة او مذمومة ولاحظ ما بعد موتها عن شهواتها ومراداتها فذلك هو النعيم الروحاني المقدس من الشوب النفساني والغرض الحيواني عاملا بقوله صلى الله عليه وسلم لن يرى احدكم ربه حتى يموت فكما انه

لا يراه في تلك الدار الباقية إلا بخروجه من سجن هذه الدار الفانية فكذلك لا يراه ولا يشاهده في هذه الدار ما دام في شبكة علائقه مكبلا بشرك حياة شهواته حتى يموت بالخروج عنها والترقي من دركها فالعامل على ما بعد موته الاختيارية او الاضطرارية كيس والعاجز ضده ومن اراد امرا بغير مراد ربه بل بمراد نفسه ونيل حظها فليس بمريد فضلا عن ان يكون مرادا ولو عقلت وعن ربك فهمت لادخلت ارادته القديمة الازلية على ارادتك الحادثة الدنية فتكون به واليه ومنه وعليه فتدخل امورك بصدق وتخرجها بصدق وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق فلا تزال تعاني نفسك وتعالجها حتى تتحمل شهودا ابقته ارادة الله لا ارادتك فتستريح من تعب ارادتك واختيارك وتدبيرك وترى العون من الله لك وتيسير اسبابك وتفتح لك ابوابك فلا تزال كذلك حتى تفنى عن مرادك وتبقى بمراد ربك فتكون والحمد لله مرادا خارجا عن ارادتك باسرها وجودا وشهودا فان كنت على هذا الوصف كانت نفسك منك مرادة مسلوبا عنها تدبيرها واختيارها متبرئة من تعب حولها وقوتها في شهود مجراها ومرساها قال ابن عطاء الله ما توقف مطلب انت طالبه بربك ولا تيسر مطلب انت طالبه بنفسك فاختر لنفسك ما يختاره ربها لها فتكون مختارا مرادا محفوظا و بالعناية ملحوظا ثم قال رضي الله عنه (فاحترم مربيك ان اردت التربية

تجتني منه كل ما تريد) قد علمت مما مر ان المشايخ هم مفتاح كل خير وعلى ايديهم تدخل الامدادات الالهية ومنهم تستمنح الالطافات السرية لاسيما اهل التربية منهم ممن له مكانة في ترقية المريدين وتزكية قلوبهم واسرارهم وافاضة امداداتهم واشراق انوارهم وملاك الامر في حسن الادب معهم ومراعاة كراماتهم واجلالهم وتوقيرهم حسبما هو معلوم بين اهل الادب والسير والسلوك مع الرب جل جلاله فمن نظر الى مربيه بعين الاحترام والاجلال نال بغيته في الحال والمآل واجتنى منه ثمرات معاملاته وتنعم على يديه بضروب نفحاته لان الله تعلى يراعي قلوب المريدين وينقدها فان وجد فيها الادب مع اوليائه والاحترام لاصفيائه افاض

فيها ينابيع اسراره وملاءها بشموس انواره وان وجد فيهـا غير ذلك مقت صاحبه ولم ينل مرغوبه ولا مطالبه غيرة من الله تعلى على اوليائه لانهم نخبته من عباده وخاصته في بلاده فهم شموس العالم وكواكبه واقماره ومن اسرارهم تـزخر بحور مواهبه وتشرق انواره فمنهـم الربح وضده فالاعتقاد فيهم عناية والانتقاد فيهـم جناية فعليك باحترامهم واجلالهـم واكرامهم وتمسك بالظن الجميل في عوامهم احرى خواصهـم لانهم اقمار الفلك الروحاني ولا يستقيم سير سره إلّا في فضـاء حقائقهـم حتى انه ينكشف لبعضهـم على حقيقته الروحانية انه هو الملك والملكوت وان امدادات الكل جارية على يديه وان لا شي سواه كما يقع لاهل مقام الفناء الاول بخلاف صاحب البقاء فانه اجل من هولاء لنظرهم الحق والخلق لا يشغلهم شان عن شان فلا الوحدة تحجبهم عن الكثرة ولا الكثرة تحجبهم عن الوحدة نعم واولياء الله هم حرماته وشعائره المشار اليهم بقوله ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب لكم فيها منافع الى اجل مسمى فتعظيم الحرمات كفيل بالخيرات وتعظيم الشعائر نتيجته تقوى القلوب لا مجرد تقوى الظواهر جزاء وفاقا لان محل التعظيم والاجلال القلب فكانت فائدته ترجع الى ذلك المحل الذي بدت منه ثم انس اهل المعاملات بوعده الكريم فقال لكم فيها اي في التقوى منافع الى اجل مسمى فمنهم من له جزاؤه في تعظيم الشعائر معجلا في الحال ومنهـم من تاخر له في المآل كما ضمن الاجابة بالوقت الذي يريد لا بالوقت الذي نريد فبعضهم بفتح بصيرته واصلاح سريرته تصفية للباطن واستقامة للظاهر فلا يزال احترامهم وتعظيمهم آخذا بعنان القلوب حتى ينيخ رواحلها لدى البيت العتيق التي هو كناية عن حضرة علام الغيوب ثم ان مطالب الناس مختلفة واغراضهم متباينة فمنهـم من همته علية المرام ومنهـم غير ذلك فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه فمن هاجر اليهـم لغرض ناله ببركاتهم كائنا ما كان يشهد له سر

قوله

قوله لكل امة جعلنا منسكا هم ناسكوه اي لكل امة وجماعة جعلنا غرضا في قلوبهم هم سحاوه جعلنا الله ممن حسن قصده وسلم وفاز وفده بمنه وكرمه آمين ثم قال رضى الله عنه (لا تحسبن التربية انت تقيمها وانما هي لصاحبها فريد لا تفقدن مربيك وهو في الوجود فان فقدته فالفقد منك اليك يعود ان فقدت نفسك في وجود مربيك فلك السبق لكل مشهود) يقول اياك ودعوى اقامة التربية من نفسك لنفسك من دون صاحبها فان صاحبها الوارث لها القائم في مقامها فرد لا تستقيم التربية لاحد دونه فالمريد بمثابة الرضيع والمربي بمثابة الام المرضعة فالولد لا يستقيم له حال بدون رضاع امه ولا كفالتها وتدريج احواله منها فان كانت الام ذات لبن غزير وهي صحيحة المزاج كان الولد في تربيتها على احسن احواله فكذلك الشيخ المربي ان كانت اسراره دافقة وانواره شارقة يكون مرباه بتلك الصفة كما قيل ان الرضاع يغير الطباع اي يغيرها الى الحسن والجودة ان كان سليم الفطرة زكي السر وبالعكس ان كان الضد واياك ان تفقد مربيك بادبارك عليه واعراضك بقلبك عنه وهو على ظهر الوجود فانه هو الشاهد والمشهود الا ترى ان الرضيع ان كانت امه موجودة يفقد في وجدها كل موجود ولا يركن الى غيرها اصلا بل لا يرى الا هي حتى انه اذا غابت ما ليس بانسان من الحيوانات وغيرها ظنه امه وذلك لغيبته عما سواها فكذلك المريد مع مربيه ينبغي له بل يجب عليه ان لا يرى سوى استاذه ولا يطمح بنظره الى غيره فهو اول درجات حصول الوحدانية في قلب السالك وبذلك يصل الى وحدانية الجليل جل جلاله فمن عمل على هذا نال فائدة صحبته وانتفع بوصلته وقربته حق الانتفاع وعمت شمس انواره كل البقاع ومن التفت الى غير مربيه في وجوده وراى غيره في عالم شهوده فقده وهو في عالم ظهور الوجود وحرم مدده ونودي عليه بالاعراض والصدود عياذا بالله وذلك لانه يشتغل قلبه ويتعلق خاطره بغيره فيتيه اذ ذاك في اودية الفكرة في احوال قدوته راغبا في التطلع عليها الموجب له الوسوسة المودية للطعن فيه والانتقاد عليه فيراعي بقلبه من هو افضل منه ليستمد من اسراره

ويستضيء بانواره فتدركه الحيرة في مفاوز المثلية فيحجب عن خصوصية امامه بشوم نقده عليه فلا يرى اثرا فيروم بعد ذلك الاقتداء بغيره زعما منه انه ينفعه ويكفله وليس كذلك اذ لا يكفل الا من هو يتيم الاب وهذا الذي التفت الى غير قدوته مع وجوده فانما يتمه من عدم عقله وهو عين الخسران ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فان فعلت ما به امرت واجتنبت ما منه حذرت فذاك وان لم تفعل فوبال امرك راجع اليك والفقد حينئذ منك مبدوه واليك يرجع ويعود فالفقد هو عدم النفع به والاستمداد منه ولو كان على ظاهر الوجود وعكسه هو عين الفلاح به والفوز ولو كان في عالم الفقد فان فقدت نفسك بعزلها عن جميع مراداتها وجعل عنانها بيد قدوتك وكنت فانيا عنها في وجود مربيك فلك السبق والقدم الصدق في كل ما هو مشاهد موجود لكونك خرجت عن سجن كثرة اغيارك الى فضاء شهود انوارك وتخليت من قفص السواء وكبل الاوهام والدعوى وخرجت من حظ نفسك والهوى الى ما فيه راحتك الابدية ونعمك السرمدية فمتى وجد المريد نفسه فقد مربيه ومتى فقدها وجده كما قيل لا يخرجك من الوصف الا شهود الوصف اي لا يخرجك من وصف نفسك الا شهود وصف قدوتك هي بما يليق بدناءتها وهو بما يقتضيه كماله ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون فملك التربية اذا حل بسلطانه في بساط قلب مريده وتمكن منه افسد مملكته هواه واخرجه من قيوده ودعواه وكانت جنود ايمانه اعزة بعد الذلة والقهر وجنود الضد اذلة بعد العز والنصر فاذا صلحت مملكة القلب بعد فسادها غلت سلعه من بعد كسادها وذلك شان الملوك فافهم وهذا من المولف رضي الله عنه ارشاد الى التمسك بذيل المربي يسلك المريد خلفه الجادة السرية متبرئا من حوله وقوته مافيا قيادة الى من تسبب في وجوده من ظلمة العدم الى نور الوجود وان لا يفقده وهو في الوجود ويحتجب عنه وهو مشهود فترك الاقتداء راسا او تركه مع مربيه لا يفيد صاحبه شيئا ولا يعود عليه بنفع بل لابد من ربط قلب المريد بقلب امامه ابتداء ودواما كما في الصلاة وذلك ان من اقتدى بامام ودخل معه في الصلاة وجب

عليه

عليه البقاء معه الى تمام صلاته والفراغ منها فان رجع الى امام غيره مع وجود صحة الاقتداء به او رجع الى الفذية والحالة هذه بطلت صلاته فكذلك المريد السائر في طريق السير والسلوك الى ملك الملوك ان ربط نيته بامام في التربية واحرم خلفه بقصد التزكية لزمه البقاء في قياده حتى يفوز بفتحه وامداده ويخرج عن اهويته وهواجسه وشهواته ومراده ولا يلتفت الى غيره من الاشياخ ولا الى السير وحده من غير قدوة اصلا كالفذ ما دام مربيه على ظهر الوجود فانه لا ينتفع بغيره اصلا ولو الخضر فان خرج قدوته من الدنيا فله حالتان وذلك انه لا يخلو من ان يكون في نور الوجود او لا فان كان في نور الوجود بان خرج من ظلمة اغياره الى شهود انواره وقطع من الطريق بعضها وعرف جل معالمها فله ان يسير منفردا دون خبير اذ خبيرة تتخلق به وتعلق وما حجب عنه منه إلّا البشرية وهي لا مدخل لها في التسليك وانما هو بالروحانية السرية السارية في عالم الارواح المحتجب بملكوتيته من جواهر الاشياخ فانفاس مسلكه تكفيه في حياته وموته لانه لا يتم بعد بلوغ وما قارب الشي يعطى حكمه ومن ناهز الحلم كان بمثابة من احتلم فكذلك من قارب الوصول حاز الوصول بحول الله وقوته لان بقية احواله ووصاله تكاد ان لا تكون إلّا جذبا اي كالجذب لسهولة الامر ومن كان باقيا في احشاء امارته او امعاء لوامته او بين وركي ملهمته وفقد استاذه فله حينئذ وعليه ان يطلب بهمته ويستمد منه ان يرشده الى من يكمل احواله ويخلص بقاياه فانه لا طاقة له على المسير في فيافي القفار دون خبير لعدم قدرته على الوحدة التي قال الرسول صلى الله عليه وسلم فيها لو تعلمون في الوحدة ما اعلم ما سار راكب بالليل وحده او كما قال فليل الجهل بالحال هو الليل المردي صاحبه الى الوقوع فيما تخشى عاقبته من المهالك ولذلك قال التمسوا الرفيق قبل الطريق اي قبل الشروع فيها اما بعد سلوك اعظمها ومعاينة جل احوالها وتراائي ما اليه المنتهى بحيث لا تخفى عليه آثار قصده فله ان يسير وحده كما علمت فقد بان لك بهذا وجه الفرق بين الحالتين نعم وقد يلوح لبعض من كلام الايمة

كالاستاذ قدس الله سره ان الكامل من الرجال يسلك المريدين ولو بعد وفاته على اطلاقه بلا فرق بين المبتدي ومن هو مقارب للنهاية كما قال

يرقي ويربي عند موته حيي كيف ما كان حـــيا

اقول والحمد لله الامر كذلك ولكن ترقية المريدين على قدر اطوارهم وصفاء اسرارهم وليسوا على وتيرة واحدة لان غذاء الرجال لا يعطى للاطفال فالمبتدي الذي لم يزل في كبل البشرية لا يستفيد ولا تتم له الاستفادة إلّا من ورائها لانه محجوب بها ولابد له من افعل لا تفعل ومن مناولة دوائه في ظاهر الحس والمشاهدة واعظم ذلك ما يعاينه من المجاهدة والمكابدة اذ عليه الاخبار للقدوة بجميع خواطره ووقائعه وهو يدله بالمقال ويخبره بالحال ويلقنه الاسماء اللائقة بمقامه وذلك لابد له منه في السبيل بخلاف غيره فانه يستفيد من سر استاذه بالواسطة وبغيرها لزوال الكثافة على قلبه وصيرورته شفافا لا يحجبه بعد ولا فقد ولكن الاستفادة الحاصلة لكل مريد لا سبيل له الى تحصيلها إلّا بواسطة قدوته اذ هو السبب فكذلك التكفل بشهوده كما قال في الرحمانية

كل خير جاءك تراه من شيخك كل شر جاءك من نفسك المؤذيا

مثال ذلك الصبي يتركه ابوه في بطن امه فكماله من غذاء ابيه السري من غير استناد الى واسطة يتكمل بها فاذا خرج الى الفضاء احتاج الى من يدرجه ويرشده في مسالكه الظاهرة بقصد الكفالة والقيام بالاحوال الحسية لا غير واما امداداته التي هي سبب في زياداته فسريانها للولد انما هو بواسطة الاب فكذلك من حيث المعنى صبي الطريق فافهم ثم قال رضي الله عنه (اقامك ربك للحركات واختار منك السكنات فخذ من الحركات ما يسكنك ومن السكنات ما يحركك)

بعد ان فرغ من الكلام على التربية شرع في الكلام على ما اقام به الجليل جل جلاله عبيده فيه وما اراده منهم والمعنى ان الله تعالى اقام العبيد على بساط التحرك في طاعاته واتباع مرضاته وما اوجدهم إلّا الى ذلك قال تعالى وما خلقت الجن والانس إلّا ليعبدون وقال وما امروا إلّا

ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء فلينظر العاقل الى ما اقامه ربه فيه وطلبه منه وما ذاك الّا عبادته مع الاخلاص فيها والتبري من الحول والقوة منها ولما كان كل متحرك لابد له من سكون قال واختار منك السكنات اي لا يكون سكونك في حركاتك المطلوبة منك فعلا وتركا الى غيره بل طلب منك ان تحرك فلكك ظاهرا وباطنا وتسيره في طاعته واختار منك في نفس التحرك السكون اليه والاعتماد عليه والطمانينة به فتكون شمس اعمالك الظاهرة والباطنة لا تزال سائرة في فلكها العلوي الى ان تنتهي الى محل غيبوبتها عنك بالاعراض عنها فتقف عند عرش عظمة الجليل جل جلاله ساجدة حتى يوذن لها بالسير في وقت آخر فذلك الوقوف بين يديه والسجود له هو السكون عن التحرك والاضطراب المناقض لوصف العبودية اذ لا يتحرك العبد بشيء الّا وفيه رضى سيده ولا يسكن الّا فيما يختاره له ومنه والّا فليس بعبد على الحقيقة ولذلك قال واختار منك السكنات اذ هي كالنهاية والخاتمة للعمل والطابع عليه كما قال انما الاعمال بالخواتم والامر بآخره فاذا كان آخر الحركة في الطاعة مغيى بغاية السكون الى مجري سفينة المرء في بحر اقداره ومرسيها على بر اقتداره كان الامر آيلا الى النجاة والفوز باعلى الدرجات وقوله تعلى وما امروا الّا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء هو باطن قوله تعلى وما خلقت الجن والانس الّا ليعبدون فهو كالمخصص لعمومه والموضح لمفهومه الا ترى انه قال مخلصين له الدين حنفاء فالعبادة بوضعها تضمنت انواع التحرك في الطاعة كائنة ما كانت فهي كالجسد والاخلاص كالروح فيها فيه قوام الجسد واستقامته الى التحرك في الطاعة وقوله حنفاء خاتمة الامر وغايته فمن كان حنيفا في اعماله واخلاصه مائلا عما سوى ربه في كل احواله كان مقر روحه في عليين وبرزخ خاصته المقربين بوصف السكون في عالم الفناء عنهما والبقاء به هذا ما لاح لي والله اعلم بالمراد واذا كان ذلك كذلك فخذ حظك ونصيبك من حركاتك ما يوجب لك وصف السكون وهو شهود انه تعلى هو الذي حركك واليها بعثك ولولاه ما كنت في ميدان من

سافرت سفنهم في بحر المعاملات وانما تحركها بواسطة ربه اقداره تعلى وهدايته وتوفيقه ولتزود في سكناتك بزاد رفع الهمة اليه والانقباض من شيرة لتنبعث من سكونك الرهبي الى تحركك الرغبي فلا تزال متبخترا بين مرساة الرهب وبحر الرغب حركتك رغبة وسكناتك رهبة بدايتك في التحرك منبعثة بوجود الرغبة فيه ونهايتك في السكون مقيدة بوصف الرهبة منه والاجلال له كما قال رضى الله عنه (حركاتك في الانفاس مقهورة وسكناتك في الحركات مقدورة فخذ من الحركات ما قهر منك ومن السكنات ما قدر لك) يعني ان حركات المربي حال التلبس باعماله في ظروف الانفاس مقهورة وليس استقرارها فيها وتكونها تحتها اختياريا لها بل كل منهما تحت سلطان القهر فالحركات بادخالها وجعلها مظروفا والانفاس بالادخال فيها وجعلها ظروفا كما ان سكناتك في جوهرية طاعاتك وحركاتك مقدورة فهي بقدره وتحريكه فالتحريك به ومنه والتسكين منه واليه وقهر العظمة محيط بكليهما كل بما يناسبه قال تعلى وله ما سكن في الليل والنهار اي وله ما سكن واستقر في ليل المعصية خذلانا وفي نهار الطاعة توفيقا له ما سكن في ظلمة الاغيار عدلا وفي ضوء الانوار فضلا له ما سكن في ظلمة الغفلة وما استقر في شعاع اليقظة له ما سكن في ظلمة الوقوف مع الشهود وما استغرقته واصطلمته انوار الوجود والكل بقهريته وقدره فالوارد مقهور والانفعال مقدور قال تعلى انا كل شي خلقناه بقدر وكل شي خلقه فقدره تقديرا هذا وقد ذكر المولف هذه الجملة بقصد ان لا يغيب من اقامه ربه في حركات الطاعة واختار منه السكنات تحت ظل اقداره والتسليم له في كل احواله في شهود ذلك فقال له ارفع راسك فان الامر منه واليه ولا تعتمد على حركاتك في صدق انفاسك فانها مقهورة مسخرة فخذ ايها الانسان من حركاتك شهود القهرية الجليلة منه تعلى حتى لا تراها واخرج من سجن ملاحظتها الى التحقق بناصيبها مجراها ومرساها ولتاخذ من سكناتك في نهاية امرك في اعمالك وشهود احوالك ما قدر لك مراعيا انك في الحركات مقهور وفي السكنات لا تحصل الّا ما هو مقدور وهذا

مقلم

مقام من هو في مشاهدة تجلي الافعال فشهوده الحقيقي انه يرى لا محرك ولا مسكن إلّا الله تعلى شهودا ذوقيا يفضي بصاحبه الى الاشراف على ما وراء ذلك من شهود المحرك والمسكن عيانا فيستريح من تعب شهود نسبة الافعال الى نفسه ورويته ان لها حولا وقوة وليس كذلك وفي هذا الشهود تتنعم الروح بالجولان في رياض الالاء والنعماء كما هو معشش ارواح من حل في هذا المقام حق الحلول ووصل له غاية الوصول ومنه الارتحال الى تجلي الاسماء تقوده اليه لوائح اسمه المنعم والمنان فينغمس بروحانيته في شهود المنة ويغرق في بحر الاحسان فتفيض على سره انواع الفكر ويذوق نعيم شهود الوثر بعد ما كان محجوبا عن الوثر

بالاثر ثم قال رضى الله عنه (الحركات والسكنات خزانتان من خزائن القدرة في ايهما صرفتهما وجدتهما) والمعنى ان حركات المربي في انواع تصرفاته ابتداء وسكناته عند انقضاء ذراتها انتهاء انما كان مصدرهما بقدرة الله تعلى ايجادا وامدادا من خزائن قدرته وارادته فكل الحركات والسكنات مختزن في خزائن علم الله مقدر جميعها تحت قهر قدرته وتخصيص ارادته قال تعلى وان من شيء إلّا عندنا خزائنه وما ننزله إلّا بقدر معلوم ومن الاشياء المخزونة في عالم ملكوت العندية خزنتا الحركات والسكنات وما ينزل على الشخص شيء منهما حركة وسكونا إلّا بقدر معلوم وقضاء محتوم على وفق ما سبق له في علم الله قبل ايجاده وما تعلق به إلّا علمه تعلى ثم عند تصويره في رحم امه يقع عليه علم الملك حين قوله ما الرزق ما الاجل فيجاب بما يقتضيه الحال في ذلك الوقت ثم يرده تعلى الى خزانة غيبه فلا ينزل منه شيء إلّا بقدرته وارادته وعلمه بما شاء كما شاء فيما شاء فحركات الانسان وسكناته بالمعنى الاعم طاعة او معصية او مباحة او خارجة عن تعلق الحكم الشرعي بها كالواقعة ممن رفع القلم عنه من الثلاث كلها محصية مقدرة معلومة لربه مخزونة عنده كما هو مخزون سائر مقدوراته من المطر والريح وغيرهما ولا ينزل شيء منهما إلّا بكيل معلوم وقطر محدود محتوم على وفق ما هو مقسوم فعند ايجاد الارواح اوجد معها اعراضها كلها كائنة ما كانت وبعد

استقرارها في اجسادها تفضل عليها بامداداتها المخزونة لاجلها حركات وسكنات وخطرات ولحظات وكل ما هو ملتبس به او يلتبس من انواع التصرفات حكمة حكيم وحيث عرفت ايها الانسان ان احوالك كلها عليك معدودة وحركاتك وسكناتك الواقعة منك مشهودة فاصرف جميعها فيما يرضيه عنك ولا تصرفها فيما لا يرضيه فان ربك عليك بالمرصاد فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فالظاهر من الآية ان من عمل شيئا يرى جزاءه خيرا كان او شرا وان الضمير من يره راجع لمثقال الذرة بمعنى جزائه والذي يظهر من حيث عموم المعنى ان الله تعالى هو الذي يرى ذلك فمن يعمل مثقال ذرة من الخير وقعت عليه روية الله تعالى حال التلبس بعملها ومن الشر كذلك فتكون الآية مطابقة لمعنى حديث الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك فيحصل من فائدة العلم بهذا شهود انه يراك في كل حال فاحذر ياخي ان يراك حيث نهاك او يفقدك حيث امرك فانه لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الّا في كتاب مبين فجميع ذرات خزانتي وجردك محصية عليك موكولة لك عند ارسالها اليك ففي اي شيء صرفتهما وجدتهما اتحسب انك تترك سدى كلا ولا نفس واحد قال تعالى ايحسب الانسان ان يترك سدى بل جميع الحركات والسكنات محصية طاعة كانت او معصية ملفوفة في خرق انفاسك شاهدة لك او عليك بنزاهتك او ادناسك فانفاسك الصاعدة والنازلة عليك معروضة تجدها عنده موخرة موجودة بما فيها فنفس الطاعة يصعد اليه مبهرجا بضيائه وانواره لابسا خلع مرضاته واسواره ويشيعه كالروح الطيب ملائكة السموات العلا فتدخر لك في عليين حتى توافيها باللحوق بها فيحصل لك من السرور والفرح عند موافاتها ما لا يقدر قدره ولا تدرك غايته وامره لانها خزائن الرحمة اليك ارسلت والى ذلك المحل رجعت كما قال قدم مالك امامك يسرك اللحاق به اي قدم ما هو لك نفعه عليك عائد يسرك اللحاق به لانه مربى عنده متزايد اليه اليه يصعد الكلم الطيب

والعمل

والعمل الصالح يرفعه فالعلوي يصعد الى العلا والسفلي بعكسه فنفس المعصية يخرج له ظلمة كالدخان فيصعد قليلا تشيعه ملائكة السفلى فينادي بهم ردوه الى سجين واسفل سافلين كالروح الخبيث فيرد الى من حيث بدا فيدخر هناك حتى يوافيه فيرجح حاله برجحان انفاسه المخزونة المدخرة المكنونة فما غلب عليه منها كان معه جزاء وفاقا وما توفيقي إلّا بالله جعلنا الله من اهل رضاه الفرحين به عند لقاه بمنه وكرمه ثم قال رضي الله عنه (الانفاس مزارع الرحمان ان سقيت ماء المحبة حصدت افضل محصودها والّا فاتك وقت ابانها) شبه المولف رضي الله عنه الانفاس بالمزارع التي هي محل الحروث اي فانفاسك مزارع ربك استخلفك فيها فينظر بم تبذر زرعها وبم تسقيها فان زرعتها بانواع الطاعة وسقيتها بماء محبته واخلاص العمل لاجله واخرجت من سرك شيب الشرك والاعجاب بها فزت بحصاد اضعاف ما بذرت وحصلت على طائل من منافعها وبركاتها فان لم تبذرها وتسقها فاتك وقت ابانها لفوات اوانها لان كل نفس من انفاسك بمثابة الوقت الموقت للحرث فاذا مضى وقت الزراعة فات زرع وثمرة السنة باسرها فكذلك النفس الواحد ان مضى مهملا من بذر الطاعة او مزروعا بالمعصية فات الوقت بما فيه وذهب النفس المقدور بما عليه ولم يمكن تداركه بشيء اصلا إلّا بفضل الله فانه على غير علة والله ذو الفضل العظيم قال في الحكم ما من نفس تبديه إلّا وله فيك قدر يمضيه اه وما من نفس يخرج من المربي إلّا وهو كالخاتمة له فالعمر خزانة والانفاس اجزاؤه ولا يدري المرء من اجزاء عمره في خزانته شيء او هذا النفس آخرها قال في الهمزية

كل يوم ذنوبه صاعدات وعليها انفاسه صعداء

وكذلك حسناته تصعد للعرش فمنها ما هو مقبول ومنها ما هو مردود فليحذر الامران يكون هذا النفس الخارج في الحال هو خاتمة انفاسه فليخلصه مما يزيفه وينقيه مما يكدره فبذر الطاعة المسقي بماء المحبة ومجرد القربة نتيجته التقريب ومصافاة الحبيب من يزرع خيرا يحصد

رغبة ومن يزرع شرا يحصد ندامة قال تعلى مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم فمال الانسان ما ملكه الله وخوله اياه من جميع ما استودعه في حسه ومعناه ظاهره وباطنه قلبه وقالبه فكل شئ اودعه الله في عبيده انما قصد منهم وطلب حفظه او صرفه فيما يليق به فمزارع الانفاس كبقاع الارض منها ما هو طيب ومنها ما هو خبيث فما سقي بعذب ماء نيل المحبة الالهية واشرقت عليه شمس معرفته نبت على وفق المراد منه والمقصود به وان سقي باجاج ملح بحر الشهوات وارخيت عليه اودية ظلمة الغفلات لم ينبت منه شئ او خرج نكدا لا نفع فيه ولا ثمرة له قال تعلى والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الّا نكدا فالماء على لون انائه اي فكما ان الماء ينزل طيبا زلالا وينتقل حاله الى ما اقتضاه محل نزوله من عذوبة وضدها فكذلك الانفاس والامدادات الآتية من قبل الحق الى الخلق تاتي اليهم على فطرتها الاصلية كما خلقوا على فطرتهم الاصلية وتخرج بكسوة الاوعية القلبية حسنا وقبحا صفاء وكدرا نفعا وضرا الا ترى ان ماء مطر النيسان ينزل من عالم واحد في وقت واحد ينعقد جوهرا في اجواف الاصداف ويستحيل سما في افواه الحيات فسبحان من خصص ما شاء بما شاء كما شاء والى ذلك يشير من حيث المعنى قوله صلى الله عليه وسلم الولد على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه او كما قال فكذلك ما قذفته فحول واردات القدرة الالهية في اوعية ارحام القلوب والسرائر لا تخرج بعد التطوير المقدور الّا وعليها كسوة ما برزت منه خيرا او شرا لا يسال عما يفعل واليه يرجع الامر كله بداية ونهاية ثم قال رضى الله عنه (الارواح

مغانم الرحمان وشرابها ماء الحضرة ان بقيت بربك غنمت شرابها والّا

فاتك نعيمها) ذكر المولف هذا الفصل للفرق بين ما قدمه بلصقه من الاشارة كسقي مزارع الانفاس بماء المحبة الذي هو مقام المحبة والشوق والهيمان الواقع من صفات النفس الملهمة في المقام الثالث

الغالب عليه حالها جنحا مفرطا وشوقا مقلقا وهيمانا مغدقا وسرا مدفقا
وبين هناك ان غذاء النفس وهي في مقامها ذلك النافع لها المشدد
لعزيمتها المحبة وما تعلق بها وارشد هنا ان فوق ذلك المقام رابع المقامات
الذي خلصت فيه النفس من شوبها النفساني وحظها الحيواني لعلو
همة صاحبها وصفاء عناصره من اكدارها وكمالها في تزكيتها واطوارها فصارت
روحانية علوية المرام غلب عليها حال الاطمئنان به السكون اليه والرضى
باقداره واستغرقت بمشاهدة مشهودها وتحققت بموجودها وظفرت
بمقصودها فالارواح في هذا المقام مغانم ربها جذبها اليه وقربها منه
وافاض عليها من ينابيع فضله ما ارواها وقدسها من دنس بشرية
النفوس وقهر شهواتها وهواها ان سقيت بماء حضرة الجليل اشرقت شموسها
وتبرجت عروسها متحققا صاحبها بحضرة العندية متنعما بوصلة المعية
لقلبه من اجله انكسار وعلى عذب عذوبة المواصلة والمعية اصطبار
على وجهه رواق قوله انا عند المنكسرة قلوبهم من اجلي وعلى بصر
بصيرته وهو معكم اين ما كنتم ماتت نفسانيته بالفناء وحييت روحانيته
بالبقاء لا تشرب روحه من غير زلال الحضرة الالهية قطرة ولا تلتفت
الى غيره بلحظة ولا خطرة فان بقيت بربك ايها الانسان وحزت بين
يديه مقام الاطمئنان اشرقت على سرك خلع رحمانيته واتحفت طرف
احسانيته مقامك روحاني ومشهدك ايقاني وخلقك رحماني مدخلك
الاشياء بصدق ومخرجك منها بصدق قائلا في كل احوالك بلسان حالك
او مقالك وما فعلته عن امري لان جميع امورك به ومنه واليه وفيه
وعليه صادقا عليك قوله تعلى ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال خرجت
من سجن نفسانيتك اليه ودخلت في فضاء روحانيتك عليه فغذاؤك
وانت في هذا المقام التنعم في رياض حضرته والشرب من خمورها
والتبختر بين قصورها روح روحانيتك منك مجذوبة ومعقولاتك عنك
مسلوبة حققت الشهود وادركت الوجود ان قلت فيه وان اشرت فله
وان دللت فعليه وان عملت ففيه وان ابتدات فعنه وان انتهيت
فاليه فان بقيت بربك فانيا عن غيره غنمت صفو مشهدها وشرابها من

كدره وإلّا فاتك ما اشير اليه من النعيم وعذبت بنار الفقد وعدم الوجد العذاب الاليم لكونك لا زلت مع فقد النعيم في مقام المحبة الذي هو غالبه والتشوق واللهف الموجبان لشديد الالم كما قال واذا اشتاقت نفس وجدت الما بالشوق المعتلج فبين المقام الثالث والرابع مباينة كثيرة كما بين النار والثلج فالمحبة نار تفني وتحرق من الباطن ما سوى المحبوب ولا تنتهي بالتلهب حتى تقف على المطلوب والطمانينة ادراك يحصل به برد حق اليقين لما فيه من تحقيق الوجد وكمال التمكين ثم

قال رضي الله عنه (ليس الشان ان تطوى لك العوالم فتكون اقرب اليها منك بل الشان ان تطوى لك الدنيا فتكون الاخرة اقرب اليك منك) الطي على اقسام متعددة وذلك بحسب مقامات السائرين فالسائر في فلوات الارض في عالم الحس والمشاهدة الكائن في عالم الملك فطيه انزواء الارض وقربها له حتى يصل المقصود بسرعة او لا تنزوي المسافة بنفسها ولكن تزيد خطوته زيادة معنوية يحصل بها مراده في اقرب وقت بلا تكلف ولا مشقة تلحقه او لا يكون شيء منهما بل المكان المقصود يرتفع له ويسافر اليه عكس الفريقين السابقين كما يكرم الله بهذه الانواع بعض خواصه والمؤلف بصدد رفع الهمة عن مراعاة الطي بانواعه المذكورة وغيرها قائلا ليس شان من صدق في عبوديته لربه وعرفه حق معرفته وسافر اليه في شعاع شمس نهار العلم به ان يراعي ما يقع له في سبيله او يقف عند ما يلوح له في رحيله من طي مسافة العوالم الكونية وتنوع المقامات الغيرية حتى يكون المقصود منها اقرب اليه من نفسه بل شانه ان تطوى له الدنيا باسرها وتتلاشى عنه وتذهب في نظر بصيرته ويشاهدها بعين الفناء حالا حتى تكون الدار الآخرة اقرب اليه منه لانه في نفسه دنيا يجب عليه الرحلة حتى من نفسه في معناه وحسه فاول درجات السائرين الى الله تعالى في فلوات العالم الملكوتي ارتحاله بقلبه من هذه الدار الى تلك فيصدق عليه قوله صلى الله عليه وسلم الدنيا خطوة المومن والعوالم الدنيوية يجعلها عالما واحدا يضع في قنطرتها قدم وجوده ويضع القدم الآخر في مستقر آخرته وعالم شهوده قال تعالى انما

هذه الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هي دار القرار وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا دار من لا دار له يسكنها من لا عقل له الا ترى ان الله تعالى جعلها متاعا وهو بموضوعه يدل على الزوال والتحول والانتقال كما قال صلى الله عليه وسلم الدنيا زهرة ذابلة ولعاعة حابلة فالزهر الذي مثل به عليه الصلاة والسلام تدركه بالمشاهدة سريع الذبول فالدنيا كذلك بهجة رونقها قريبة الغيبوبة والافول فالعارفون رحلوا منها قبل ان يرتحلوا وخرجوا منها قبل ان يخرجوا عرفوا انها ليست بمستقر ولا دار وان الآخرة هي دار القرار وموطن الاستقرار فعاشوا في دنياهم اضيافا غرباء متحلين بقوله عليه الصلاة والسلام عش في الدنيا كانك غريب او عابر سبيل واعدد نفسك من اهل القبور فالمسافر وان طال سفره لا يحصل له ركون الى شيء ولا يطيب له ثواء في محل سوى وطنه فكذلك مسافر هذه الدار ان عرف انه مسافر حق المعرفة تنطوي له مسافتها بالتلاشي والذهاب حتى يستوحش منها ويطول عليه البقاء فيها ويشتاق الى الرحيل منها رغبة في محل قراره وشوقا لمسكنه وداره فقد اشتمل هذا الحديث المتقدم على ثلاثة مراتب الاولى شهود الانسان غربته في هذه الدار فلا يانس الّا بربه ولا يسكن الّا اليه ولا يعول الّا عليه كما ان الغريب لا يزال منقبضا على الناس فلا يسكن قلبه الى احد ولا يخالط احدا والثانية شهود انه عابر سبيل فلا يتخذ هذه الدار وطنا ولا يشتغل فيها بشيء اصلا ولا يصحب منها الّا ما يبلغه لمقصوده او يبقى معه في محله بعد انتهاء سفره وقضاء وطره فمقامه الاغتراف من قوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا فحقه ان يجعل الليل والنهار محلين لزراعة اعماله وتخليص احواله فمن يزرع خيرا يحصد رغبة ومن يزرع شرا يحصد ندامة والثالثة ان يعد نفسه من الموتى وهي ارفعها وذلك ان من حسب انه ميت يسكن قلبه وقالبه عن الاضطراب ولا يقع له تنعم من هذه الدار بطعام ولا شراب انفرد بربه كما ينفرد المقبور في قبره فكذلك صاحب هذا المقام يحسبه الجاهل بحاله في قصره وهو في دهليز قبره فيا لهم من اناس ما احلى شمائلهم

واعذبها واقوى دلالاتهم واغربها قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني فكيف لا يكون كيسا من مات قبل ان يموت وحاسب قبل ان يحاسب فالسابقون في هذه الدار السابقون في تلك قال تعالى والسابقون السابقون اولائك المقربون في جنة النعيم اي فالسابقون لابناء جنسهم في معناهم وحسهم ركبانا على مطايا هممهم سائرين في نهار يقينهم هم السابقون الى جنة التنعم بربهم والتلذذ بصفو مشربهم والى هذا المعنى يشير قوله تعالى ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان لان السبقية المعتبرة هي ما تكون ناشئة عن قوة الايمان لا بسبق التقدم في الزمان فمن كان اقوى ايمانا كان اسبق وان تاخر زمانا وانت ترى اقواما يحصل لهم السبق ولا سبب له الّا التاييد من الله والصدق وكلام المؤلف قريب من كلام ابن عطاء الله حيث قال الطي الحقيقي **ان تطوي مسافة الدنيا عنك** حتى تكون الآخرة هي اقرب اليك منك وقوله **لو اشرق نور اليقين لرايت الآخرة** أقرب من ان ترحل اليها **ولرايت محاسن الدنيا قد ظهرت كسفة الفناء عليها** اه فلدار الدنيا في اعتبار تاملها وتحقيق شهودها تعطي للناظر لها توهم وجود ولا وجود لها في الحقيقة بل هي كما قال جل جلاله اوكسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فالغافل لا يزال متوهما وجودها تتراآى له في مرآة كالسراب ما قرب الماشي اليه الّا زاد الى امام ولا ينتبه الى ادراك حقيقته فيستريح من تعب ابتغاء الذي لا يغني عنه شيئا والعاقل رمقه بطرفه فادرك عدم وجوده بديهة فاستراح من طلبه فوجد الله عنده فحصلت له النهاية عند اول البداية فهذا هو الطي لمسافة الدنيا لا الطي المعهود للمسافات الحسية الذي لا يومن معه من مكر واستدراج كما وقع لبعض الاكابر رضي الله عنهم ففروا منه الى ربهم خائفين من باطن امره لان حقائق الامور مغيبة عند باريها لان قوة معرفتهم بربهم اوجبت لهم شدة الخوف من عظمته وسلطانه واثبتت لهم الحياء منه والفرار عن مساكنة ما تلذ به اعينهم

او تستطيبه انفسهم لانهم عبيد خلص والوقوف مع الاغيار عند العبيد عار، فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون فسر هذا بقول فلا تعلم نفس غير هؤلاء الطائفة ما اخفي لهم في سرائرهم وانطوى في عالم ضمائرهم من قرة العين بشهود فاطرهم وانس حاضرهم جعلنا الله منهم بمنه وكرمه ثم قال رضي الله عنه (وخذ من الطي طي الانفاس فان بطيها تطوى الداران) يقول اذا رغبت في الطي فخذ لنفسك انفعه وما ذاك الّا طي الانفاس اي النفوس وذلك بتزكيتها وتهذيبها وتصفية عناصرها بالمخالفات والرياضات وتدريج احوالها فاذا طويت ايها الانسان عوالم النفوس وخرجت من ظلماتها الى انوارها ومن سجن خيالاتها واوهامها الى رحب اسرارها واسترحت من التطلع لنعيم الدارين فقد حزت الراحة الابدية والنعم السرمدية كيف لا وقد كنت في طيك هذا محقق العبودية الصرفة لربك خارجا عن جميع الاغيار لم يشغل بالك عنه رجاء جنة ولا خوف نار تعلق باطنك بجمال شهوده وسكن جاشك عن الاضطراب بوجوده ان تحركت فانت الساكن وان سكنت فانت المتحرك فلك دائما سيار وزمانك كله نهار ازيلت عنك بالطي اغياره واشرقت على عوالمك شموسه وانواره رحلت من مسافة السوى وقطعت مفاوز الدعاوي والهوى نزلت في مقام العندية محبوبا واختطفتك ايادي المعية مطلوبا فطي الانفاس يكون بالفناء عنها والتخلي عن ذميم اوصافها ويتحقق ذلك بالتحلي بجميل الصفات ومحمود الحالات

ثم قال رضي الله عنه (ليس الشان ان يطوى لك الملك فاذا بك في الملكوت بل الشان ان يطوى لك الملكوت فاذا انت بالملك الاعلى) عادة المؤلف رضي الله عنه الشخوص ببصر بصيرته الى معالي الاحوال والمقامات فلا يدعو الّا الى ذلك ولا يرغب الّا في نيل ما هنالك يقول لا تتوهم ان الشان عند ارباب القلوب في الطي ان تخرج عن شهود عالم الملك وتخرج الى عالم الملكوت بان تغيب عن عالم الشهادة في شهود خفايا عالم الملكوت بل الشان عندهم ان يطوى لك الملكوت فاذا انت عند ربك حاضر والى شهود جماله وكماله ناظر اذ لا يخفى على

عاقل انها اكوان وليست المسافة مقصودة لذاتها بل المقصود ما وراءها وانما هي وسائل لا غير فكذلك الملك اذا انطوى في عالم الشهود من الله تعلى لبعض عبيده نودي بلسان الحقيقة ولانذار اياك والوقوف في باطن الملكوت ايها الانسان اياك انما هي منازل ينزلها السائرون ومناهل يردها الشاربون وما هي الا اكوان تقطعها كونا كونا حتى تصل الى المكون وان الى ربك المنتهى قال تعلى من كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا فدلت الآية بحسب الاشارة ان من كانت له ارادة صادقة وهمة خارقة في لقاء محبوبه فلا ينبغي له ان يقف عند غير مطلوبه اذ الوقوف في بساط الاغيار الكونية مناقض لمطلوب ومفيت للغرض المرغوب فوقوف همة السائر عند ما يلوح لها من البوارق الملكوتية معدود عند اهل المعاملات الباطنية اشراكا كما قال ابن عطاء الله ما وقفت همة العبد عند كون من الاكوان الا ونادته حقائقها ان المقصود الذي تطلبه امامك انما نحن فتنة فلا تكفر وقد عرفت ان الملكوت كون كالملك لا فرق بينهما في الحقيقة كما ان الانسان يدل بمجموع شكله الجسماني والروحاني على الانسانية المطلقة فاذا انفرد باطنه عن ظاهره فلكل حكمه مع بقاء وضع الانسانية فكذلك الكون وان تنوعت مظاهره الملكية والملكوتية لا يخرج عن الكونية اصلا فاذا كان ذلك كذلك فلا يليق بالعاقل ان يقف في اثناء السبيل ويتحير بالمدلول عن الدليل قال تعلى قل انظروا ما ذا في السموات والارض ولم يقل انظروا فيها فانظر لما فيها ارقى في الفكرة من النظر اليها نفسها لان الاكوان تدل على مكونها بالملكية اولا ثم بالملكوتية ثانيا ولم توضع الاكوان الا لمجرد الدلالة على مكونها جل جلاله كما قال الشاعر

وفي كل شيء له آية تدل على انه الواحد

وتقديم الملك على الملكوت في الدلالة لاصحاب الترقي رفق بهم وتنمية لاحوالهم لانهم في شدة كثافة الحجاب على ربهم فنصب لهم على معرفته دلائل مشهودة في عالم الحس والمشاهدة لان ذلك مقامهم ولا قدرة لهم على التوصل للعالم الملكوتي بدون قطع حجاب الملك فاذا زالت

اغشية ضمائرهم وتمزقت حجب سرائرهم وغابوا عن الاحساس من ظواهرهم نفذت بصائر بصائرهم الى العالم الملكوتي وفقا لما هم عليه لان ارباب القلوب لا شهود لهم الا بها فاذا صح لهم الشهود القلبي السوي وثبت لهم ذلك كانوا على بساط الخلة الابراهيمية كما قال جل جلاله في ذلك وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين الا ترى ان الله تعالى جعل لخليله عليه السلام روية ملكوت السموات والارض وسيلة لحصول اليقين المودي الى نتيجة قوة الشهود والتمكين فلما ذاق من مقام اليقين اصفاه وحاز من التمكين اوفاه ترقى عن ذلك الشهود وتاقت نفسه المكرمة لانوار الوجود فعبر عن دلالتها اجمالا وطلب عن الكل تحولا وانتقالا فجعل التوصل بالدلائل اليه اشراكا فقال يا قوم اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين فلتنظر الى الفرق بين قوله تعالى وكذلك نري ابراهيم الآية وقوله اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض الآية فالآية الاولى توصل ودلالة والثانية ادراك ونهاية وهذا قريب من قوله حسنات الابرار سيآت المقربين فالابرار اخذوا زادهم من مضمون الآية الاولى والمقربون اعرضوا عن روية الكون باسره وفروا الى ربهم فلم يانسوا بغيره حدا قلوبهم حادي قوله ففروا الى الله فلم يساكنوا سواه ولم يطمئنوا بما عداه فخواصهم شهدوه في كل شيء وخواص خواصهم لم يشهدوا معه شيئا ثم قال رضي الله عنه (ليس العجب ممن تطوى له الارض فاذا هو باقصى المغرب او المشرق انما العجب ممن تطوى له الاغيار فاذا هو عند الملك الحق) اي ليس بعجب عجاب ان تخرق عوائد في عالم الحس بعض السالكين من طي الارض لهم فتقرب لهم المسافات البعيدة في اقل زمان فاذا هم في اقصى المغرب نازلين او في اقصى المشرق حالين باجسادهم كما هو واقع لاهل الاتباع اكراما من الله تعالى لهم ولاهل الابتداع استدراجا ومكرا لان الكرامة لا تتمحض بحسب ما يظهره الله على يد بعض خواصه الا بشرط مقارنة الاتباع وعدم ارتكاب المخالفة والابتداع والا فليس هي من الكرامة بشيء

وانما تكون غوايات شيطانية ومكر بصاحبها واستدراج له ولذلك يخ فيها العارفون بالله لان قوة معرفتهم به اوجبت لهم شدة الخوف منه فهذه الكرامات الواقعة من الخوارق طيا الارض او مشيا على الماء او طيرانا في الهواء وان سلم عن المكر والاستدراج فليس بعجب ولا غرابة فيه عند العارفين بل العجب عندهم والمغتبط في سوقهم طي جميع الاغيار الكونية والخروج بالفناء عن الاحوال والافنية فتفجاه شموس الوجود وتغيبه عن كل الاحساسات بالاحوال والشهود حتى اذا صحا من اصطلامه واستيقظ من غيبة فنائه ومنامه وجد نفسه على كرسي العندية الحقية مفارقا الهياكل الخلقية متوجا بتاج البقاء بالملك الحق تعالى فلا يطمح نظره لاغيار ولا له عنه غير سيده قرار لعدمه في نظره وتلاشيه في شهوده حسبما يقتضيه الفناء اولا والبقاء ثانيا فاذا تبقض من سنة فنائه واشرقت على قلبه شموس بقائه وجد ربه اقرب اليه منه فمثل هذا يتعجب من مقامه ومطمح النفوس الزكية لمثل مرامه قلت

تسارع قوم والمرام سواكم وكنت على ذاك السبيل احيد
فاصبحت مولعا بعذب عذابكم وصرت على غصن التسلي اميد
فبنه لمن يهوى التداني منكم وهل هو ان يمت بذاكم شهيد
تكامل وصل من اردتم وصاله وحاز المنى حقا فهو سعيد

ثم قال رضي الله عنه (ليس الغرابة ممن يمشي على الماء او يطير في الهواء وانما الغرابة ممن يمشي على الاستقامة ويسير بالاعتناء) اي ليس الغرابة من حال من ملك العناصر الاربعة وصار يتصرف فيها بسره وعلانيته بل الغرابة ممن سلك الحق جل جلاله به على متن الاستقامة ويسير الى مطلوبه بالاعتناء به والاستعانة لان تلك هي الكرامة الحقيقية التي لا مرية ولا ريب فيها فمن كان مستقيما في احواله الظاهرة متبعا المنهاج الشرعي مستعينا في سيره بربه متحليا بقوله اياك نستعين ادركته الهداية وآل امره الى العناية فله حق من التخلي باياك نعبد في اول البداية ونصيب من التحلي باياك نستعين الى آخر النهاية فيكون في اول احواله مكتسبا مريد وفي اثنائه مجذوب مراد

مصحوبا بالهداية مغيا بالعناية استوى ظاهره شريعة مع باطنه حقيقة فظاهره متحرك في العبادات وباطنه سار في خرق العادات وروحه خارج عن كل الوجودات وسره منعم عليه بضروب التجليات افنته الهداية عن جميع الاغيار وابقته العناية بالواحد القهار فمن كان هذا حاله يستغرب امره اي غرابة ولا باس ان يقل فيه يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما فالمعية معهم معية مع الحق تعلى وهم معه شهودا او هو معهم وجودا اخرجوا من سجن سواه اليه ودخلوا بتحفة هداه عليه هيمهم شهوده وافردهم وجوده سلبهم منهم وافنانهم فيه عنهم غيبهم عن الخلق وابقاهم بالحق فقوله انما الغرابة ممن يمشي على الاستقامة الخ صريح في ان ثبوت الكرامة مشروط بالاستقامة والا فالخوارق ليست كلها حقائق بل منها ما هو كذلك وما هو ليس كذلك ويميز خبيثها من طيبها وقوف صاحبها على الجادة المستقيمة او عكسه نعم الكرامات التي تقدم ذكرها وياتي باقيه وان سلم ظاهرها من الابتداع وباطنها من الاستدراج والمكر بصاحبها انما يكرم بها غالبا من كان معه بعض ضعف في اليقين ونقص في التمكين لكن بعضهم اريد به التقوية ليقينه والرسوخ في تمكينه وبعض اريد به الاختبار والامتحان لما عسى ان يقع له من الركون والاستحسان قال تعلى ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون فالابتلاء بالخير اعظم فتنة من الابتلاء بالشر لان الانسان حال الابتلاء بالشر تلزمه السكينة والوقار والقبض والانكسار بخلافه في الخير فيغلب عليه الانبساط والفرح بالنعمة والسكون تحت برد ظلها وذلك عند العارفين من اعظم الفتن واشد البلاء والمحن فكما ان فتنة اهل الدنيا بالازواج والاموال فتنة اهل الآخرة بالمشاهدات والاحوال فمن احبه واستخلصه قربه اليه ولا يستوحش من شر ولا يانس بخير تخطا بسره حالتي الشر والخير من قوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة ووضع قدمه في قوله والينا ترجعون فصير الاخير اولا فحصلت له الراحة من الفتنة وعوفي باطنه من البلية والمحنة واما من تمكن حاله وثبت امره فلا يحتاج الى ما يوجب له تمكينا ولا تثبيتا فالجبل لا يحتاج الى مرساة مثال ذلك الطفل حين

يراد منه الفطام يجعل له ما يسهو به ويلهو به عن امه لقرب عهده بها فاذا بلغ حد العقل الذي يغنيه عن اللهو بما لا يعنيه ترك ذلك واستغنى عنه فكذلك من كان قريبا من رضاع امه التي هي الدنيا وله تلمي بقلبه لنعيمها وشهواتها فيفطمه سيده عن رضاعها ويسليه من ردي طباعها بما يناسب حاله من كرامات ومشاهدات فاذا تمكن فطامه وعلا مقامه استغنى عن كل ذلك وصار وجوده في نظره كلا وجود حتى اذا ظهر له شي منها لم يشغله عن مقصوده ولم يلهه عن معبوده والى هذا يشير من حيث المعنى قوله تعالى والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا فمن ذكر من اهل المعاملات ببعض الاحوال الباهرة والكرامات الظاهرة لا ينبغي له ولا يستحسن منه ان يخر ساقطا على ما يلوح له من البوارق ولا ان يطمئن بما يظهر الله على يديه من الخوارق لانها وان كان لا باس بها حال الابتداء فالكلام الان مع من هو ارفع من ذلك كيف لا والمقرب يقدح في رتبته شغله بما سوى محبوبه وطمانينته بغير مطلوبه وما سوى الله غير وان كان في ظاهره وباطنه خير قلت

تنزه سر من اردتم عنـــــاية ... وخامره وجد يجل عن الحصـــــر
تغيب عن ادراك حس بسكـــرة ... تحاكيه مثل الميت يهدى الى القبر
يشاهد ما يخفى على الغير جهـرة ... يوله شوق بناره كالجـــــــــمر
فليس يلذ العيش من كان مغرما ... بنار الهوى يصلى ويسكر بالخـــمر
جمال الذي اهدى الكئوس اذابه ... وافناه عنه ثم ابقاه في السكـــــر
فيا ليت شعري هل ابيتن ليلة ... وحولي من يسقى الكئوس ومن يدر

ثم قال رضى الله عنه (ما الطى الحقيقى ان يطوى لك عالم الشهادة فتنظر عالم الغيب وانما الطى الحقيقى ان تفنى عن عالم الغيب ويكشف لك منك كل عيب) هذه الجملة قريبة من حيث المعنى مما قبلها اتى بها لدفع توهم ان الخروج من عالم الشهادة المعبر عنه بعالم الملك والاطلاع على عالم الغيب المكنى عنه بعالم الملكوت امر مطلوب او مقصود لذاته فقال الطي الحقيقي المقصود عند من عني به في طريقه هو ان

يكون

يكون تمزيقه لحجب عالم الملك ونفوذ بصيرته لعالم الملكوت سببا للاطلاع على عيوبه وخبائثه الكامنة فيه فيشتغل عند الاطلاع عليها والمشاهدة لها بتنقيتها وتصفية باطنه منها لا بمجرد الكشوفات على بواطن الامور وخفايا السرائر والصدور قال ابن عطاء الله تشوفك الى ما بطن فيك من العيوب اولى من تطلعك الى ما سترعنك من الغيوب ولقد صدق فلله دره لان دفع الشر مقدم على جلب الخير فالعاقل اذا منحه الله تعلى بكشف غيوبه اهتدى الى تنقية عيوبه لانها قبل ذلك كانت كامنة في ظلمة الغفلة كمون الهوام في ظلمة الليل فلاذا زالت الظلمة الساترة لها تمكن صاحبها من ازالتها كما قال في الرحمانية

يشعل في قلبك مصباح ملكوتي قد لاح
تنظر عيوبك يا صاح تشتغل بالتنقيا

فاشتعال مصباح انوار المعرفة بالله وسيلة الى تزكية الباطن من عيوبه ثم استنزال مطلوبه ومحبوبه بمثابة من ان يضيف ملكا من الملوك في بيته فانه يوقد مصابيحه ويصلح بيته ويزيل ما يقبح في نظر الملك ان يجده في بيته ويحلي منزله بكل ما يحسن ويزين ويقدسه من كل ما يقبح ويشين ثم يهيئ له ما يليق بجلالة قدره فكذلك الانسان اذا اراد ان يتعاطى اسباب القرب من ربه فليدم على ذكره وفكره وليستعن بصلاته وصبره وليعمل على مقتضى نهيه وامره حتى اذا استنارت سريرته وفتحت بصيرته بادر الى اصلاح ما فيه من خلل والى تصفية باطنه من العلل فاذا تخلى عن عيوبه المنطوية فيه وتحلى بالكمالات المنسدلة عنه افيضت عليه سوابغ النعم وافرغت على باطنه امدادات المنن فكان قلبه محلا للاسرار وعالمه مملوا بالانوار وكانت فيه قابلية استضافه ملكه بما يليق بجلاله بحسب ما افاض عليه من نواله قال تعلى وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر فالنجوم هاهنا هي انوار العلم بالله وكمالات المعرفة به التي يكرم بها من اريد هدايته في سيره في عالم ملك بر الشريعة وملكوت بحر الحقيقة فالنجوم نصبت لان يهتدي بها السائرون او يرشد بها الحائرون فاذا اشرقت عليهم

شموسها تجلت عليهم عروسها اجتمعت اوصالهم وتزكت اعمالهم وصفت احوالهم وصح استنزالهم لما اسسوه اولا من التزكية وبنوا عليه حالهم من الترقية فمن كانت بدايته محرقة كانت نهايته مشرقة فالحروق في البداية هو الغيوب والمشروق عنه هو الغيوب فاذا اشرقت شمس الاحدية في باطن ملكوت العندية تلاشت في الحال العوالم الغيبية فاذا جاء الحق زهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فما سوى الله باطل ووجوده في ظاهر المشاهدة لا عبرة به لما انطوى عليه حالا ويصير اليه مآلا ثم قال رضي الله عنه

(خذ من الطي ما يدخلك عالم المثال وخذ من عالم المثال ما يدلك على الوصال وخذ ما يوطنك على الحق المتعال) قد عرفت انواع الطي المتقدم ذكره فخذ منه ما يدخلك عالم المثال الواقع حالا لاهل الفناء الاول الذي تشاهد فيه الروحانيات كما يقع للسالك شهودا في آخر المقام الثاني فيشاهد امورا غيبية ببصيرته فيظن انه شاهدها ببصره كالجن والملائكة وكما تشاهد في هذه الحالة روحانية المصطفى صلى الله عليه وسلم فمن كان هذا حاله عرف انه دخل عالم المثال لان مرآته كانت متوجهة لعالم الملك فانمحت منها آثاره وصقلت فكان ما يقابلها من عالم الملكوت ينطبع عليها وينتقش فيها فاذا استحكمت الشهود في عالم المثال وتمكنت منه فارتحل منه الى ما هو ارفع وذلك هو الوصال الى مشاهدات تجليات الافعال شهودا ذوقيا يدركه عيانا من حل في الفناء الثاني الواقع حالا وشهودا وتحليا لاهل المقام الثالث فعالم المثال مقدم للسالك على عالم الوصال فخذ ايها السائر في ملكوت السرائر من عالم المثال الذي اكرمت به وحللت فيه بطلب الارتحال والعزم على الانتقال الى عالم الوصال وزج في بحر اسراره وسر بسرك في اشعة انواره فتشرف وانت في هذا المقام على الهوية السرية السارية في ملكوت الموجودات فلا ترى إلّا ذلك ولا تشهد إلّا ما هنالك شهودا حاليا ليس مقاليا فاذا ملكت هذا الشهود وتحليت به وصار لك مقاما فخذ في النقلة بهمتك العلية الى الشهود الوجودي الناشئ عن عين اليقين متوطنا بروحانيتك الملكوتية الجبروتية في حق اليقين الذي هو داب العارفين بالله ومقام لاهل

التمكين

التمكين فانيا عن غيره شهودا باقيا به وجودا متحليا بقوله كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي يتكلم به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ففي حال التقرب بقرب النوافل كنت مريدا راكبا على متن لا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى اختطفتك رياح احبه فصرت مرادا فتجلى على سرك بتجلياته الصفاتية المشرقة شموسها من اسمائه العلية السميع البصير المتكلم فلا تسمع إلّا به ولا تبصر شيئا إلّا به ولا تتكلم إلّا به تترجم عنه وتبصر به وتسمع منه فنيت منك حواسك عن محسوساتك واصطلمت عن ادراكها الفاني في غيب سلطان قهرية تجليات وصفه الباقي فهذا البقاء بصفاته العلية بعد الفناء عن صفاتك الدنية الفانية هو مراد المولف بقوله وخذ من الوصال ما يوطنك على الحق المتعال فالوصال اليه تعلى يوجب في اول درجاته فناء والتمكن منه ينتج بقاء فالرحلة من الوصال انتقال من الفناء والتوطن في مقام حق اليقين هو الكمال الواقع نسبته لاهل المقام الرابع الذي هو مقام الاطمئنان الذي هو رافع درجاته وامكن حالاته ففي كلام المولف ترقي في مقامات اليقين كما مرت الاشارة اليه التي هي علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين فعلم اليقين مشهد الابرار وعين اليقين مشهد خاصة المقربين وحق اليقين خاصة خاصة المقربين الاخيار لانه مقام كمال بالنسبة لغير السادة الخلوتية مطلقا ولهم بالنسبة لما قبله وفوق كل ذي علم عليم واما السادة الخلوتية فزادوا في سيرهم الاصطلاحي ثلاث مقامات باعتبار النفوس السبعة والاسماء السبعة مع اعتدادهم بالمقام الاول بخلاف غيرهم فترقيهم في ثلاثة مقامات لا غير باسقاط الاول والمورد واحد والاذواق والمشارب مشاهد قد علم كل اناس مشربهم فتحقيق الشهود يقوي الوجود فافهم ثم قال رضي الله عنه

(لا تعترف بالذنوب وانت مشتغل بالعيوب فان ذلك من اوصاف المحجوب) ذم الانسان نفسه واحتقارها والنظر اليها بعين السخط عنها دليل التوفيق والهداية وشاهد لمن اتصف به في باطنه بسبق العناية واثر ذلك يظهر بالاقلاع والتخلي من عيوبه والتوبة من ذنوبه ظاهرا

وباطنا فهذا وان خرج اعترافه للوجود فلا باس به وان كان اللائق الاخفاء وستر الامر فيما بينه وبين خالقه والمطلع على سره وعلانيته وان لم يوافق قوله فعله بل يقول بظاهره ما ليس في باطنه يذم نفسه ويحتقرها مع بقائها في شهواتها والرضى عنها في هفواتها وزلاتها فهذا ممن لا شك في حجابه عن ربه ولا نصيب له في الحياء منه ولا في قربه لان ثمرة الاعتراف بالذنوب ان يكون ناشئا عن التوبة وهي من شرطها الندم على ما فات والاقلاع عما هو آت وذنوب كل شخص باعتبار مقامه فذنوب العامة ارتكاب المناهي وتضييع الاوامر وذنوب الخاصة الركون الى السوى واسعاف النفس في الدعوى حتى انهم يعاقبون عما يوجر به من سواهم لانهم مطالبون بالخروج عن حظوظهم وهواهم وما كان للنفس فيه حظ معدود عندهم حجاب والم الحجاب اشد من حريق العذاب كما قال جل جلاله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فعذاب حجاب اهل النار اشد عندهم من عذاب النار المجرد عن الحجاب فكما ان نعيم الجنة ينسى في جنب النظر الى وجهه الكريم فيخرج المتنعم عن روية نعيمه الذي هو فيه فلا يرى له اثرا حين يتجلى عليه مولاه الجليل في حوره وقصوره فالحق تعلى جازى عبيده في تلك الدار على قدر احوالهم في هذه الدار فمن تنعم بلذائذ طاعاته في جل اوقاته وكانت روية سيده ومشاهدته في اقلها جوزي في تلك الدار بالنعيم المقيم واكرم بالنظر الى وجهه الكريم على حسب مجاهدته ومشاهدته ومن كان مستغرق الشهود في تجليات المعبود كانت جنة حضرة مولاه ونعيمه الغيبية به عما سواه وقد كان بالعكس بان كان في شهواته ولذاته الفانية محجوبا في هذه الدار عن مشاهدة ربه تعلى عذب في تلك الدار على قدر استغراقه في الشهوات وعوقب بحسب ما ارتكب من الهفوات وحجابه اعظم عذابه فغاية النعيم النظر ونهاية العذاب الحجاب جزاء وفاقا اعاذنا الله من ذلك بمنه وكرمه ولا حرمنا من رويته في تلك ومشاهدته في هذه انه جواد كريم وفي كلام المولف رضى الله عنه ارشاد الى ان الاشتغال بالعيوب وارتكاب القبائح والذنوب من اوصاف من هو محجوب القلب عن ربه

مدبر وجهه عنه وملتفت الى غيره لان المراقبة والمشاهدة يحملان عن الحياء والمجاهدة فمن صحت مراقبته عظمت هيبته منه واجلاله الموجبان للكف عما لا يرضى فمن كان مراقبا كان مقاربا والقرب نتيجة الحب ومن احبه البسه خلع احسانه وافاض على سره من منته وامتنانه فمن جاهد شاهد ومن خالف والف فالاحسان ناشئ عن كشف الحجاب الذي هو السبب في كل خير وضده هو اساس كل شر الا ترى الى قوله صلى الله عليه وسلم الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك فتفسيره صلى الله عليه وسلم الاحسان بالعبادة على الرؤية للحق والمشاهدة صريح في كشف الحجاب الذي هو حجب الذنوب او العيوب فكلاهما منتف فالعبادة بوضعها تضمنت جميع الطاعات على اختلاف انواعها قولية او فعلية بدنية او قلبية وهي اول درجات مقام الاحسان و يتلوها المشاهدة لوجه الجليل جل جلاله كانه صلى الله عليه وسلم يقول الاحسان احسانان عام وخاص فالعام للعوام وهو احسان العبادة وتخليصها مما يشينها والخاص للخواص وهو العمل على الشهود الملك المعبود فالاحسان يمنع من العصيان ولذلك صلى الله عليه وسلم تكلم بما يقتضي الطاعة وسكت عن ضدها اذ المشاهدة توجب الحياء والاجلال الموجبين للكف عن المخالفات في كل حال ولو راى الساكنين بقلوبهم انهم معرضون في هذه الدار على مللهم لبعثهم ذلك على فعل الخيرات والمثوبات وترك جميع المنهيات قال تعلى يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية فشهود العرض من يومئذ تعرضون يورث التجلي بقوله لا تخفى منكم خافية الذي هو بعض من الاحسان وهو قريب من حيث المعنى من قوله اذا لم تستحي فاصنع ما شئت فالحياء مانع من ان يفعل الانسان إلّا ما فيه رضى المستحى منه ولذلك كانت المراقبة من اجل المقامات كيف لا تكون من اجلها والحق يقول في بعض كتبه واحذر ان يراك حيث نهاك او يفقدك من حيث امرك فمن علم انه مطلع عليه في كل احواله كان حقيقا بان لا يعمل عملا إلّا وفيه رضاه وان لا يلتفت الى مخلوق سواه كما ان من كان في حضرة

ملك من الملوك لا يتصور منه عمل يناقض رضى الملك ولا يقع منه التفات ببصره الى غيره رعيا لحرمة الملك وهيبة من سلطانه فكذلك من دخل ديوان المراقبة وضمته حضرة المراقبة اقتضى مقامه ذلك الخوف من حاضره والهابة من ناظره في ان يراه في عمل لا يليق بحاله او يقارب ما يخل بكماله كما يقولون اذا جلست مع العلماء فاحذر لسانك ومع الملوك فاحفظ اركانك ومع الاولياء فاحفظ جنانك افترى من جالس العلماء لا ينطق بمقالة فيعيبونها عليه اصلا ومن جالس الملوك ايضا لا يزال ساكنا بقالبه جامعا همته بين ايديهم مطرقا براسه لديهم حذرا من سوء الادب من التحرك فيما يناقض حضرتهم ومن جالس الاولياء لا يزال ايضا بين ايديهم ساكنا بقلبه احرى بقالبه خشية ان يطلعوا على سره جائلا فيما لا يعنيه مقبلا عما لا يغنيه كما شوهد وجرب فكيف بمن كان مع الله عالم احواله مشاهد اقواله وافعاله لا يعزب عنه مثقال ذرة في سموات حقوقه ولا في ارض حظوظه فيحسن منه ان يعمل عمل الغائبين من الحضرات المحجوبين في الخطرات واللحظات فاختر لنفسك ايها المحب اي المقامين تريد فلا تدعي القرب منه وانت بعيد فالمحب ساع في مرضاة محبوبه والقاصد دائب في سبيل مطلوبه فالظاهر عنوان الباطن كما قال صلى الله عليه وسلم للذي يصلي ويعبث في صلاته بلحيته لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه فصلاح السيرة دليل صلاح السريرة والحياء من قوله شاهد لصحة البصيرة هذا وانت ترى في عالم الشهادة بعين الراس ان القريب من الملوك اشد خوفا منهم واعظم حياء ومهابة ممن هو غائب عنهم او بعيد في المعنى منهم فكذلك اهل القرب من الله تعلى يمنعهم قربهم ويقدسهم حبهم ويحجزهم حياؤهم من محبوبهم حذرا ان يراهم حيث نهاهم او يفقدهم من حيث امرهم كما قال قائلهم

ان كنت صادقا في محبتنــا   فالمحب بذكر الحبيب يذوب

وكذلك ايضا من حيث المثال البصير والاعمى فالبصير اشد حياء من الاعمى لمشاهدة البصير موجبات اجلال حاضره والحياء من ناظره بخلاف

غيره

غيره فانه بالعكس والمحجوب عذره كثف حجابه وعدم اقترابه جعلنا الله من اهل قربه ومحبته بمنه وكرمه ثم قال رضي الله عنه (لا تطمئن بدنياك وانت لاه عن اخراك فان ذلك زيادة في عماك) الدنيا طابع خساستها ووسم دناءتها موضوع في اسمها وهو يشعر بمسماه فهي لا شك دنية من الدناءة او دانية من الدنو الذي هو القرب الى الانقضاء والفناء فظلمة ليلها منسدلة على وجهها فلا يحقق النظر اليها عاقل إلّا ويجدها منصرمة مدبرة فانية من اول حالها موذنة بمآلها زهرتها ذابلة ونعمتها زائلة تغر ببهجتها من سكن اليها واطمان بما فيها وآل امره الى الندم عند ظهور الخروج من الدنيا فاول قدم كما ترى ابناءها لا يفارقونها إلّا على حالة الندم على الاغترار بها والثقة بها لاسيما وهي تلهي من تمسك بها وسكن اليها عن الآخرة فيستبدل الفاني بالباقي ويترك ما اليه يرجع وياخذ بكلتا يديه ما عنه ينقطع فلا يسع العاقل ان يغتر بما يفنى ويوثره على ما يبقى وكان امر الله قدرا مقدورا قال تعلى بل توثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وابقى وهو اصدق القائلين فالدار الدنيا حصل ايثارها على الآخرة في غالب الخلق والحكم للغالب كما هو مقتضى اخبار الحق فعوام الخلق صدق عليهم قوله بل توثرون الحياة الدنيا وخاصتهم ايقظهم باعث قوله والآخرة خير وابقى واعلم يا حبيبي ان الدنيا دار محنة وبلاء عرف حقيقتها العقلاء فحذروها واحتقروها واغتر بها الحمقاء فتنافسوها فان نعيمها زائل ومحبها لا يحصل على طائل يحاسب مكتسبها على ثلاثة اشياء من اين اكتسبها وفيما انفقها وهل ادى شكر الله على نعيمها وكما يحاسب على ما افناه يحاسب على ما ابقاه ولذلك يقول في قبره جمعت المال من حله ومن غير حله فالهنات لكم والتبعات علي يخاطب من صار اليه ماله من بعده ويدل على خساسة الدنيا وضعة قدرها عند الله ما روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها جرعة ماء ومنذ خلقها لم ينظر اليها اي نظر رضى فعدم نظره اليها سار الى عدم النظر الى اهلها المنكبين عليها حسبما يقتضيه الحديث الآخر وهو قوله صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة ملعون ما

فيها إلّا ذكر الله وما والاه او عالما او متعلما كانه يقول الدنيا ملعونة اي ملعون ما فيها إلّا ما هو لله فما كان لله فليس بدنيا وانما هو آخرة واضافته اليها لاجل ان ياخذ المرء نصيبه منها قال تعلى ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك وما استثناه صلى الله عليه وسلم هو نصيب المربي منها لانه الذي يجده امامه فيفرح بوجوده و يسكن الى وروده واما ما سواه فعظيم خطره إلّا من يسره الله عليه وقد مر صلى الله عليه وسلم على سخلة ملقاة فقال لمن حوله من اصحابه اتدرون لاي شئ القيت هذه فقالوا لهوانها على اهلها فقال صلى الله عليه وسلم الدنيا اهون على الله من هذه على اهلها وقال ما الفقر اخشى عليكم ولكن خشيت ان تبسط عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما اهلكتهم وقال الدنيا عرض حاضر ياكل منها البر والفاجر وقال تعلى انما هذه الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هي دار القرار وقد ضربوا للدنيا مثلا بالحاج ينزل ببعض المناهل فيقوم بعضهم يجمع الحجارة والخشب ولا يزال يبني حتى ينادي المنادي بالرحيل فيرحلون عنه وما اعد لنفسه من زاد ولا هيا لسفره من ثمرة ولا استعداد افترى الركب ينتظره او ترى المنادي يعذره فهيهات هيهات لا يقطع المفاوز إلّا الفائز والعقلاء منهم عرفوا منهلهم واصلحوا فيه شغلهم المتعلق بيومهم ولم يعمروه لانهم تيقنوا انهم سيعبرونه بصياح الرحيل وجدهم مشاة في جادة السبيل فكذلك اهل الدنيا افترقوا فيها على حالين فمنهم من جعلها دارا واتخذها قرارا الهاه زخرفها حالا عن مرجعها مآلا ومنهم من تيقظ من سنة غفلته وينظرها بعين فكرته وعبرته فراى كسوفات فنائها لائحة ومصائبها غادية رائحة نعيمها ينقص وبلاءها يزيد محبها يحرص وعناؤه شديد فاعرض عنها مدبرا وولى مبصرا فوجدها تفر ممن يتبعها وتتبع من يفر منها تواصل من يقطعها وتقطع من يواصلها فجلس على كرسي الراحة من تعبها والسلامة من عطبها فربضت كالشاة امامه واستراح من شغله بها ايامه ذاق خلاص لباب قوله صلى الله عليه وسلم الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن والرغبة في الدنيا تتعب القلب والبدن فمثال

الدنيا في اعتبار متاملها في شمس معرفته وشهود سويداء فكرته كخيال الانسان في الشمس الا ترى انك لا تزال تسعى خلفه وهو فار امامك ابدا فاذا ادبرت عنه انقلب راجعا وصار بعد الفرار تابعا فهكذا الدنيا اي ظرفها ومظروفها وليسوا يعنون بالدنيا مجرد الدينار والدرهم بل كل ما هو شاغل عن الله فيها فهو دنيا لانه صدق عليه وصف الدناءة والخسة وقد مر طرف من هذا المعنى ففي كلام المؤلف اشارة الى ان الطمانينة بالدنيا والانكباب عليها والتفات القلب اليها والتذاذه بزهرتها ورونقها يلهي عن الآخرة ويصرفه الى شهواتها والانهماك في حطامها وذلك هو الحجاب الاعظم عن الله كيف لا والله تعالى يقول ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه فانظر رحمك الله قوله زهرة الحياة الدنيا وقوله لنفتنهم فان الزهرة بوضعها دالة على الذم وانها رونق زائل من مبداه وقوله لنفتنهم صريح في ان الدنيا فتنة واي فتنة هي كما قال في آية اخرى انما اموالكم واولادكم فتنة وقال ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون الا ترى انه تعالى جعل جميع الامرين الخير والشر فتنة في آخره بلية في اوله فمن عرف رشده هرب من مجموع الحالين ورجع به اليه واستقر في مقعد صدق لديه فاستراح على الابد ولم يانس في دنياه باحد وقد ذم جل جلاله بعض المشركين بسبب اغتراره برونق الدنيا فقال ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين فقد جعل وجود المال والولد الموجبين للعزة بهما والسكون اليهما سببا للتكذيب ولم يغنيا عنه من الله شيئا ففتنة المال والولد تحدث منها قبائح وعيوب كثيرة كالكبر والعجب والحقد والحسد والغش والخديعة والرئاسة والتعاظم والتقاطع والتهارج والتفاخر والحرص والبخل وطول الامل والجبن والاغترار ونسيان الآخرة وغير ذلك بما تكون الدنيا سببا فيه واقبح هذه العيوب ما ينشا عنها وهو الحجاب عن الحق تعالى كما اشار له بقوله فان ذلك زيادة في عماك كانه يقول المتوجه الى الدنيا المقبل عليها اعمى عن الآخرة ضالا عن جادتها منحرفا عن السبيل الموصل اليها والمطمئن بها يزيد ضلاله وعماه فلا يرى حقا فيعمل عليه

ولا يعرف باطلا حتى يجتنبه كما هو شان الاعمى وحجاب القلب اشد من ارتكاب الذنب لان الذنب فرع عن الحجاب فلولا وجود الحجاب ما قبح اكتساب لكن الذنوب تقوي كثافته كما ان الاعمال الصالحة توجب زواله او لطافته فالحجب محض ظلمة وضلالة وكشفها نور وصقالة قال تعالى ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منهما منقلبا فزهرة جنته اوجبت له ما اخبر عنه تعالى من السكون اليها والطمانينة بها والاغترار والجحد باتيان الآخرة والوثوق بالدنيا وحطامها ولو لم يكن إلّا هذه الآية فقط لكانت كافية لمن اعتبر وتدبر وانظر الفرق بين هذا وصاحبه الذي حماه سيده من الدنيا كيف وبخه وعاب عليه مقالته وشنع عليه ضلالته مشيرا الى ابتداء خلقته من ضعف التي نسيها والى كمال تصويره ونهاية تطويره التي هو الآن فيها مغترا بقوتها فقال اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا واخبره عن مقامه وصرح له بمزيد انعامه قائلا لكنا هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا فالجملة الاولى نص في قوة الايمان حالا والثانية نص في استصحابها والثبوت عليها مآلا وبالجملة فالآي والاحاديث في ذم الدنيا ومدح الآخرة كثيرة ولو تمسك المتيقظ بآية واحدة او حديث واحد لكان محذرا له من الاغترار بهذه والنسيان لتلك ولو قدم ارادة سيده على ارادة نفسه لدل ذلك على فطنته والمسكين ما قدر على فطامها ولا صبر على حطامها وإلّا لسلم من وبالها وآثامها وما ذاق داء حلالها وحرامها وفيما مر سابقا

وهنا كفاية لمن له بصيرة وفكرة وعناية ثم قال رضي الله عنه (لا تطمع في مغفرة الرحمان وانت معرض عن الايمان فان ذلك من علامة الخسران)

الرجاء محمود وهو ما قارنه عمل والتمني مذموم وهو ما لم يقارنه عمل فيرجع الى وصف الطمع فطمع الانسان الغافل في مغفرة ربه واستشراف نفسه على قربه مع اعراضه عما يقوى به ايمانه او يترقى به ايقانه دال على خسرانه في احواله لتقصيره في اعماله فحق المذنب في حال الصحة تغليب حالة الخوف مع تفقد حالة الرجاء فاذا غلب على

قلبه سلطان الخوف حتى قرب من اصطلامه طلب حينئذ بالانغماس في الرجاء ليطفا لهب الخوف المودي الى القنوط وكذلك ان كان في حال الرضى يستقر في ظل الرجاء كي يقدم على ربه حسن الظن به كما قال صلى الله عليه وسلم لا يموتن احدكم الّا وهو يحسن الظن بالله وقال حاكيا عن ربه انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء فظاهره العموم لكنه مخصوص بحال دون حال كما مر وفي كلام المولف اشارة الى ان الايمان يزيد وينقص يوخذ ذلك من قوله تعلى فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل وقال تعلى هو الذي انزل السكينة في قلوب المومنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم وكما قال في قصة خليله ابراهيم عليه السلام رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تومن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي فالمقرر بقوله اولم تومن هو الايمان الكامل والّا فاصل الايمان موجود فليس السوال بمقصود الا ترى الى انه قال رب ارني كيف تحيي الموتى فاقر له بالربوبية اولا ثم طلب منه مشاهدة آثار قدرته وتخصيص ارادته الذي هو مشهد تجلي الافعال ليترقى به الى مقام الكمال الذي هو تجلي الصفات يدل عليه جوابه بقوله ولكن ليطمئن قلبي فاراه ما طلب وكشف له عن مخدرات ما رغب ثم رقاه الى تجلي الاسماء بقوله واعلم ان الله عزيز حكيم ونهاية ترقيه في المقامات هي قوله تعلى اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين وترقي الانبياء وتجليهم عليهم الصلاة والسلام ليس كترقي غيرهم ولا كتجليات من سواهم لان اعيانهم نورانية من اصل فطرتهم فلم يقع لقلوبهم من ادناس البشرية مثل ما يقع لغيرهم وما يوهمه ظواهر الاخبار بل يدل على خلاف ذلك فمصروف عن ظاهره دليلنا عصمتهم قبل النبوءة وبعدها وهي تقتضي عدم وقوع الذنب الذي هو اصل في الحجب فلا ذنب يقع منهم ولا حجاب يسبل عنهم فهم الانوار من اصل نشاتهم الى آخر نهايتهم غير ان الانوار تتزايد فكذلك نور الايمان يتقوى بقوة امداداته كما ان المصباح يزيد اشراقه عند تنظيف فتيلته وامداده بخالص زيته فالمومن العامل بطاعة ربه مقبل على زيادة ايمانه والغافل بعكسه فهو

مدبر والادبار يئول الى النقصان وهو الدال على الخسارة عياذاً بالله ويتضح لك ذلك بالمثل فالقمر مدة اقباله الى امام وتوجهه الى قدام لا يزال في الازدياد حتى يتم ويصير بدرا وحين يتخلف عن التنقل الى امام يبدل مكان الزيادة نقصانا فكذلك المقبل على ربه زائد الى قدام وبحسب زيادته في طاعة معبوده تكون زيادته في شهوده والمدبر على الطاعة راجع الى القهقرى التي هي نفس الخسارة وعنوان الهلاك والتبار وكلام الواقف قريب من حيث الاشارة من قوله صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني فالمتبع لهوى نفسه المطلق اعنانها هو الخاسر في صفقته التائه في اودية حيرته فامانيه مع اتباعه لهواه زائدة في ظلمته وحسرته وعماه افرايت من اتخذ الهه هواه فاضله ذلك وحاد به عن سبيل هداه فلو ابصر رشده لوقف على جادة السلامة وخرج عما يعقبه من فوت او ندامة ثم قال رضي الله عنه (لا تغترون بما يلوح لك من العلوم وانت منعكف على الهموم فان ذلك من علامة القلب المسقوم)

عادة الله تعلى ان يكرم من قصده بصدق وتقرب اليه بصدق فيفيض على سره من ينابيع علومه واسراره ويطلع على عالم قلبه شموس انواره ومع هذا فهو مطالب بالاعراض عن مساكنته ومامور بالخروج عن ملاحظته والّا فالاغترار باللوائح عنوان كمون القبائح فوقوف المربي عند ما يلوح له من العلوم والمعارف الربانية وسكونه اليها بقلبه وجعلها مقصودا بقربه يقتضي سقم سريرته وطمس بصيرته لانها اغيار كونية وطوالع غيبية قادحة في عبوديته وطاعنة عليه في ارادته اذ العبودية الصرفة هي صفاء الاسرار من رق الاغيار وسكون السر الى ما يشاهده وعكوفه على ما يستلذه حجاب قاطع وسجن مانع فكن ايها السائر الى محبوبه القاصد لمطلوبه يوسفي القلب حتى اذا عرضت عليك زليخا المشاهدات جمالها وابرزت لك حسنها وكمالها اعرضت عنها بالفرار ونظرت الى بهجتها بالاحتقار شاهد صدقك في هربك وشدة حرص من جد في طلبك مراعيا حرمة مولاك الذي قربك لحضرته

وادناك منعك من السكون اليها شهود برهانه واغناك عن جمالها عظم امتنانه ترضى بذل السجن والوضيعة خوفا مما يحدثه الميل من القطيعة اعراضك عن غير سيدك صادق ولسان صدقك في اداء حقوقه ناطق فغرض السائرين ومقصد المقربين خلوص اسرارهم وتصفية اغيارهم وعكوف القلب على الهموم الزائية والفواحش النفسانية دليل على عدم تمكينه بالحق وادباره عن الخلق ومن هذا حاله فليحذر من الاغترار بما يلوح له من الاسرار لانه لا يامن من مكره فلا يامن مكر الله إلّا القوم الخاسرون هذا في حق من هو في غاية الاستقامة فغيره ممن هو دونه احرى بالتحرز من مساكنة البوارق كما هو شان بعضهم رضى الله عنهم فانهم اذا كوشفوا ببعض خرق العوائد فروا الى سيدهم منه وخافوا على انفسهم حذرا من أن يكون مكرا واستدراجا وعلى فرض السلامة منهما فهى اغيار لا يقف عندها إلّا اصحاب الاغترار عافانا الله من ذلك بمنه وكرمه ثم قال رضى الله عنه (لا تستفتح منامك بمرغوب ولا تختمه بمطلوب فان ذلك من اكبر الذنوب) تضمن كلامه الحث على حفظ طرفي عالم النوم من ان يستفتح بمرغوب او يختتم بمطلوب لان النوم كما ورد فيه اخو الموت وهو شبيه به فالنوم عنوان لما عليه المرء في اليقظة فاذا اراد ان ينام فلا يستفتح عالم نومه بالرغبة في شيء من الاشياء والاهتمام وتحدث النفس به إلّا فيما يعنيه ويليق بحاله مع الله تعالى جاعلا حالته تلك خاتمة عمره وعمله فلا يجعله إلّا طيبا زكيا كما ان الميت حين دنوه من مفارقة الدنيا لا يفكر إلّا فيما يليق به فان المرء اذا نام صعد روحه الى العالم العلوي برزخ ارواح عليين ان كان صالحا وعكسه ان كان بالضد كالموت سواء بسواء واليقظة من النوم كالبعث من القبور فمن مات على حال طيب وعمل صالح بعث كذلك ومن مات على حال خبيث بعث كذلك فالمتيقظ من النوم يستيقظ على ما نام عليه فان كان نومه منطبقا على الرغبة في الدنيا والاهتمام بشانها والتحيل في اكتسابها يستيقظ على ذلك بل يكون اشد حرصا واعظم رغبة الا ترى ان النائم في حال نومه لا يزال روحه جائلا فيما كان

فيه في يقظته حسبما هو مشاهد مجرب فمن كان من الذاكرين مثلا ينام ذاكرا ولا يزال يتعاهد الذكر في حال نومه ومن كان من الرعاة مثلا ينام على الرعاية ويجول فيها ويذهب بها فاذا استيقظ كل وجد في فاتح يقظته وفق ما في نومته وحينئذ فلا يسع العاقل ختم يقظته بمرغوب ولا افتتاحها بمطلوب سوى علام الغيوب وكلامه رضى الله عنه في طرفي النوم اشد من كلامه على اليقظة اذ هي احرى مع ان طرفي النوم هما طرفا اليقظة فنبه بالادنى عن الاعلى فخاتمة النوم هي بداية اليقظة ونهاية اليقظة هي خاتمة النوم غير انه رضى الله عنه افرد الكلام في النوم بالذكر لكونه شبيها بالموت من حيث انه نهاية ليقظته واكتسابه ومحل لسكونه وراحته من اتعابه قال تعلى الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا فمن حكمته ان جعل الليل محلا للسكون عن الاضطراب والتحرك في الاسباب وقال تعلى ومن رحمته جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا فاهل الغفلة منهم جعلوا ليلهم راحة من الاتعاب البدنية وسكنوا عن التحرك في المآرب الدنيوية وابدلوا مكان ذلك الاهتمام بماضي اسبابه ومستقبل اكتسابه كما يقع ذلك لاهل المعاملات الدنيوية فلا يزالون في جميع نهارهم متعوبين بقلوبهم وابدانهم فاذا جن عليهم الليل التقموا ثدي امهم وتوسدوا ذراعها فباتوا في حجرها وتحت ولاية قهرها فلا يصبحوا إلّا وافئدتهم مملوة من لبن حبها وقد كنت ذات يوم جالسا مع الاستاذ المولف رضى الله عنه فدخل علينا شخص فسالة عن حالة فقال له يا سيدي اني مع ربي في خير واتم نعمة وقد خرجت الدنيا من قلبي فلا محبة لي فيها فقال له الاستاذ وما امارة خروجها من قلبك وانقطاع حبها منه فقال الله اعلم فقال انظر ما يبيت في قلبك وتنام عليه عينك فهو محبوبك فان كانت الدنيا فالدنيا وان كانت الآخرة فالآخرة فنكس الشخص راسه وعرف حاله مع محبوبه من هو فانظر رحمك الله الى هذا الميزان العجيب كيف ابان ما خفى وكشف مخدرات ما ستر وغطى وروي في بعض الآثار ان الانسان اذا اراد ان ينام اكتنفه ملك وشيطان فقال الملك اختم بخير وقال الشيطان

ختم بخير واذا استيقظ كذلك فيقول له الملك افتح بخير ويقول له الشيطان افتح بشر فما ختم عليه في الاول يستفتح به في الثاني ويعمل على وفق ذلك وكان كلام المؤلف يشير الى هذا الاثر وتراه من اكبر الذنوب اي عند ارباب القلوب لان النوم عندهم بمثابة الموت والاستيقاظ منه بمثابة البعث والاعمال بالخواتم فمن ختم بخير كان مآله الى خير وعكسه وكيف لا يكون العبد مراعيا لخاتمة عمله محافظا عليها متوقعا انه ما يستيقظ من نومته تلك وانها آخر عمره فيموت على حسن الخاتمة رزقنا الله حسنها بمنه وكرمه واما اهل العاملة الباطنة فانهم في جميع نهارهم سائحون في رياض الطاعات مستغرقون في كل اوقاتهم بانواع النعمات حتى اذا جن عليهم الليل خلوا بمحبوبهم وستروا في اودية مقاويهم يناجونه بكلامه ويتملقون له بانعامه فمنهم الصارخ والشاكي والشاكر والباكي يبيتون بالم المحبة والاشواق ويصبحون بمدامع الاحداق سكرتهم في ليلهم بالغالب والقالب ينامون ذهولا عن غيرة ويستيقظون بواردات برد نومهم فناء ويقظتهم بقاء نومهم ذهول ويقظتهم وصول سكونهم فكر وحركتهم ذكر تواصلت اوقاتهم وتباينت احوالهم فهم في نعيمهم دائمون كلما رزقوا من ثمرة المواجهة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل ثم قال رضي الله عنه (**لا تتطلع الى ما يبرق لك من العمل وانت على حظوظات نفسك فان ذلك من اعظم الزلل**) نهى رضي الله عنه المرء عن النظر فيما يبرق له من البوارق او يلوح له من الشوارق ما دام مراعيا لحوله وقوته وملاحظا لوجوده ونسبته معطيا للنفس حظها من الشهوات ومطالبها لانها تمرح فيما لها من الملونات كما قال سيدنا لن تخرق لك العوائد حتى تخرق لك من نفسك العوائد وانت خبير بان هذه الاوائل والبوارق التي يواجه بها اهل الكمالات ليست مقصودة لذاتها وان حسنت حال صاحبها وخرج من حظوظها بل المقصود الى اهل والمراد النهاية الى قدام فاحرى من كان في سجن نفسه الامارة او ما يقرب منها ممن يكدر باطنه عبن الاغيار او باخذ بمجامع قلبه لواقح الانوار لانه مطالب بالنظر الى ما فيه من عيوبه فيتقيها ومادر بالاعراض عن الغيب فيتابها كما

قال لا تنظر الى ما يلوح لك فالمصباح ليس مرادا لذاته ولا مطلوبا لتحسن صفاته وانما المطلوب ما اريد به من دفع الضار وجلب المصالح فكذلك المجتهد اذا لاح له من اعماله بعض لوائح او صاح عليه من خلفها صائح فليحذر مكر ذلك وليعرض عما هنالك فالالتفات اليه هلاك والوقوف عنده محض اشراك فاستحسان البوارق والانوار من علامات الاغترار والرب جل جلاله يقول الله الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر فالطوالع المشرقة على قلب السائر في سماء قلبه ليست مرادة لعينها وانما المقصود الاهتداء بها في ظلمات بر الشريعة وبحر الحقيقة لان العمل بالعلم يحتاج الى الاقتداء وبذلك يحصل النجح والاهتداء وبعد كمال النهاية وثبوت العناية لا تضر لوائح تبرق ولا تشغل انوار تشرق فقوله لا تنظر الخ مراده نهي وقوف واستحسان ورضى به ورغبة فيه واطمئنان اما مجرد الروية من غير اشتغال بالمنظور فليس عندهم بضار ولا محضور كالنظر الى الاجنبية فالاولى من غير قصد ولا التذاذ لا باس فيها وانما الباس في معاودة النظر فكذلك هذه البوارق عند ارباب القلوب من العوائق تستزل قلب من ضعف شهوده وتصرف وجهه من قبل وروده فمن امتحن بها فليفر الى ربه منها عسى ان يحفظ سره عن الشغب ويصونه من موجبات العطب وكيف لا يكون الاعتقاد على الحظوظ النفسانية وقصد الاغراض الحيوانية من اعظم الزلل والله يقول من كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا فغرض العامل غير معبوده اشراك والجليل جل جلاله غني عن الاشتراك كما قال صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه انا اغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا اشرك فيه غيري تركته وشريكه ومحبة غير الله وقصد ادراكه قادح في العبودية كما قال ابن عطاء الله ما احببت شيئا الا كنت له عبدا وهو لا يحب ان تكون لغيره عبدا وهذه البوارق كلها ما قل منها وما جل كلها اغيار كونية تعتري سالكي طريق المقربين لتصرف وجوههم عن مقصودهم وتكدر شربهم في ورودهم فالعاقلون منهم سمعوا باذان قلوبهم داعي ففروا الى الله فصمت آذانهم

من سوى محبوبهم فما صغوا لعذول ولا اناخوا رواحلهم قبل الوصول قائلين بلسان الخلة الابراهيمية اني ذاهب الى ربي سيهدين جعلوا عرفات عرفانهم له هي الغاية فما استراحوا في سفرهم ولا سكنوا لشيء الى النهاية ركبوا نجب الشوق وتزودوا اطعمة الذوق عزائمهم لمحبوبهم سيارة وقلوبهم لمطلوبهم طيارة فغيره عزلوا وفي بساط الانس به نزلوا خلع على اسرارهم خلع جلاله وجملهم بحلى جماله فمنهم من انَّ وصاح ومنهم من جن وباح ومنهم من اتسعت عوالمه واسراره وتكاملت شموسه وانواره استقامت افلاكه وتاسست املاكه لم ير على ظواهرهم ما تكاملت به ضمائرهم وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب ثم قال رضي الله عنه (لا تقنع بكثرة الاعمال من غير حضور مع الفعال فان ذلك دليل على عدم الاقبال) قناعة الشخص بمجرد كثرة اعماله دليل على غفلته وعدم اقباله فمن سلك طريق المقربين ودخل ديوان المحبين لا تقنعه كثرة اعمال من غير شهود ولا تسلبه انواعها دون وجود غرضه في المعاملة الحاضرة والمواصلة فمحط رحال الابرار مجرد التعبد ومطمح نظر المقربين الحضور معه والتفرد لا يقنعهم كثرة اعمال ولا يلهيهم افاضة نوال تقدست اسرارهم عن السكون الى غيره محبة فيه واجلالا له وهيبة منه وانسا به لا يانسون بشيء سواه جل جلاله اخذوا حظهم من قوله تعلى وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا خرجوا من قفص دنياهم وجالوا باسرارهم في برزخ اخراهم حاسبوا انفسهم اي محاسبة وعرضوا عليه بالمراقبة ففاقوا ابناء الجنس وسبقوهم في المعنى والحس فهم في جنة حضورهم مع معبودهم والتنعم في جمال موجودهم كانوا معه فكان معهم البسهم حلل الولاية واجلسهم على ارائك العناية اشهدهم جماله ووهب لهم كماله افناهم فيه عنهم وسلبهم به منهم فلا شمس الشهود تمنعهم ولا زمهرير برد الوجود يصدعهم بخلاف السادة الابرار فهم عاملون على رجاء المجازاة قانعون بتكثير الحسنات همتهم تنويع الاعمال وخدمة المتعال من غير مراعاة لمشاهدة ولا اقبال لا يعرجون إلّا عليها ولا يشرفون بقلوبهم

إلّا اليها ولقد حكي عن بعضهم انه قال لبعض المريدين بم ذا كان يامركم شيخكم فقال له كان يامرنا بكثرة الاعمال ورؤية التقصير فيها فقال له امركم بالمجوسية المحضة افلا كان يامركم بالغيبة عنها في شهود مجريها وموسيها فترقى ذلك المريد بهذا الترياق من حينه وغاص غرقا في بحر يقينه فانظر الى هذا الفرق بين الامرين والمباينة بين السرين فمشهد الاولين ظاهر صواني ومشهد الاخيرين باطن روحاني صاحبتهم في معاملتهم الغيبة عنها شهودا والاستغراق في مجريها وجودا وقد روي عن علي كرم الله وجهه انه قال ان قوما عبدوا رغبة فتلك عبادة التجار وان قوما عبدوا رهبة فتلك عبادة العبيد وان قوما عبدوا شكرا فتلك عبادة الاحرار وقال في القوت روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يكونن احدكم كالعبد السوء ان خاف عمل ولا كالاجير السوء ان لم يعط الاجرة لم يعمل وقال في الحكم من عبده لشيء يرجوه منه او ليدفع بطاعته ورود العقوبة عنه فما قام بحق اوصافه وفيما نقل وهب بن منبه من الزبور ومن اظلم ممن عبدني لجنة اونار لو لم اخلق جنة ولا نارا الم اكن اهلا لان اطاع ويرحم الله القائل في هذا المعنى

لو لم تكن نار ولا جنة ولا وعيد لا ولا موعده
الم يكن حقا على العبد ان يشكر بالطاعة من اوجده

فالله تعلى اهل لان يذكر ويشكر ومستحق لذلك ولو لم تكن جنة ولا نار والشكر واجب على قدر النعمة وقد مر طرف من هذا عند قول المولف لا تجعل عبادتك عبادة المنتظرين ان اعطوا تعبدوا وان منعوا تربدوا فراجعه ان شئت ثم قال رضي الله عنه (لا تجعل يقظتك غفلة وغفلتك استرسال فان ذلك دليل الاهمال) المرء له حالتان يقظة ونوم ولا ثالث وهو مطالب في يقظته بحفظ وداتعه وارسال طلائعه فيما فيه مرضاة ربه تعلى وموجبات القرب منه ومامور باجتناب الغفلة القلبية وحذر من ان تميل عليه الاعداء الباطنة فتصطلمه عن احساسه وتغمسه في بحر ادناسه كما كان عليه في حالة اول مرة فيرجع الى سجين الطبيعة ويهيم في ليل القطيعة كما قال تعلى ود الذين كفروا

لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة فالكافرون من حيث الاشارة هم الاعداء الباطنة والاسلحة هي الاسماء التي يترقى سالك الطريق بحفظها والمداومة عليها والاستهتار فيها فيتمنى العدو غفلة السائر عن سلاحه الذي يرهب به عدوه ويقهره بذلك فيميل على قلبه ميلة الاستئصال فلا يجد في قلبه وقالبه من حركة ظاهرة ولا حال ولذلك حذروا من الغفلة بعد الارادة اكثر من تحذرهم منها بعد الارادة فقالوا زلة بعد الارادة اعظم من سبعين زلة قبل الارادة وهو الحق اذ العدو قبل الارادة ليس بالحريص على غواية الانسان ولا بالمكترث به فاذا راى منه مخائل العزم والحزم وعرف منه التيقظ اليه عرف انه مجاهد له لا محالة فيبذل حينئذ وسعه وطاقته في اضلاله وافساد نظامه واحواله فلا يزال له بالمرصاد واكثر ما يدخله من باب الغفلة فهو كالسارق يغتنم فرصة غفلة المسروقين الّا من حفظه الله بخلاف من لم يكن في بساط الارادة فلا تهمة له فيه ولا التفات اليه علما منه انه في طوع يده غافل وعن سبل رشده ذاهل لا يلقي له بالا ولا يخشى منه مكيدة ولا حالا كما عرفت فاذا علمت هذا فاحذر ان تجعل يقظتك غفلة عن احوالك وتكاسلا عن اعمالك هائما في اوديتها مكبلا في اغطيتها كما تحذر من جعل غفلتك استرسالا فيها واستغراقا في ليلها فتكون نائما في كل احوالك كما قال الشاعر « وانت اذا استيقظت ايضا كنائم » فالمستيقظ الغافل بمثابة النائم بل النائم احظى من حيث سقوط التكاليف عنه بخلاف الغافل فلا عذر له فيها لان عنده بعض شعور فهو مطالب بدفع تلك الغفلة التي ارخت رواقها على انسان قلبه فمنعته من التوجه لربه فانك ايها الانسان ان استرسلت في اودية الغفلة افضى بك الامر لا محالة الى الاهمال وتضييع المصالح والاعمال فانهض وقم على ساق جدك واسع في خلاص نفسك من موجبات بعدك وطردك واياك ان تغفل عمن لا يغفل عنك وتهمل احوالك مع من لا يهملك وتدبر عمن لا ادبار له عنك ان كنت عاقلا وبالجملة فالوقت كنز لا يتاتى الانفاق منه الّا لمن كانت اليقظة حاله والتشمير على ساق الجد منواله واليه يشير قوله تعلى وهو الذي

جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا الا ترى الى انه جعل نفع الليل والنهار عائد لمن له ارادة في التذكر او الشكر وهما لا يكونان إلّا وصفين المتيقظ فافهم ثم قال رضى الله عنه (لا تجعل

حياتك موتك وعيشك اذلال فان ذلك ليس من شيم الابطال) قد علمت ان الانسان جعل مظهرا للوجود وهيكلا للشهود ركب في ظواهر انسانيته ما يقتضي كمالها كالسمع والبصر والنطق والحياة والقوة البدنية وما كان في باطنه من العقل والادراك وغير ذلك من سائر الكمالات القلبية فكان بمجموع الامرين واسطة بين الملك والملكوت يجول في الملك بالتحركات الظاهرة وفي الملكوت بالتنقلات الباطنة هيا له سيرة التصرف في العالمين ومكنه من الجولان في المحلين انعم عليه بالحياة ليكتسب في ايامها ما ينفعه في معاده كما قال او لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر فالعمر وان قل زمانه يمكن فيه الاكتساب وتهيا فيه بعض الاسباب الا ترى انه تعلى علق تكاليفه البدنية بوجود القوى البشرية ولا يزال يحط عنه التكليف بانحطاط قواه وعدم قدرته حتى يرجع الى الايماء بالطرف عقلا ثم الى النية التي لا يسقط طلبها إلّا بانعدام العقل رحمة منه تعلى ولطفا كما قال تعلى وما جعل عليكم في الدين من حرج واذا كان ذلك كذلك فلا تجعل ايها الانسان حياتك التى هى محل زادك وزمن استعدادك موتا بان تصحب فيها ليل الغفلات وتسكن عن التحرك في الطاعات فتكون اعمالك مختومة ومنافعك معدومة فان من كان في البطالة لا فرق بينه وبين الميت من حيث ضياع زمانه هملا بل الميت اجل لانه لم يضيع وقته ولم يتسبب بعد موته فيما يوجب مقته بخلاف البطال المسكين فانه معدود في المفرطين والى هذا يشير قوله صلى الله عليه وسلم اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبورا فقد اطلق عليه السلام اسم القبر على المنزل الخالي من الطاعة اذ لا فرق بين القبر والقصر باعتبار ما يعود على الساكن من النفع الاجل إلّا بمعاملة الحق جل جلاله والسعي في مرضاته فياخذ الانسان من هذه الى تلك لان الدنيا زاد للآخرة وهى محل زراعة اعماله وحصد

احواله

احواله والآخرة مخزن اقواله وافعاله ومن لا زراعة له في الدنيا فلا بضاعة له في العقبى ومن كان كذلك لابد ان تكون معيشته اذلالا ذا مسكنة بين اقرانه لتضييعه بذر الاعمال الصالحة في زمانه فاوقات العمر هي اوقات بذر الاعمال المطلوبة والمنافع المكسوبة كما قال صلى الله عليه وسلم اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وغناك قبل فقرك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك او كما قال فالحياة وقت امكان يتهيا فيها الاكتساب وتيسر جل الاسباب بخلاف الاموات فلا يسع ميتا ان يزيد حسنة في اعماله الصالحة او ينقص سيئة من اعماله الطالحة حسبما هو مذكور في محاله وما اقرب شبها مهمل اوقاته ومضيعها من زاحوط النمل فلا يزال في ايام تاتي جمع الاقوات غاديا رائحا بلا منفعة في كل الاوقات فاذا جاء عليه وقت البرد واشتدت به الحاجة مات كمدا بخلاف صغيره الذي يبذل جهده في جلب قوته وجمعه وادخاره اوقت حاجته واضطراره فكذلك الفرق بين من عرف مقدار وقت حياته فاستعملها وبين من جهلها فاهملها وكما قال صلى الله عليه وسلم الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فاهل الغفلة نيام مضطرحين تحت رواق غفلاتهم لا يوقظهم الا نداء الرحيل حين لا تنفعهم يقظة ولا انتباه بخلاف اهل اليقظة فانهم على حذر فلا يدركهم الرحيل الا وهم قد قضوا الوطر اخذوا بالحزم وربطوا يقينهم بالجزم فيا لهم من رجال ما ابطشهم من ابطال ثم قال رضي الله عنه (خذ من حياتك

الفناء ومن موتك البقاء ومن عيشك التقى فان خير الزاد التقوى واتقوني

يا اولي الالباب) هذه الجملة كالاستدراك ابيان الجملة التي قبلها يقول ليست الحياة كلها حياة ولا الموت كله موت ولا العيش كله عيش بل في كل واحدة نوعان فخذ لنفسك ارفعهما والبس من كلا الرداءين انفعهما فخذ من حياتك في الطاعة والتحرك فيها الفناء عن نفسك والخروج عن جنسك في معناك وحسك وخذ من موتك الاختيارية التي هي خروجك بالتخلي عن جميع اوصافك فناء والتحلي بجميع اوصافه بقاء وخذ من عيشك الروحاني بدلا عن الجسماني وما هو الا التقى كما قال

تعلى وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا اولي الالباب والتقوى كما قيل في حاصلها امتثال الاوامر واجتناب النواهي ظاهرا وباطنا وهى زاد الاقوياء لان الزاد على قسمين ما هو شان الضعفاء وما هو شان الاقوياء فاخذ الزاد المطلق الماخوذ من قوله وتزودوا طريق الضعفاء وقوله فان خير الزاد التقوى سبيل الاقوياء وهى في نفسها مراتب بعضها ارفع من بعض فالتزود بالاعمال الظاهرة شان اهل البداية فان زادهم المعين لهم على سفرهم وقطع مسافات سيرهم هو تعبداتهم بانواعها فتكون كالايجاد لروحانيتهم والتزود بانواع العلوم والمعارف في اثناء سيرهم مقو لامداداتهم ومهيج لسلطان وارداتهم التي ينتج منها الخروج عن السوى والانقطاع عن مواد الاهوية والدعوى كما تقتضيه لوائح الاشارة من لباب قوله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا اولي الالباب فالمعني بقوله تزودوا هم الابرار والمقصود ببيان ان التقوى هو خير الزاد هم خاصة المقربين والمخاطب بقوله واتقون يا اولي الالباب هم خاصة الخاصة منهم فالمرتبة الاولى هي مقام الاسلام فانه يقتضي بوضعه اخذ الزاد ليوم المعاد والثانية هي مقام الايمان فانه يحض على ادراك خير الزاد المنفجر من ينابيعه ثمرات الاستعداد والثالثة هي مقام الاحسان فانهم اهل نهاية الترقي وعرائس التلقي كيف لا وقد خاطبهم من مقام احديتهم التي خصوا بها وهى تقوى سواه كانه يقول لهم انما اريد منكم ان تتقوا ما سواي من الاغيار الكونية كائنة ما كانت هذا وان مضمون كلام المولف مصرح بالجمع بين الضدين الذي هو شان الاكابر تحليا فلا يدخل حضرتهم الّا من تحلى به لان حياة العارف فناء وموته بقاء تحسبهم ايقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال فحياته بالنعوت الروحانية وفناوه عن الصفات النفسانية وموته بالفناء عن الفناء فيكون هو عين البقاء ومن كان هذا حاله كانت عيشته راضية مرضية زاده تقوى خواص الخواص قوتهم شهود جماله ومسكنهم تحت ظل جلاله ليس لهم بغيره عبرة ولا لهم بما سواه خبرة ثم قال رضى الله عنه

(لا توطن نفسك على الامل ولا تستبعد قرب الاجل فعن قريب ستنتقل

خذ

خذ من طول الامل قصره ومن بعد الاجل قربه ومن قربه ما انت فيه تحمل) توطين النفس عن الهيمان في اودية امانيها محض ضلالة وذلك يفضي بها الى الاستغراق في طول آمالها لا محالة كما ان الاجل محدود والعمر معدود لكن وقت انقضائه مغيب عنا غير مشهود فلا يليق بالعاقل ولا يحسن منه ان يغفل عن وارده ولا ان يعرض بقلبه عن حاضره وشاهده فمنذ خرجت ايها الانسان من رحم الوالدة وايام عمرك متلاشية نافدة هذا والرسول الصادق صلى الله عليه وسلم يقول اذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا امسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وقد كان خليفته ابو بكر الصديق رضي الله عنه يوتر من اول الليل وعمر من آخره فاخبر صلى الله عليه وسلم بحاليهما فقال صلى الله عليه وسلم ان ابا بكر اخذ بالحزم وان عمر اخذ بالقوة فاخذ الصوفية من فعل ابي بكر هذا انه تحقق بمقام ما خرج منه نفس وايقن انه يعود اليه وهذا هو الحزم اذ هو احوط وحسب ان بقاء وتره الى آخر الليل مناقض لقصر الامل المطلوب وعمر رضي الله عنه راى معنى آخر يليق مقامه وعن علي رضي الله عنه وكرم وجهه انه جمع بين الامرين الحزم والقوة فكان يوتر اول الليل بركعة واذا انتبه صلى ركعة ضمها للاولى فيكون شفعا ثم تنفل ما شاء ثم اوتر وهذا مذهب له رضي الله عنه فانظر الى احوالهم كيف اشعرت بكمالهم رضي الله عنهم حدثوا انفسهم بقصر الامل مطلقا ولو في الطاعة فخذ من طول الامل حقيقة امره وما هي إلّا قصره وقلة قدره وخذ من بعد الاجل الذي يخيل لك تراخيه قرب هجومه ووروده وتحقق استعجاله وهائل وجوده وخذ من قرب الاجل الذي تحققت حصوله وعاينت مشهود وصوله مكان حلولك وغاية نزولك فطول الامل يبعث على نسيان الموت وبعد الاجل وهذا داء عضال فالعاقل لا يرضى لنفسه ان يقيم في بيداء آماله فيقع له التقصير في اعماله واحواله فغاية علل الدنيا الحرص عليها وطول الامل فيها حسبما ما هو مشاهد وقد حظ عليه الصلاة والسلام في غير ما حديث على قصر الامل الباعث على شهود قرب الاجل حتى قال تزهيدا في الدنيا

وترغيبا في الاخرى الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ولا يخفى ان الدنيا سجن فاما الابرار فسجن لهم وحبس عن النعيم الاخروي الجناني واما المقربون فسجن لهم من كمال مشهود حاضرهم والبقاء مع ناظرهم فالدنيا المقربين كالغير للابرار فالبار اذا مات وجعل في لحده تفتح له عن جنته ويكشف له عن منزلته منها والمقرب اذا مات الموت الاختيارية يرى ربه ويشاهده بسره حتى اذا قوي شهوده يخيل له انه عاينه بجهره وما ذاك الّا لقوة شهوده فيظن ان تلك الروية هي الغاية القصوى والامر ليس كذلك فتنعمه في هذه الدار وشهوده للحضرة العلية ووجوده له طرف يسير في جنب الحضرات الاخروية فاذا مات الموت الاضطرارية كملت مشاهدته وتحققت محاضرته فيتبين له ان شهوده وحضوره السابق بالنسبة لهذا اقل قليل فالمشاهدات الموجلة حق يقين بالنسبة للعجلة فعلم يقين او عين يقين نعم وقد يقع في قلب من لا ذوق عنده انكار لبعض ما تقدم آنفا في ذكر نفي حق اليقين عن مشاهد هذه الدار وصوابه صرف الامر لما يليق به وهو ان مقامات اليقين الثلاث علمه وعينه وحقه حاصلة عاجلة لمن اكرمه الله بها الآن ولكن فوق كل ذي علم عليم وفوق كل حال حال فمشاهدات الدنيا قلبية ومشاهدات الاخروية عيانية بصرية بما يليق كما يليق بخلاف هذه الدار فانها كالحلم بالنسبة لاحوال الآخرة فمشاهدات الدنيا اشراف بالنسبة الى الآخرة لانها استقرار وتمكين مدركة بالحواس كما قال صلى الله عليه وسلم الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا والنائم احواله كلها روحانية فاذا استيقظ يفقد ما كان عليه في نومه لانه كان حالة النوم يحسب ان ما عليه في نومه حقيقة الامر لا ريب عنده فاذا استيقظ وجد خلاف ما كان عليه حاله فيعلم انه كان نائما وان مشاهداته باجمعها طيف خيال فالدنيا كذلك حيها نائم ومستيقظها هائم فاذا مات انتبه من سنته واستيقظ من نومته فعاين الامر على حقيقته وسلك الى المقصود على طريقته فاذا زال على قلبه رواق حجاب الحياة حقق الشهود وعرف كمال الوجود فقفص الحياة سجن فمن مات عن بشريته شاهد بروحانيته ومن مات بجسمانيته حصلت

لهم

له المشاهدة بكليته اذ اهل الجنة لا تحجبهم جسمانية ولا يوصفون بروحانية فهم فيها روحانيون بظاهرهم وبواطنهم كالزجاجة شفافة ابدانهم غلبت عليها الروحانية عكس الحياة الا ترى ان الزجاجة تري ناظرها ما في باطنها كما تظهر له ما في ظاهرها فافهم وقد انجر بنا الكلام في هذا مع بعد مناسبته لكلام المولف لان العنان بيد الرحمان ويحتمل كلامه معنى آخر وهو ان خطابه مع سالك الطريق كانه يقول لا توطن نفسك ايها السائر على طول الامل ولا تجعل هجيراك اكتساب العلوم والمعارف ونيل المقامات العلية والاحوال والمشاهدات السرية فان كان ولابد فالتوطين والمقام على هذا الوصف هو الحذر منه والمنهي عندهم عنه والّا فصفاء الباطن من هذه المقاصد من اول الامر صعب لا يتم الّا لمن يسره الله عليه ولا تستبعد قرب اجل فتحك بل اعبد ربك حتى ياتيك اليقين فانك ستنتقل عن قريب من مقامك وتفوز بنيل مرامك وتكون بعد التنقل من اهل التمكين بعد ما كنت فيه من اهل التلوين وخذ من كل وصف ارفع احواله ومن كل مقام صفو زلاله واطو مسافات سيرك بعلو همتك في باطن سرك وانخ راحلتك في مستقر الارواح البرزخية في حضرة العندية عند مليك مقتدر وهذا قريب من حيث المعنى من قول الاستاذ العارف بالله سيدي عبد الرحمان التارزي رضى الله عنه وارضاه في الرحمانية لا تستبطش فتحك الخ فاستبطاء الفتح عند ارباب السير كطول الامل واستبعاد الاجل عند غيرهم وقريب من حيث الاشارة ايضا من قوله صلى الله عليه وسلم يستجاب لاحدكم ما لم يستعجل فيقول دعوت فلم يستجب لي فطلب العوام تحصيل وغرض الخواص توصيل لان مرادهم نظر المنعم والاستغراق في مشاهدات جماله والاستهلاك والتلاشي تحت ظلال جلاله وقصد غيرهم اسعاف مطالبهم مطلقا واجلها عندهم النعم وهي اعظم مآربهم فشتان بين من يخدم الملك لاجل نواله وبين من يخدمه لكماله فاجابة العوام مشروطة بتحقيق الظن وتيقن الاجابة كما قال صلى الله عليه وسلم ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة ومرادهم نيل ما فيه حظهم فكذلك اجابة الخواص معلقة بساق عرش

علو الهمة وتوحيد الوجهة كما يلوح اليه قوله تعلى انه سميع قريب وهو معكم اين ما كنتم وفي قوله امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض آالاه مع الله اشارة الى ما مر فالاضطرار مطلوب للعوام والخواص مع اختلاف متعلقه كما تقدم وكشف سوء العوام تفريج والخواص تدريج وقوله ويجعلكم خلفاء خاص من حيث المعنى بالخواص ثم رقى هممهم وعلاها فقال آالاه مع الله كانه يقول من احب شيئا كان له الاها وصار له هو عبدا ولا الاه معي فيطلب ولا غرض لعاقل غيري فيرغب فتحراني قبلة آمالك واجعلني وجهة احوالك

ثم قال رضى الله عنه (لا ترفعن امرك لمطلوب ولا تفتقرن لمرغوب سوى علام الغيوب) اي اذا اهملك أمر من الامور فلا ترفعن حاجتك فيه إلاّ الى مولاك ولا تفتقرن لمرغوب سواه لان طلبك غيره اعراض عنه وافتقارك الى من سواه فرار منه كيف وهو يقول يايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد كما قال واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه ورفع العبيد حوائجهم الى من ليست بيده جهالة وافتقارهم الى غيره غفلة وضلالة فالمخلوق ضعيف خلق من ضعف فقير نشا في الفقر والاستعانة بالضعيف علامة ضعف العقل والاستكانة الى الفقير غاية الجهل فمن لم يقدر على اغناء نفسه او دفع الضر عنها او جلب النفع لها كان في عجزه عن ايصال ذلك الى الغير اولى واحق وكان المستعين بالغير المفتقر اليه منخرطا في سلك قوله تعلى ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوي عزيز فكل مخلوق وان علت رتبته لا يزول عنه اسم الضعف والفقر ولا تحسن المسكنة الى مسكين والافتقار الى فقير بل الواجب الرجوع الى مورد الحوائج وفاطرها المتكفل بغائبها وحاضرها كما قال تعلى تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير وقال سبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون فلا تخلو الموجودات عن ان تكون ملكا او ملكوتا وقد اخبر القادر جل جلاله بانهما في يد قدرته وحينئذ فلا يطلب

تحصيلهما ولا دفعهما إلّا منه فمن لاحظ غيره نافعا وتخيل له كونه دافعا فما قدر الله حق قدره قال ابن عطاء الله لا ترفعن الى غيره حاجة هو موردها عليك وكلام المولف رضى الله عنه متجه مع من فتحت بصيرته واستقامت سريرته ولاحت على باطنه لوائح بعض التجلي بقوله اياك نستعين فكان يشاهد بطرف باطنه ان مورد الامور ومصرفها هو الحق جل جلاله فمن كان هذا شهوده لا يليق به شهود غيره حتى يفتقر اليه او يرجع في مهمات اموره اليه واما من كان محجوبا عن هذا الشهود ولم تشرق على سره شمس الوجود فحقه جلبها وعليه كسبها شيئا فشيئا حتى يتم له ذلك ويصح له ما هنالك وقد حكي عن بعضهم انه نزلت به حاجة فرفعها الى ملك من الملوك فسال عنه فاخبر انه في المسجد فدخل عليه فوجده يصلي فانتظره حتى يفرغ من صلاته ليسأله حاجته ويظهر له فاقته فلما فرغ من صلاته رفع يديه للدعاء وتضرع لله تعلى في كشف نوائبه ونيل مآربه فلما سمع الفقير تضرعه لمعت في قلبه بعض طوالع الهداية فقال في نفسه هذا الذي جئت مفتقرا اليه في غاية وصف الفقر الى الله باسطا يديه اليه فالواجب علي ان افعل مثل فعله واطلب حاجتي ممن يقدر عليها وانصرف فرآه ذلك الملك وبعث في طلبه فاوتي به فساله عن قصته فاخبره بها بداية ونهاية فامر الملك باكرامه وتكميل مرامه وزيادة فانظر رحمك الله الى هذا لما انصرف عن باب المخلوق الى باب الخالق قضى مآربه وكمل له مطالبه من غير سوال ثم ان المولف رضى الله عنه جعل غاية كل مطلوب ونهاية كل مرغوب هو الله تعلى علام الغيوب كما قاد القلب من عنانه ليعرفه بالحق

ويذيقه حلوان احسانه فقال (فانه يعلم السر منك وما يخفى ولا تاخذه سنة نوم ولا يغفى سبحانه ما اعظم شانه وما اوفى) اي فاحذر ان ترجع حوائجك لمطلوب سواه او تفتقر لمرغوب عداه في سرك وجهرك ظاهرك وباطنك لانه مطلع على كل مطلوب كفيل بكل مرغوب لا يعجزه شيء ولا يخفى عليه ولا يتفاوت في علمه فالسر والجهر سواء لديه قال تعلى ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء وقال لا تخفى

منكم خافية فكلامه رضي الله عنه شامل لاهل الظاهر والباطن ولاهل الباطن اقوى كانه يقول اياك ان ترفع بصرك الى غيره او تعلق سرك بمن دونه فانه يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور يغار ان يرى همم عبيده متوجهة لغيره او مراقبة لمرغوب سواه مع كمال قدرته وتكفله بمطالبهم وقيوميته بها واحاطته بكلياتها وجزئياتها قال تعلى يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون اي ما اسررتم بقلوبكم وجهرتم بالسنتكم واكتسبتم بجوارحكم الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير تنزه عما لا يليق بجلاله من قهرية النوم والسنة والاغفاء بل الجميع خلقه وفي يد قدرته وتحت سلطان عظمته منكشفة حقائقها ودقائقها علمه انكشافا يعجز عنه الادراك سبحانه من عظيم ما اعظم شانه وارفع قدره وسلطانه لا احد اوفى بعهده منه ولا احد احق بالحمد منه وهنا انتهى بنا الغرض في شرح الحكم والحمد لله على ما انعم والهم وقد حان الشروع في ابتداء تتبع ما ذيلهما به من الدعاء والمناجاة بقدر الاستطاعة وقلة البضاعة

فاقول ومن الله بلوغ المامول (يا من لا تكيفه الاوهام ولا تشابهه الاجرام ولا يخفى عليه صرير الاقلام اجذبنا اليك بخير تحية وسلام)

تراكمت على المؤلف انوار الشهود واشرقت على سره تجليات الوجود الناشئة عن التنزيه المتعالي تقدسا عما يقتضي التشبيه فناداه بلسان اضطراره مضطرحا على بساط افتقاره قائلا يا من تعلى وتنزه عن ان تحيط بصفاته الاوهام او تناله في ذاته مشابهة ومماثلة الاجرام وهو في تعاليه لا يخفي عليه ولا يعزب عنه صرير الاقلام مما جرت به جميع المقادير والاحكام اجذبنا اليك بسرعة القرب منك بخير تحية توجب الاكرام وسلام يقتضي مزيد الانعام وفي كلامه تلميح لقوله تعلى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير (يا من لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ولا يكافي بذنوبه ولا يرضاها اغفر لنا ذنوبنا السابقة وزلاتنا اللاحقة فانه لا يغفر الذنوب الا انت) هذه الجملة مناسبة لما قبلها كالجمل التي بعدها اي يا من لا يترك صغير الامور ولا كبيرها الا احصاه في علمه

واحاط به خبرا وكان تحت حكمه ومع علمه واحاطته به وادراكه له وكانت عبيدك مذنبين وفي طاعتك وخدمتك مقصرين كما قلت على لسان نبيك يا عبادي كلكم مذنبون الّا من عافيته فاستغفروني اغفر لكم علمت منا صدور الذنوب ولم ترضها فنسالك مغفرتها وستر سابقها فيما مضى ولاحقها فيما بقي واقفين على بساط الذل والاستكانة عسى ان تغفر لنا فانه لا يغفر الذنوب الّا انت لانك اهل التقوى واهل المغفرة تحيط بجرائم عبيدك علما ولا تكافيهم بالعقوبة عليها حلما يا حليم يا غفار وفي كلامه اشعار بان ذنوب العباد صادرة منهم بقضاء الله وقدرة وارادته دون رضاه بها كما قال تعلى ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم كما هو مذهب اهل الحق وفي هذا اشارة الى قوله تعلى وقالوا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الّا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا غير ان المولف اسقط واسطة احصاء الكتاب اكتفاء بشهوده علم رب الارباب كما هو مشهدهم رضي الله عنهم وهذه اشارات لطيفة تنظر لاسمائه تعلى من طرف خفي كما تقدمت الاشارة اليه وكذلك القول في بعض الجمل الآتية مما يصرح به فيها فافهم

(يا من لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار تداركنا بعفوك ولطفك يا عزيز يا غفار) اي يا من تعلى وتنزه عن ادراك ذاته والاحاطة بصفاته واحتجب عنا بلطفه وعزته وهو يدرك ابصار ابصارنا بقدرته تداركنا وانقذنا مما نحن فيه بعفوك الذي يقتضيه اسمك العفو والطف بنا لطفا يساعده اسمك اللطيف فان الانسان على وسم الذلة والمسكنة وفي خلقه ضعيف قد احتجبت عن الابصار بوصف العزة والكبرياء لطفا منك ورحمة بنا ولا يطيق تجليك الّا من قويته ولا يستطيع نظر وجهك الّا من خصصته وادركت الابصار بالخبرة التي اقتضاها اسمك الخبير وغفرت لعبيدك بعفوك وغفرانك يا ذا العزة التي لا تقاس والمغفرة التي لا يكبر عليها ذنب يا عزيز يا غفار وفي هذه الجملة اشارة لقوله تعلى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير كما تقدم التنبيه عليه نعم والمنفي من هذه الآية مدخول النفي وهو الادراك لا مطلق الروية

لانها قد تحصل في بعض الاوقات ولبعض الاشخاص من المخلوقات لا كل بصر يراه وفي بعض الحالات والادراك هو الاحاطة والتكييف وهما المنفيان اما مطلق المشاهدة بالقلب والروية بالبصر فلا باس بهما لمن اكرمه الله بذلك من خواصه والحمد لله وقد اكرم بهذا بعض من لا يشك في خبره لكن مع الجزم والقطع بنفي الاحاطة والتكييف والتشبيه وثبوت كمال التنزيه وما وجد مرموزا او مصرحا به في كلام الاولياء من الاخبار بالروية فمحمولة على ما تقدم لا للاحاطة التي لا تجوز عليه تعلى فحاشاهم من دعواها والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وقد كنت اوردت هذه الآية في مجلس المذاكرة مع الاستاذ رضى الله عنه لافهم بعض اسرارها منه فافاض من لججها بحارا واشرق علي من شموس باطنها انوارا مما يباح ذكره بين اهل السر ويصان من غيرهم حتى قلت له انه لاح لي في باطني صرف معنى اسمه اللطيف الى اللطافة التي هي ضد الكثافة اي لا تدركه الابصار بل والبصائر ولا تحيط به للطافته واحتجابه بقهرية عزته وهو يدرك الابصار من الابصار اي يدرك اشعة الابصار التي تدرك به المبصرات لانه خبير مطلع على خفي الاشياء كجليها وحسيها كمعنويها فلما ان سمع مقالتي فرح بها واقرها فما اوسع دائرته رضى الله عنه حدث عن بحر

عليه السري ولا حرج (يا من ظهر في الظواهر واستتر في السرائر استرنا بسترك الجميل وكن لنا بك عليك ادل دليل) اظهر الظواهر بظاهرية اسمه الظاهر فاشرقت عليها انوار الوجود ولولا ذلك لبقيت في ظلمة العدم وابطن البواطن بباطنية اسمه الباطن فبها استقام ملكوتها كما بالظاهر استنار ملكها فسال من الله تعلى ان يضع على ظاهره كنف ستره الجميل حتى لا يبدو منه قبيح وان يكون له في سيره في فلوات عالم الارواح ادل دليل فالمولف رغب في ان تكون دلالته مجردة عن الوسيلة حسبما يقتضيه شهود المؤثر دون الاثر الذي هو الغيبة عن السوى والاستدلال به عليه والرجوع منه اليه كما هو مشهد المجذوبين وخاصة المقربين والسالك وان كان امكن من المجذوب كما تقدم فامكنيته تثبت له بعد كماله وتحقق وصاله وخلوص حاله (يا من نور بصائر

العارفين

العارفين واظهر فيها السر الواضح المبين واشهدها المعارف والتحسين

اصلح منا السرائر ونور منا البصائر لكي نكون بك من المؤمنين)

البصيرة للعارف كالبصر للبصير وبنورها يشاهد المعارف ويتطلع خفايا اسرارها ويدرك المحاسن ويقتطف ازهارها وقد كان نور البصيرة مشاهدا اصلاح السريرة فطلب من الله الذي تفضل وتكرم على العارفين به بتنوير ابصار بصائرهم واظهار واضح بين اسرارهم واشهدهم معارفه الربانية والبسهم جلابيب علومه العرفانية ان يصلح عالم سريرته حتى تكون طورا للتجلي بعد كمال التخلي والتحلي وان ينور شمس بصيرته حتى تطيق الشهود وتتحمل امانة انوار الوجود وبذلك التاييد يامن تدكدك جباله وتقطع اوصاله كما وقع لموسى عليه السلام في اول حاله (اللهم يا من اخفى سره في القلوب واحتجب في غيبه عن

الغيوب وظهر لخلقه في كل مطلوب اشهدنا غيب حضرتك يا مرغوب)

سر الخصوصية منطو في غيهب البشرية ومحلها من الانسان قلبه وهو اي القلب عالم الشهود ومركز شموس الوجود وكان الحق جل جلاله محتجبا في ملكوت احديته عن ادراك خفايا الغيوب الملكوتية بحقيقة صفاته الباطنية تنكل عن تتبع الخوض في عالمها الفكر يكل عن ادراك ماهية الشمس نور البصر مع ظهوره واشراق نوره قال تعلى الله نور السموات والارض الآية وكما قال ابن عطاء الله الكون كله ظلمة وانما انارة ظهور الحق فيه وقال ايضا من عرف الحق شهده في كل شيء ومن فني به غاب عن كل شيء وقال انما حجب الحق عنك شدة قربه منك فما من شيء من الاشياء الا والحق فيه وهو مظهره ومبديه ولولا باطنيته ما ظهرت الخلائق ولولا ظاهريته ما بطنت الحقائق فهو ظاهر لخاصة خلقه في كل مطلوب مع احتجابه عن ادراك الاسرار له والغيوب فاحتجابه ناشئ عن شدة ظهوره وخفاءه عن الابصار لعظيم نوره فطلب منه ان يشهده غيب حضراته وان يكون هو مرغوبه في كل حالاته وفي هذا تلميح ما لقوله تعلى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ما وسعني ارضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن فافهم (اللهم يا من لا تحجبه

اكوان ولا يحويه مكان ولا يحيط به زمان اخرجنا من قيد الوهم والحرمان

وافتق بيننا وبينك حجب الادران حتى لا نشاهد غيرك يا رحمان) اي يا من تنزه عن ان تحجبه اكوان كونها ولا يحويه ويشتمل عليه امكنة اوجدها ولا يحيط به ازمنة اظهرها اخرج قلوبنا من قيود اوهام وجودها ولا تحرمنا من شهود موجدها وفتق رتق سحائب ذنوبنا وحجب عيوبنا حتى نغيب بك فيك ولا نرى غيرك استجب دعاءنا برحمتك يا رحمان وهذه الجملة قريبة من قول ابن عطاء الله ما حجبك عن الله وجود موجود معه اذ لا شئ معه ولكن حجبك عنه توهم وجود معه وقال لا كوان ثابتة باثباته وممحوة باحدية ذاته وقد ضربوا مثلا لهذه الاوهام التي تحجب القلوب عن مشاهدة علام الغيوب برجل بات في مكان واراد البراز فسمع صوت الرياح من كوة هناك فظنه زهير اسد فمنعه ذلك عن البراز فلما اصبح لم يجد هناك اسدا وانما هو الريح انضغط في تلك الكوة فما حجبه وجود اسد وانما حجبه توهم اسد فتامل هذا المثال العظيم فانه مطابق للواقع وهذه الجملة اتى بها لدفع توهم مضمون ظاهر ما قبلها

(الاهي انت الرقيب على احوالي وانا المسيئ بافعالي لا تكافني بسيئ

اقوالي انك انت السميع العليم) هذا واضح تضمن شهوده لرقيبه والاعتراف بالاساءة بين يدي قريبه والرغبة في ان لا يجازيه الا مجازاة الحبيب لحبيبه والتحقق بسماعه للاقوال وعلمه من خاق على

كل حال (الاهي انت الغني عن معاقبتي عما اسات وانا الفقير الى رحمتك

فيما اسلفت لا تواخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسرا) امر الله تعلى بالطاعة ووعد عليها بالاثابة ونهى عن الاساءة واوعد عليها بالمعاقبة وهو الغني عن طاعة الطائعين ومعصية العاصين كما قال والله الغني وانتم الفقراء وقال ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم والانسان في غاية الفقر في كلا الامرين لما يعود اليه من النفع او يرجع عليه من الدفع لان طينته عجنت بالضعف الذي هو اشد من الفقر كما قال الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل

من بعد ضعف قوة الآية فبدايته من ضعف ونهايته الى ضعف ولا ينفك ما بينهما عن ذلك فاذا رجع الى حقيقة امره وراعى حقيقة قدره اوجب له شهود صفاته التي انطوى عليها طول حياته من سماة العجز والاضطرار وازوم الذلة والمسكنة والانكسار فناداه من بساط افتقاره رافعا طرفه الى عرش غنائه واقتداره فلباه بالاجابة حين علم منه صدق الانابة وكذلك كان شانهم في دعائهم تقديم لوصافهم امام الحافهم بعد الثناء عليه والرجوع منه اليه كما قال انما الصدقات للفقراء والمساكين والمولف فعل كذلك فقدم بين يدي دعائه وصف سيده بالغنى لانه لا يسال الّا غني ثم ثنى بذكر وصف نفسه الثابت لها وهو الفقر الى رحمة الله تعلى في كل حال من طاعة اسلفها او سيئة اقترفها فاما افتقاره الى الرحمة في الطاعة فبالتفضل بالقبول لانها منه برزت واليه تعود هذا مع سلامتها مما فيه شوب والاكثر من الانسان عدم خلوص اعماله عن شوب احواله واما في المعصية فواضح امره جلي قدره ثم ذكر بعد ذلك ان سبب ارتكاب التقصير في الطاعة واقتراف المعصية هو عدم شهوده والغفلة عن وجوده فطلب منه ان لا يواخذه بنسيانه ولا يضيق عليه بعصيانه ولو ذكر العبد المسكين فاطره لوجده حاضره فاستحال ان يرتكب رذيلة حقيرة كانت او جليلة حسبما يقتضيه حال المراقبة وفيه اشارة للآية الكريمة وهي قوله تعلى لا تواخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسرا

(الاهي انت العالم بمرادي والموفق لرشادي فاكرمني هنا وفي معادي ووفقني لما تريده مني لا لما اريده لنفسي يا من لا توفيق الّا به) اعتراف بانه العالم المطلع على جميع مراداته والهادي لسبل خيراته فطلب منه ان يكرمه ويتفضل عليه في هذه الدار وفي معاده في تلك الدار وان يكرمه بالتوفيق الذي هو خلق القدرة على الطاعة والخذلان ضده لكنه طالب التوفيق الخاص الذي هو مهيع الخواص وذلك الهداية الى ان تكون حركاته وسكناته مسخرة بامر الله تعلى جارية في سبل مراده ومرضاته على منهاج التبري من حوله وقوته في كل اوقاته محفوظا من مرادات تودي الى نيل ما فيه حظ للنفس في المعنى

بالحس كانه يقول ادخلني مدخل صدق في مرادك واخرجني مخرج صدق عن مراد نفسي فهو كقوله فيما سبق ارادتك لربك حسنة وارادتك لنفسك قبيحة وفيه اشارة لقوله تعلى وما توفيقي الّا بالله

(الاهي انت المصور في تصويري والمدبر في تدبيري افني صورتي في

عز طاعتك وتدبيري في اختيار تدبيرك حتى لا يكون لي شعور مع

اقتدارك ولا تدبير لي مع تدبيرك يا مدبر يا حكيم) هذا منه شهود للقيومية التي تم بها التصوير وجرى على وفقها الاختيار والتدبير والمراد هنا بالتصوير ما يحدث عن حركات الانسان من صور افعاله ونتائج اعماله كما قال سابقا الاعمال صور قائمة وارواحها وجود سر الاخلاص فيها فانه لما حقق شهود قيومية الحق تعلى بها حال وجودها رغب منه ان يفنيها في عز طاعته عند ورودها ليكون خارجا في ذلك عن سجن اختياره وتدبيره الذي هو مظنة عجزه وتقصيره الى فضاء استسلام الامر لمن يخلق ما يشاء ويختار ومن يدبر الامر بالارادة والاقتدار حتى يغيب عن شعوره ويفيق في تدبير مدبره وتقدير مقدوره والمراد بالتدبير في وصفه تعلى هو ايجاد الاشياء واعدامها واقعة على وفق ارادته وتقديره وثبوت الحكمة في ابداعه وتصويره لانه المدبر لجميع الامور الحكيم في صنعه لكل مقدور وهذه تجليات وقعت له تارة فعلية وتارة وصفية وتارة اسمية تعلمها من مناجاته وهو يتقلب في نعيمها جميع اوقاته فتدبر (الاهي

انت الاول في ازليتك والاخر في وحدانيتك ونحن العصاة من خلقك

فاغفر لنا ما اقترفناه من التقصير في طاعتك وما اكتسبناه من عدم اتباع

سنة نبيك صلى الله عليه وسلم فانه لا يغفر الذنوب الّا انت يا الله) اولية الحق تعلى مضروبة في قدم ازليته بلا بداية وآخريته موصوفة بديمومية سرمدية احديته بلا نهاية هذا وان المولف راعى في هذه الجملة معنى آخر وذلك ان الاولية والآخرية وان كانتا مشعرتين بالقدم الازلي والبقاء السرمدي فانهما يتناولان اوليته في افتتاح كل امر واختتامه فهو الاول دخولا والآخر خروجا كانه يقول اللهم اننا علمنا انك الاول في كل شئ

والاخر

والآخر في كل شيء واننا موصوفون باقتراف المعاصي والآثام والتقصير في الطاعة وشكر الانعام وعدم اتباع سنة الرسول عليه الصلاة والسلام فاننا دعوناك واعترفنا لك لانه لا يغفر الذنوب سواك ولا يقبل الطاعة مع شوائب التقصير إلّا انت يا الله وهذا منه غاية التواضع والاعتراف لسيده كما هو شان اهل التحقيق ممن ثبتت له الخصوصية والمعرفة من اهل الطريق لانهم عرفوا انفسهم باوصافها فاثابهم ذلك معرفة ربهم باوصافه ولا يخفى ان ما تضمنته هذه المناجاة مما سلف وما ياتي من الاعتراف بالاساءة وارتكاب ما لا يليق باهل الانابة كما يعطيه ظاهره هو كذلك ولكن مع اعتقاد اعمالهم وخلوص احوالهم لانهم خاصته من عباده وخيرته في جميع بلاده حاشاهم من عدم الاتباع وارتكاب المخالفة والابتداع وهو محمول على ما يليق بهم من التقصير في الطاعة التي تحق ان تكون للحق لانه لا يقدر ان يطيعه احد حق الطاعة ولا ان يسلم احد من وقوع المخالفة البتة اقلها حسنات الابرار سيآت المقربين وابتداء هذه الجملة بذكر الاولية والوحدانية مناسب له ختمها باسم الجلالة كما فعل ليلتئم الوصف والاسم (الاهي انت المعطي لما منعت والمانع لما اعطيت فاجعل لي منعك ان اخترته لي عطاء وعطاءك لي ان اخترته منعا والهمني حقيقة فهم معانيهما لاكون منك على بصيرة فيما ترضاه مني لا فيما ارضاه لنفسي يا معطي يا مانع) الناس في حال العطاء والمنع اقسام ثلاثة فقسم يشاهدون ظواهر الامر عطاء ومنعا دون بواطنها وهم العامة وقسم يشاهدون البواطن فقط وهم الخاصة فيرون العطاء منعا والمنع عطاء وقسم يرون ظواهرها وبواطنها وهم خاصة الخاصة فيفصلون في ذلك فان كان من الحق فهم به راضون عطاء ومنعا حيث اختاره لهم قنعوا به وان كان من الخلق مع عدم رضى الحق به فلا يرضون به ولا يذوقون له لذة ولا يحسبونه إلّا منعا وان كان عطاء في ظاهر امره والمولف بصدد هذا الاخير لانه بعد ذكر حال الخاصة بقوله انت المعطي لما منعت والمانع لما اعطيت شهودا منه المنع في عين العطاء والعطاء في عين المنع

ذكر حال خاصة الخاصة بقوله اجعل لي منعك ان كان بوجه اختيارك له ورضاك به هو عطائي واجعل عطاءك لي ان اخترته ورضيته منعا وامنن علي بفهم حقيقة كلا الامرين لارضى بما تقدره من الوصفين فان الخير فيما توقعه وتبدعه فالخير فيما ترضاه لنا وتختاره لا فيما نرضى به ونختاره لانفسنا لاننا لا ادراك لنا بمغيبات الامور بشيء وهذا كقوله فيما سبق ربما اعطاك فمنعك وربما منعك فاعطاك فصورة العطاء والمنع بمجردها لا اثر لها لانها قد تكون على غير ظاهرها فيكون العطاء منعا بحسب ما يترتب عليه من المفاسد وقد يكون المنع عطاء بحسب ما يترتب عليه من المصالح وقد يكون كل على ظاهره فرغب فيما يقتضيه باطن الحال يا معطي اعطنا ما يقتضيه اسمك المانع ان رضيت لنا ذلك نعم وفي كلام المولف رضي الله عنه خفاء وذلك انه علق العطاء والمنع على الرضى والاختيار مع ان مراده بان المنع نفسه عطاء فهو مع الرضى والاختيار عطاء على كل حال ومع عدمه منع كذلك وفي الحقيقة المانع والمعطي هو الفاعل المختار غير ان مراد المولف بالاختيار هنا الرضى كما سبقت اليه الاشارة وقولي في القسم الاخير فان كان من الحق الخ صريح في ان مقام هولاء اشرف وهم بالله تعلى اعرف لاتساع نظرهم وشهودهم وبقائهم في وجودهم فلم يحجبهم الحق عن الخلق ولا الخلق عن الحق بخلاف القسم الثاني فان وحدتهم به غيبتهم عن غيره ومرجع الكل في الحقيقة الى شيء واحد وهذا غاية في التفويض وصرف الامر الى الله تعلى الا ترى انه دار مع الحق حيث دار فآل امره ان كان مراده وجه الله لا غير فلا عطاء ولا منع فافهم

(الاهي انت تعلم حقيقة نفعنا في الضر وضرنا في النفع انت الضار لمن نفعته والنافع لمن اضررته لان ضرك في عين النفع ضر ونفعك في عين الضر نفع اكشف لنا حقيقة سر ضرك ونفعك حتى نعلم ضرك في النفع ونفعك في الضر يا ضار يا نافع) السراء والضراء بمجرد ظاهرهما لا اثر لهما وانما المنظور اليه هو باطن امرهما وحقيقة سرهما فقد تكون الضراء سراء ان كانت تقود صاحبها المبتلي بها الى الرجوع لله تعلى

والتوجه اليه والاقبال بوسم الاضطرار والافتقار له عليه فما هذه الضراء في الحقيقة بضراء بل هي محض سراء وقد تكون السراء باعتبار ما تؤول اليه ضراء ان افضت بمن اصيب بها الى حال الغفلة عن الله والرغبة فيما يفنى والاعراض عما به يستغنى حسبما يقتضيه حال من ابتلى بالنعم فالنعمة قد تكون نقمة كما قال بعض الصحابة للرسول صلى الله عليه وسلم متعجبا او ياتي الخير بالشر قال نعم ياتي الخير بالشر وقال تعلى وبلوناهم بالحسنات والسيآت لعلهم يرجعون وقال سنستدرجهم من حيث لا يعلمون واملي لهم ان كيدي متين هذا والانسان في حال السراء اخوف منه على نفسه في الضراء لما يلازم الضراء من الاضطرار والانكسار والذلة والافتقار وبعكسها السراء قال تعلى واذا انعمنا على الانسان اعرض ونئا بجانبه وكانت حقيقة الامر راجعة الى الله تعلى العالم بالحقائق وما فيه نفع الخلائق فطالب منه ان يفتح له الفهم عنه في النفع والضروان يكشف له عن حقيقة الخير والشر فيشاهد حقيقة النفع في عين الضر والضر في عين النفع وان يخرجه من قيد نظر صورتها المفضي الى خفاء ضرورتها كما يقع لمن حجب عن بواطن الامور وحرم فهم حقائقها جعلنا الله ممن علم وفهم ولا حرمنا بمنه وكرمه انه جواد كريم وهذه الجملة قريبة من الاولى (الاهي انت المحقق في سر قلوب اوليائك ما تحقق منك لهم حتى اخرجتهم على الوسائل اليك واستدلوا بك عليك وتوسلوا بك اليك اعظم فينا الدليل حتى نعرف ما منا اليك وافننا عن الوسيلة التي اوصلتنا لديك حتى نكون بك واليك يا دليل الحائرين زدني فيك تحيرا انت دليل الحيرة دلني على حيرتي فيك حتى اشاهد حيرة من سواك ولا نعرف الحيرة إلا منك اليك) تقدم في غير ما موضع ذكر الاستدلال بالاثر على الموثر وعكسه فالاول حال السائرين والثاني حال المجذوبين وذكر هنا حال اهل التحقق بشهود الوحدانية والفناء على الوسائل الصمدانية المستدلين به عليه والمشيرين به اليه علما منهم ان كل شي هالك إلا وجهه فتحققوا بذلك وغرقت قلوبهم في

لجج ما هنالك فغابوا عن الدليل واستغنوا بالجليل فطلب من الحق جل جلاله ان يزيده في الغيبة والفناء عن الوسائل وان يعظم في سره احدية الدلائل لكى يعرف ان جميع ما هو صادر من الخلق حقيقة ايجاده من الحق كما قال ابن عطاء الله من عظيم فضله عليك ان خلق ونسب اليك فما افعالنا الّا خلقه والله خلقكم وما تعملون والدلائل التي تدل عليه هو الذي دل عليها فكيف يكون الاول آخرا والآخر اولا كما هو حال المحجوبين بالاثر عن موثرها المستدلين بالادلة على ناصبها وان يجعله ممن استدل به عليه ورجع منه اليه حتى يكون ممن واجهته انوار التجليات الذاتية بعد ما غمرته التجليات الصفاتية فتشتد في ظلمات العجز عن ادراك كنه حقيقة مشهوده حيرته والمراد بالحيرة هنا المقبولة التي هى ناشئة عن عظمة الشهود وتلاشيه باختطاف انوار الوجود فيطلب مشاهدها المزيد والعجز عن الادراك هو عندهم غاية ما يوصل اليه من التوحيد فيقول عند ذلك يا دليل الحائرين زدنى فيك تحيرا كما روي عن ابى بكر فحيرة الحائرين فكرة في المخلوقات ثم في الاسماء ثم في الصفات والحيرة التي طلب المزيد منها فيه تعالى بالعجز كما تقدم والمولف طلب ايضا قوة الحيرة فيه حتى يغيب عن الحيرة فيما سواه ويعلم ان الحيرة التي انعم بها عليه منه بدات واليه رجعت فانظر رحمك الله الى كمال تحققه وعظم تخلقه كيف جعل الحيرة هنا حالا يجب الترقي منه ووصفا لا ينبغى الانتقال عنه وذلك انه طلب ان يغيب عن الحيرة راسا فلا يشاهد لها معنى ولا حسا الّا ما هى من الحق الى الحق خروجا عن نسبة نفسه وسائر الخلق فافهم (يا من بسط في قلوب العارفين نور صفاته واشهدهم بذلك جمال جلاله وغيبهم عن الاحساس في حضرة كماله ابسط في قلوبنا سر احسانك واشرح صدورنا لعلم اقدارك واشهد ارواحنا معرفة تجلياتك وافننا عما اشهدتنا بقرب ذاتك حتى لا نرى ولا نرى في ذلك) اشراق انوار صفات الحق في عوالم قلوب اهل المعرفة به موجب لشهود الجمال والجلال الموجب للفناء

في

في ذلك والغيبة بالكمال على كل حال فطلب بسط سر احسانه ليشاهده بحقيقة ايقانه كما طلب انشراح الصدور لعلم سريان القدرة فى باطن كل مقدور وان يشهد الارواح معرفة انوار التجليات وان يفنيه بالغيبة عن تلك المشاهدة بقرب الذات فناء يغيبه عن الروية منه اوله فينعدم فى وجوده ويفنى في شهوده نعم وعين القرب منه هو عين البعد عنه فكلما زاد المرء من الله قربا ازداد بالمعرفة بعدا مثاله ناظر الشمس في حال بعده عنها وعدم ابصار قرصها له ادراك لنورها فاذا واجهها وقابلها يغيب عن ادراك نورها الذي كان يستطيعه قبل ذلك بعظيم ما يجده البصر باشعة انوار ذاتها كما هو مشاهد والقرب والبعد هنا بعد المناسبة بين العبد وربه والقرب المناسبة فكلما زكت صفاته النفسانية حصل له القرب منه بقدر ذلك واتصف بصفاته الرحمانية حتى تفنى صفاته الذميمة في صفات مولاه الحميدة فيغيب في ذلك فلا يرى لنفسه ولا لغيره عينا ولا اثرا كما هو شان من زالت عنه صفات شي كان يعرفه بها ويجده اتصف بصفات اخرى فيتيه في اودية الحيرة ثم يحير في حيرته ثم يفنى عن الحيرة اصلا ويوضح هذا ما يقع لاهل الفناء الاول من الاشارة الانانية والانية والهوية حيرة منهم في اودية الشهود واصطلاما بانوار الوجود وهذا قريب من كلام ابن عطاء الله حجبه عنك شدة قربه منك

وقد مر طرف من هذا المعنى فى اول الكتاب (يا من اوضح الطريق للسائرين وسلك بهم سبيل المهتدين واوقد لهم نورا يمشون به على اليمين وجذبهم بالسير اليه بنور اليقين واوصلهم درجات الكاملين حسن لنا الطريق لنهتدي بك اليك واسلك بنا مسلكا يرضيك واوقد لنا نورا في قلوبنا يدلنا عليك واجذبنا جذبة صمدانية نفقد فيها ما يقطعنا عنك) وضوح الطريق الموديه لغاية التحقيق للسائرين على متن الاستقامة بالله تعلى وضع اقدام قلوبهم في سلوكها بالهداية اليه فسلكوا في جادة السبيل وما عقهم قال ولا قيل انعم عليهم بوقود مصابيح انوار الايمان فمشوا على ضياءه في سبل مرضاته آخذين ذات اليمين حتى لاح على

اسرة قلوبهم لوائح اليقين فانجذبوا بالسير اليه واختطفوا بالحضور لديه فصارت درجاتهم وصالية ومقاماتهم كمالية طابت انفاسهم وغابت احساسهم انقضى رحيلهم واستراح دليلهم دلالتهم اليه فوقية وتنزلاتهم لديه حقية فرغب الراغب من الله تعلى مثل ما به وجهوا من تحسين الطريق وتيسيرها بزوائل عوائقها وتعسيرها ليكون سلوكه فيها على وفق رضاه مغضيا عن كل ما سواه عالم قلبه مملو بانواره وهيكل سره موشح باسراره يمشي به اليه ويستدل به عليه فينجذب انجذابا صمدانيا وينفقد في صمدانيته انفقادا فردانيا يغيب به فيه عن عينية الشهود حتى لا يوسم بفقد ولا وجود فيسلم من الاغيار الناشئة من مشاهدة الآثار وفي كلامه

كما علمت لف ونشر مرتب فتامله ان شئت (الاهي كما شرحت

صدور المحبين وفسحت قلوبهم حتى اتسعت لنور رب العالمين اشرح صدورنا واملاها بنور اليقين) انشراح الصدر اتساعه وانفساحه وتهيئه لقبول ما يلقى اليه ويلهم به فيستنير بعد الظلام ويقبل بعد الادبار وينتبه بعد الغفلة كما قال صلى الله عليه وسلم اذا دخل النور القلب اتسع وانفسح وانشرح قيل فهل لذلك من علامة يا رسول الله قال التجافي عن دار الغرور والانابة لدار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله او كما قال فان دخول النور في القلب اوجب فتح البصيرة واتساع ميادين السريرة فظهر حقها من باطلها فاتبع الحق وتجافى عن الباطل وبادر الاستعداد ليوم المعاد فظاهر الحديث واضح التصوير وباطنه ان من دخلت قلبه انوار اليقين وانتظم في سلك اوليائه المتقين تجافى بالتباعد عن غرور الاغيار الكونية باسرها ورجع متوجها لتلقى التنعم بالحضرات الرحمانية علما بانها جنة الخلد الروحاني ومحل التجلي الاحساني فاستعد الموت الاختياري قبل وجوده وتهيا له قبل وروده باخلاص اعماله وتزكية احواله فاذا جاءه اليقين وجده فيه من النازلين فتتلقاه واردات المواهب والاجلال مبشرين له بغاية الأمان فيزف لمقامه كالعروس زكية منه لاحوال والنفوس منادى عليه يا ايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي

وسبك الجملة ظاهر (الإلهي سيآتي اوحشتني منك وحسناتي حجبتني

عنك انسني بك مما اوحشتني واكشف لي ما عنك حجبتني) نظر المرء الى ما برز منه من سيآت اعماله وقبيح احواله يقتضي الوحشة والفرار والمذلة والانكسار ونظره الى ما صدر منه من الحسنات وتردى به من جميل الصفات يقتضي الانس به والركون اليه والسكون له والاعتماد عليه والاولى في حقه الانصاف وهو ان لا يزائل الخوف قلبه ولو في الطاعة ولا يباين الرجاء لبه ولو في المخالفة فيكون خوفه باعثا له على مراقبة فاطره فتقع الهيبة والحياء والاجلال لناظره ويكون رجاوه من بساط احسان الله اليه وتفضله بالتكرم عليه من غير مراعاة لما يكتسبه خيرا او شرا فيكون في خوفه راجيا وفي رجائه خائفا فلا حسناته ترجيه ولا سيآته تخوفه بل يخاف الله ويرجوه مطلقا والا فنظر السيآت يوجب الوحشة والحسنات يوجب العجب وكلاهما يجب الترقي عنه والانتقال منه اما الاستيحاش من السيآت فواضح واما العجب بالحسنات فبسبب نظره اليها واستحسانه اياها واعتماده ونسبة صدورها منه فيقع له بها الاعجاب وهو اشد حجاب ابن عطاء الله حظ النفس في المعصية ظاهر جلي وفي الطاعة باطن خفي بل ربما كان للانسان عند تنصله من المعصية وندمه عليها احسن حالا منه عند فعل الحسنة كما قال ابن عطاء الله رب معصية اورثتك ذلا واحتقارا خير من طاعة اورثتك عزا واستكبارا والمولف طلب من الله ان يونسه به حتى لا يستوحش من شيء وان يكشف له عن انوار وجهه حتى لا ينحجب بشيء كما تضمنه آخر الحديث من قوله صلى الله عليه وسلم ان لله سبعين او سبعين الف حجاب من نور وظلمة لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه والمراد بالسبحات اشعة انوار الجلال والجمال

(الاهي سبقت السوابق وجف القلم بما هو لاحق واست اعلم اي

الفريقين ارافق) الامر كما قال مغيب محجوب استاثر بعلمه علام الغيوب سبقت سوابق الازل والخاتمة على وفق ما سبق في الحال الاول وصل

علم ذلك للحفظة الكرام عند نفخ الروح في ظلمات الارحام كما قال صلى الله عليه وسلم السعيد من سعد في بطن امه والشقي من شقي في بطن امه كما يدل له سؤال الملك ما الرزق ما الاجل اشقي ام سعيد فيخرج الجواب بما هو مسطور في محكم الكتاب وقال صلى الله عليه وسلم جف القلم بما هو كائن وقال جفت الاقلام وطويت الصحف الى غير ذلك ومع هذا فالمرء خائف عليه مآل امره ومنتهى قدره هل الى جنة عالية او الى نار حامية حسبما تقتضيه خاتمة امره وحيث كان ذلك كذلك فامر الخاتمة مخوف يحذره العقلاء ويغفل عنه الحمقاء والمولف اهتم بشانه اي اهتمام واعترف بجهل من يوافق من الاقوام تواضعا منه واستكانة كما هو شانهم رضى الله عنهم وبآثارهم تبديها انوارهم سعدوا واسعدوا وشهدوا واشهدوا فجازاهم الله من خيرة خيرا (الاهي حجبني قربك وابعدني قربي منك كيف لا احجب وانت القريب ام كيف لا اكشف وانت الرقيب) شدة القرب يستدعي قوة الحجب حتى يغيب عن الادراك فلا يرى بعدا ولا قربا كما قال ابن عطاء الله حجبك عنه شدة قربه منك سبب ذلك قوة ظهوره واشراق شموس نوره حتى يغيب مشاهده في الشهود بالشهود عن الشهود ويفنى في الحضور حتى يذهل عن احساسه بالكلية لان الحضور مع الحق تعلى يقتضى الغيبة عما سواه فاذا جاء الحق زهق الباطل اي فاذا جاءت تجليات الحق واشرقت شموسها على الخلق زهق باطلها فلذلك كانت شدة قرب الحق حجابا الا ترى ان جميع ما يقرب منك يشتد احتجابه عنك كما تعلمه من الامور التي ركبها الله فيك غابت عنك مع انها لم تفارقك منذ خلقت كالروح والسمع والبصر والشم وغير ذلك مما هو مركب فيك ولا ادل لك الى حقيقته الا بواسطة علم اليقين وكذلك حاجب العين احتجب عنها بشدة قربه منها وقد ضربوا للقرب الحاجب مثلا برائحة المسك وهو يشمل حجب البعد وذلك ان المسك قبل دنوه منك تعلم طيب ريحه من غير ادراك فاذا دنا دنوا متوسطا شممته وادركت رائحته فاذا اشتد دنوه منك ذهبت عنك رائحته واحتجبت بها عنها

مع وجودها فالمحجوب بالذنوب والعيوب سقم قلبه ورمد بصره وانسداد خياشمه هي التي منعته من الادراك والمشاهدة كما قال البوصيري

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ... وينكر الفم طعم الماء من سقـــم

وقوله « ومن اين ترى الشمس مقلة عمياء » والمحجوب بالقرب منعه امتلاء حواسه باوصاف قريبه من ادراكها حتى غاب عن شهودها ووجودها فافهم وتتبع كلام المؤلف كانه يقول شدة قربك مني اوجب لاكواني تلاشيا وذهابا وعظيم دنوك مني الزمني عجزا وحجابا فشهود نفسي يوجب بعدا فكيف لا احجب وانت قريبي ام كيف لا اكشف لك في جميع احوالي وانت المطلع علي ورقيبي (الاهي انت اقرب مني الي وانا ابعد منك اليك كيف اقرب وانا بعيد منك ام كيف ابعد وانا قريب منك اليك) هذه الجملة داخلة من حيث المعنى في الجملة التي قبلها بلصقها كالاستدراك لها كانه يقول الاهي قربك مني اشد من قرب نفسي الى نفسي كما قال يا موسى ان اردت ان اكون اقرب من نور بصرك الى عينيك ومن كلامك الى لسانك ومن سمعك الى اذنيك ومن روحك الى بدنك ومن وسواس قلبك الى قلبك فقل لا اله إلّا الله او كما قال فالاقربية المشار اليها في هذا الحديث لا يستطاع ادراكها ولا تكيفها هي قرب النوافل الذي قال فيه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم لا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الحديث يرشد الى هذا المعنى المذكور ففي حال تحقق التجلي الحق اقرب من نفس الانسان اليه وفي حال توجه الامر او وجود هذا الهيكل البشري هو ابعد منه اليه اذ لا مناسبة بين الحق والخلق فهو فيهم اقرب منهم اليهم وهم مع ذلك ابعد منه اليه كما قال ابن عطاء الله لا يخرجك من الوصف إلّا شهود الوصف فشهود اوصافه يخرجك عن اوصافك وشهود اوصافك يبعدك بالحجب عن اوصافه كما تضمنته الآية الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا ا فضياء الشمس هو الذي ابدى الظل وبوجود الظل ظهر ضياء الشمس والبعد والقرب غير مدركة

حقيقتهما فاذا انتشر ضياء الشمس ذهب من اصله واذا احتجب ظهر الظل فالشمس عبارة عن انوار الجلال والجمال والظل عبارة عن الآثار الكونية ففي حال اشراق شمس الحق على ظلال الخلق تذهب مكوناتها وتضمحل ذواتها واذا غلبت كثافة الآثار حجب بصر البصيرة عن مشاهدة الانوار فيكون في الاول الحق اقرب منه اليه وفي الثاني ابعد منه اليه فقربه مضروب في بعده وبعده في قربه فلا القرب ينافي بعدا ولا البعد ينافي قربا فالحق اقرب منهم اليهم شهودا جمعيا والخلق ابعد منه اليه شهودا فرقيا فالجمع يقتضي الفناء في القرب بالقرب عن القرب والفرق يقتضي ضد ذلك وقد مر طرف من هذا ويأتي ما هو قريب منه والمؤلف رضى الله عنه بصدد الاعتراف للحق بالاقربية الى الخلق بعظيم صفاته وجميل تجليات ذاته وبان الخلق ابعد منه اليه لا بعدية وصف الحادث من القديم وعدم ثبوتها امام وجوده وظهورها عند تجليه وشهوده فاظهر العجز عن القرب اليه مع تحقق بعده عنه وعكسه لما مر ان القرب والبعد امور نسبية والّا فلا قرب ولا بعد فلا وجود لشيء سواه كل شيء هالك الّا وجهه فافهم (يا من لا تكيفه الاوهام ولا تحيط به الافهام ولا تحجبه الاجرام اكشف لنا حجب انوارك وافتق لنا رتق اسرارك لكي اشاهد من غرائب عجائبك ما يبهر عقولنا ويغمر وجودنا ويفنينا بنا عنا يا رحمان الدنيا والاخرة ارحم تذللنا واقبل تنصلنا واقل عثراتنا واصفح عن عيوبنا يا مقيل العثرات يا مجيب الدعوات يا كاشف الكربات يا قريب يا الله) تضمنت هذه الجملة ما تقدم له قريبا وزيادة نشات له من شهود الاقربية التي يعجز عن ادراك كنهها البشرية فصرح بعجزه كسائر الخلق فقال يا من عجزت العقول والاوهام عن ادراك ذاته وتكييف صفاته وتعلى عن ان تحجبه عن ظهوره لخلقه اجرام اوجدها اكشف عن ابصار بصائرنا حجب انوارك بالخروج عن الوقوف معها والاكتفاء بها عنك وافتح لنا رتق اغشية اسرارك ليكون شهودي بهاءك ونوري سناك فتبدو لي من ذلك العجائب وتظهر لي مغيبات

الغرائب فاشهدها شهودا يبهر العقول ويذهلها ويغطي هيكل الوجود ويسترها ويفنينا شهودنا ايَّاك عنا يا من عمت رحمانية الدنيا والآخرة ويشمل الكل ظاهرا وسعهم فضلها ارحم بحنانك تذللنا وتضرعنا اليك واقبل بجودك وكرمك انفصالنا من ردي احوالنا واقل بعفوك عثراتنا فلا تواخذنا بها واصفح بحلمك عما علمته من عيوبنا فلا تفضحنا عنها يا من شانه ان يعفو ويقيل ويجيب دعوة الداعي اذا دعاه واعف عنا واجب دعاءنا فانك تسمع نداءنا يا من بقدرته وصمديته يكشف الشدائد ويدفع معضل المكائد فرج كرباتنا وارحم عبراتنا يا قريب لعبيده يا رحيم باهل توحيده يا الله وفيه من التواضع ما مر والانوار والاسرار التي اشار لها اولا هي حجب المقام الثاني والثالث المشار لها في حديث السبعين حجابا لا انوار التجليات فافهم (الاهي منك استنارت الانوار واستقامت الاسرار واستبانت الاقمار في قلوب عبيدك الاحرار انر قلوبنا واصلح اسرارنا واجل اقمارنا حتى اشاهدك في الجهر والاسرار) اعتراف للحق وشهود له وترق مما تضمنه ما قبله بان الله تعلى هو الذي اوقد مصابيح انوار القلوب وبه استقامت اسرار علومها ومعارفها في اصداف الغيوب وبه اتضحت اقمار الشواهد القلبية في اكنة افئدة عبيده اولي الحرية حتى تحرروا من شوائب الرقية لغيره من الاغيار الكونية وطلب منه انارة قلبه بعلومه واصلاح سريرته بواردات فهومه واجلاء اقمار شهوده من سحائب الاكدار حتى يصير جميع وقته صحوا كالنهار لكي يشاهد ربه بحدقة بصيرته شهودا يستوي فيه جهره والاسرار يذهب فيه مقتضيات التلوين برسوخه في التمكين (الاهي ذكرك سبق ذكري وذكري سبق ذكر نفسي وذكر نفسي الحادثة اشهدني ذكر صفاتك القديمة اذكرني بذكرك السابق القديم لكي اذكرك بذكر نفسي الحادث العديم) ذكر الحق تعلى عبيده قديم سابق وذكر عبيده له حادث لاحق فلولا سابقية ذكره لهم في حضرة قدسه ما كانت لاحقية ذكرهم له حتى حصل لهم الانس به فاذكروني اذكركم فان اذكركم في

الحقيقة مقدم على اذكروني كما تقدم كما قال ابن عطاء الله انت الذاكر من قبل الذاكرين وانت البادي بالاحسان من قبل توجه العابدين وانت الجواد بالاعطاء من قبل طلب الطالبين وانت الوهاب ثم انت كما وهبتنا من المستقرضين وقال ابو يزيد رضي الله عنه غلطت في ابتداء امري في اربعة اشياء توهمت اني اذكره واعرفه واحبه واطلبه فلما انتهيت رايت ذكره سبق ذكري ومعرفته تقدمت معرفتي ومحبته اقدم من محبتي وطلبه لي اولى من طلبتي فاذا كانت له الاولية في ذلك لم يبق للعبد وسيلة يتوسل بها سوى فضله وعن الجنيد يا ذاكر الذاكرين بما به ذكروه ويا بادي العارفين بما به عرفوه ويا موفق العابدين لصالح ما عملوه من ذا الذي يشفع عندك إلّا باذنك من ذا الذي يذكرك إلّا بفضلك وقال بعضهم ملكك ثم اشترى منك ما ملكك ليثبت لك معه نسبة ثم استقرض منك ما اشتراه ثم وعدك عليه اضعافا ثم ان ذكر الانسان في نفسه سابق لذكر نفسه لانها في سجين غفلاتها واغطية شهواتها تلعب بها رياح الهوى لم يتبين لها الرشد من الغي لكونها متدنسة بادناس بشريتها قد اكتسبت من ذميم الصفات ما انساها ما كانت فيه قبل من كمالاتها القدسية فلا يزال الذاكر يردد على قلبه اسم مذكوره ويفرغ وجنات سره في ترب محضوره حتى ينفحه ببعض نفحاته الرحمانية ويسقيه ببعض خمراته الاحسانية فغيب النفس به في سكرها وتبيء طائعة بذكرها فتصل بذكرها الى شهود صفاته القديمة بعد فنائها عن جميع صفاتها الذميمة فطلب من الله تعلى ان يذكره بسابق ذكره فتتحرك اغصان شجرته بلاحق ذكرها وهذا يدل على ان الوارد مقدم في الوجود على الورد وهوكذلك اذ الوارد انما ياتي من حضرة قهار فلا يصاحبه شيء من الاغيار وبذلك تنقهر النفس ويعلن بالسمع والطاعة المعنى والحس فتستنير دائرة فلك القلب بانوار

اليقين وتلوح على ثغورها سيماء المتقين (الاهي انت الصاحب في السفر

والرفيق في الحضر اجعل صحبتي بعبوديتك معمورة ورفقتي في ربوبيتك مغمورة) صحبة الحق تعلى ومرافقته التي طلبها في سفره وحضره هي

بالحفظ

بالحفظ والاحاطة والمعية والمشاهدة والانس والجمعية حتى يكون في صحبته له لازم العبودية بالتادب معه والمراقبة له والانس به والاعتماد عليه والالتجا اليه زاده في سفره السري المعنوي تقوى سيده ساعيا في مرضاته لا يراعي لنفسه نصيبا ولا حظا ولا يطمعها فيما تلتفت اليه ولا يبتغي عوضا عمرت ايام سفره اليه بحضوره لديه كما انه في حضره لازم الارتفاق به شهودا دائم الحضور معه وجودا اغمرته تجلياته الربانية وتنزلاته الرحمانية غائبا عن السوى خارجا من الهوى هذا معنى ما طلبه لا السفر والحضر الحسيان لانه اخذ الاشارة الى هذا المعنى من قوله صلى الله عليه وسلم اللهم انت الصاحب في السفر والرفيق في الحضر والخليفة في الاهل والمال فالسفر ثلاثة اسفار احدها السفر المعهود من محل الى محل كما يقتضيه ظاهر هذا الحديث الثاني السفر في هذه الدار الدنيا في مسافة العمر الى الآخرة كما قال صلى الله عليه وسلم الناس في هذه الدار سفر واول منازلهم القبر او كما قال الثالث ما نحن بصدده وهو سفر القلوب لعلام الغيوب على قانون السير والسلوك الاصطلاحي لارباب البداية وتنوعات التجليات لاهل النهاية وهي التي طلب المولف منها المزيد لانها من كمالات التوحيد التجريدي الروحاني

الاحساني (يا من سقى قلوب العارفين ماء محبته والهم اسرارهم اتباع

اوامره ونواهيه واشهدهم قرب جلال عظمته غيب ظواهرنا في عز ما ترضاه

واين ما تكرهه منا بزوال اصله لاكون بك واليك في جميع ما تعنيه)

امدادات الله تعالى وفيوضاته التي امد بها قلوب العارفين به هي التي اوصلتهم اليه واوجبت لهم محبة فيه واقبالهم عليه فصارت اسرارهم محلا للالهامات الالهية والواردات الربانية وظواهرهم منقادة لسلاسل الاتباع للامر امتثالا والنهي اجتنابا فتقربوا بطاعتهم اليه فشاهدوا من بهجة جلال عظمته ما ابهرهم وغيبهم عنهم واصطلمهم به منهم فطلب غيبوبة ظواهره في عز ما يرضاه منه وهي طاعاته لتكون تحركاته فيها سجية بشري الجسمانية ملكي الروحانية وافناء اخلاق يكره وجودها واحوال يقبح ورودها على عاداتها من اهلها ليكون مسخرا به اليه في كل

ما يريده منه ويرتضيه وفى كلامه الاشارة الى ان الطاعة توجب العز لدى المطاع وان المعصية توجب الذلة لدى المعصى والحق جل جلاله هو اهل التقوى واهل المغفرة وقوله لاكون بك واليك اي ليكون بك تحركي واليك سكوني بك بدايتي واليك نهايتي بك غنائي واليك فقري بك خضوعي واليك رجوعي بك سفري واليك حضري وما هذا معناه

والكل يشمله (الاهى معصيتي اشهدتني طاعتك وطاعتك اشهدتني معصيتي

ان شاهدت معصيتك نادتني طاعتي وان شاهدت طاعتك نادتني معصيتي

اذ لا طاعة لي والمعصية تعاتبني ولا معصية لي والطاعة تجاوبني انقلني

من عز الطاعة الى احتقار المعصية) الاشياء تتميز باضدادها فتلبس المرء بالمعصية وصدورها منه موجب لندمه وتحسره عليها وانكسار قلبه وحزنه من اجلها فيلزمه الوجل ويعتريه من خالقه الخوف والهيبة والخجل وتتراآى له الطاعة في علاها كالعروس فى زخرفها وحلاها فتناديه بلسان حالها اعراضك عني أوجب لك الحرمان مني فيقول يا حسرتي على ما فيه فرطت ويا حزناي عما فيه وقعت كما ان تلبسه بالطاعة موجب لسكون قلبه اليها واعتماده فى بعض احواله عليها قوة رجائه وفرحه بها فيامن اذ ذاك من موجبات خوفه ويطمئن جاشه من مقتضيات حتفه فتتبرج له المعصية فى مهنتها وثياب بذلتها قبيحة المنظر عظيمة المخبر مشوهة الخلق سيئة الخلق وتناديه احمد من انقذك مني وابعدك عني جزاء من صحبني الذلة والهوان والعقوبة والحرمان فيشتد لذلك اضطرابه ويزيد دنوه للحق واقترابه وهكذا حال المخلط والمولف رضي الله عنه واقف على بساط التواضع والاعتراف الى سيده بجميع المساوي كما تقتضيه العبودية كانه يعبر بكلامه هذا على ما يصدر من صاحب النفس اللوامة لانها تقول للمطيع قصرت وللعاصي اكثرت لتنور باطن صاحبها فيرى الحق حقا والباطل باطلا ولا يقدر ان يحمل نفسه على ارتكاب الحق واجتناب الباطل لقربها من مقام الامارة وميلها الى اهويتها الباطلة فهو والحالة هذه لم يزل في عناء مجاهدة النفس ومعاتبتها على

المعصية استكثارا وعلى الطاعة استصغارا كما مر لانه معاتب في الوجهين وغير مرضي عنه في الحالتين فاشتكى المولف لسيده ضرر العتب في الطاعة والذم وطلب منه كشف ما انطويا عليه من الشدائد وما شملاه من المكائد لرفعه من سجين الى عليين وكلامه قريب من دعاء سيدي ابي العباس رضي الله عنه الاهي معصيتي نادتني بالطاعة وطاعتك نادتني بالمعصية ففي ايهما اخافك وفي ايهما ارجوك ان قلت بالمعصية قابلتني بفضلك فلم تدع لي خوفا وان قلت بالطاعة قابلتني بعدلك فلم تدع لي رجاء فليت شعري كيف ارى احساني مع احسانك ام كيف اجهل فضلك مع عصيانك ومن كلامه ايضا العامة اذا خوفوا خافوا والخاصة متى خوفوا رجوا ومتى رجوا خافوا اه اي لنفوذ بصائر الخاصة لما وراء ما يواجههم من حالتي الخوف والرجاء فلا يقفون مع ظواهرها فاوجب لهم عكس احوال العامة الواقفين مع ظواهر الامور ولا اثر لها ولا طاعة مع العدل ولا معصية مع الفضل لانه الخالق الموفق بل المدار على العبودية ومراعاة الادب للربوبية فربما كان الخوف مع الطاعة اقرب وربما كان الرجاء مع المعصية اوجب هذا وان الاعتزاز بالطاعة والالتفات لوجودها محض ذلة واحتقار المعصية وتهويل مواقعتها عين العزة ومع هذا فما للخالق من عمل طاعة مع الحق لانها منه برزت واليه تعود كما قال تعلى ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك قال ابن عطاء الله لا تفرح بالطاعة لانها برزت منك وافرح بها لانها برزت من الله فمشاهدة بروزها من الانسان هو المنهي عنه وشهود بروزها من الحق اجراء وارساء هو المرغب فيه اي لاهل مقام تجليات الافعال لا من فوقهم فهم بانوار الاسماء وتجلي الصفات محجوبون عن شهود اعمالهم ونتائج احوالهم استراحوا من العناء غيبة في سماء برزخ الفناء عن الفناء فافهم

(الاهي فاقتي اشهدتني غناك وغناك اشهدني فقري فغيبني عن فاقتي اليك وافنني عن غناك حتى لا اشاهد في فقري الا سناك) اعتراف منه بوصفه اللازم له وهي الفاقة والاضطرار وشدة الحاجة والافتقار واقرار لسيده بوصف الغنى المطلق في ذاته وصفاته وافعاله

فشهود وصفه الحادث اشهده وصف ربه القديم وعكسه وتوسل بان يغيبه عن مشاهدة وجود افتقاره اليه وان يفنيه عن وجود مشاهدة غناه الذي اثبت له شهود فقره غيبة وفناء تخرجه عن سماه حتى لا يرى في حال مشاهدة فقره إلّا سناه اي نوره و بهاه وهذا قريب من حيث المعنى من قوله لا يخرجك من الوصف إلّا شهود غير ان المولف تضمنت عبارته هنا ان شهود وصف الخلق موجب لشهود وصف الحق ولذلك طلب الخروج عن الشهود الى تجليات الوجود (الاهي فقري اليك تعلمه

واحتجابي به لم يرضك فاجذبني لما انت تريده وافنني فيما منك يغنيني) تقدم له الاعتراف بالفقر وذكر هنا انه في علم الحق جل جلاله وان احتجابه بمشاهدة وجوده لا يرتضيه منه لما فيه من بقايا البشرية والنسبة لوجودها فطلب ان يجذبه بسرعة الانسلاخ عن مرادات نفسه الى مرادات ربه وان يفنيه بذهاب آثاره الكونية عن شهوده في مغيب غيب مقتضيات وجوده فناء بغيبته ويغيبه في الشهود بالشهود عن الشهود

(الاهي انطقتنا احسانك واصمتتنا اساءتنا ولولا نطق احسانك ما صمتت اساءتنا ولولا صمت احسانك لنطقت اساءتنا فاجعل نطق احسانك سابقا لنطق اساءتنا) نظر الانسان الى يد مولاه مبسوطة باحسانه ومفيضة لمواهبه وامتنانه مقتض لاعلانه به واظهاره و باعث له على اذاعته وانتشاره فيستخفه وارد الفرح والانبساط باحسان الله اليه وجوده وكرمه عليه فينطلق لسانه بالثناء والطلب له كما ان نظره الى مساويه المركبة مراكزها فيه موجب لخجله ومهيج لوجله فينثني لسانه عن النطق هيبة وحياء من الحق فلا يكاد يبين فكان مترددا بين نظر احسان الله اليه فيرجوه وبين علمه اساءة نفسه فيخافه فهذا يبعثه على خوف العدل وهذا يبعثه على رجاء الفضل وكان الاحسان والكرم من آثار موجبات الرحمة التي سبقت الغضب وعمت من صمت ومن طلب يقتضي ان يستر الاساءة المضادة لذلك لان رحمة الله سبقت غضبه وتكرمه سبق طلبه فلولا شمس رحمانية الحق مشرقة على ظلمات

مساوي الخلق لظهورت مساويهم واستبانت دعاويهم وهذا من حيث المعنى كقوله يا من اظهر الجميل وستر القبيح فاظهار جميل الصفات واخفاء قبيحها بمحض فضل الله وعظيم كرمه والّا لكان العكس لان الانسان مجبول على النقص ومحشو باطنه بالخبائث والعيوب افعاله مساوي واقواله دعاوي فانطق سيده ظاهره باوصاف احسانه واصمت باطنه عن ابداء اساءته وعصيانه فكانت ملاحظته للاحسان موجبة لطلب الامتنان وملاحظته للاساءة تريه وجه الصد وتكشف عن مقتضيات الطرد فيكاد خوفه يقنطه ويؤيسه فتداركه نعمة ربه فترجيه وتؤنسه وكان مراد المؤلف طلب سبقية شهود احسان الله اليه على شهوده لاوصاف اساءة نفسه وتجريها عليه بقصد التواضع كما مر وهذا والله اعلم كقول ابن عطاء الله الاهي كلما اخرسني لومي انطقني كرمك وكلما ايستني اوصافي اطمعتني مننك (الاهي حجبني فرقي عن رويتك واخجلني جمعي عن مشاهدتك فاشهدني بك اليك كي لا يحجبني فرقي عن جمعي وجمعي عن فرقي) الفرق ما نسب اليك والجمع ما سلب عنك ومعناه ان ما يكون كسبا للعبد من اقامة العبودية وما يليق باحوال البشرية فهو فرق وما يكون من قبل الحق من ابداء معان واسداء لطف واحسان فهو جمع وهذا ادنى احوالهم في الجمع والفرق لانه في شهود الافعال فمن اشهده الحق سبحانه افعاله من طاعته ومخالفاته فهو عبد بوصف التفرقة ومن اشهده سبحانه ما يوليه من افعال نفسه سبحانه فهو عبد يشاهد الجمع فالتفرقة اثبات الخلق والجمع اثبات الحق ولا بد للعبد من التفرقة والجمع فمن لا تفرقة له لا عبودية له ومن لا جمعية له لا معرفة له فقوله تعلى اياك نعبد اشارة الى الفرق وقوله واياك نستعين اشارة الى الجمع واذا خاطب العبد بلسان نجواه اما سائلا او داعيا او مثنيا او شاكرا او متنصلا او مبتهلا اقام في محل التفرقة فاذا اصغى بسره الى ما يناجيه مولاه واستمع بقلبه ما يخاطبه به فيما ناداه او ناجاه او عرفه معناه او لوح بقلبه واراه فهو يشاهد الجمع انشد منشد بين يدي ابي سهل الصعلوكي رحمه الله

جعلت تنزهي نظري اليك * وكان النصرباذي حاضرا فقال ابو سهل جعلت بنصب التاء فقال النصرباذي بضم التاء فقال الاستاذ ابو سهل اليس عين الجمع اتم فسكت النصرباذي اي فان من قال جعلت بالضم كان مخبرا عن نفسه ومن قال بالفتح كان متبرئا ان يكون بتكلفه بل يخاطب مولاه فيقول انت الذي خصصتني بهذا لا انا بتكلفي فالاول على خطر الدعوى والثاني بوصف التبري من الحول والاقرار بالفضل والطول وجمع الجمع فوق هذا فالتفرقة شهود الاغيار لله والجمع شهود الاغيار بالله وجمع الجمع الاستهلاك بالكلية وفناء الاحساس عما سوى الله تعلى عند غلبات الحقيقة انتهى من كلام ابي القاسم القشيري مختصرا اذا عرفت هذا فاعلم ان المولف رضي الله عنه رغب من الله ان يكشف عنه الاغيار الفرقية المانعة من شهود الجمعية كما اشتكى له من صدمات قاهرية وارادته الجمعية وساله التقوية على تحملها حتى يقع في متسع عالم قلبه تحمل الامرين وجمع الضدين فلا يحجبه فرق اغيار عن جمعيته بمشاهدة ما يرد عليه من حضرة قهار ولا تخجله الجمعية بقهريتها ولا الفرقية بغيريتها حتى يكون شهوده اياه به وهذا هو جمع الجمع فافهم (الاهي

اختيارك سكن اضطرابي واقتدارك حرك اقترابي فاجمعني بقربك حتى

لا اعلم قربك في بعدك ولا بعدك في قربك) شهود المربي نفوذ اختيار ربه له وتقدمه عليه واصلحيته له موجب لسكون جاشه عن الاضطراب ومريح له من بواعث الاتعاب اتكالا على ما اختراه له ورضى بما قدر وصوله اليه كما ان مشاهدة سريان اقدار الحق في مقدوراته بوصف قدرته ونفوذ ارادته موجب لمزيد قربه ودنوه ومثير لدواعي صفاء شهوده وانفراده بمعبوده وكان شهود سبقية اختيار الحق لاختيار نفسه وسريان اقتداره في جميع موجوداته مشعرا بوجود آثار النسبة البشرية وذلك عندهم اشراك مع الربوبية فسال منه ان يجمعه بتحقيق قربه حتى يسكر في شربه فيغيب بسلطان القرب عن مشاهدة القرب غيبة تصطلم عن احساسه فلا يكون له شعور بالقرب ولا بالبعد لاستهلاكه

في

في شهوده وفنائه عن وجوده وتقدم الكلام على هذا المعنى غير ما مرة

(الاهى سبق اختيارك اختياري وعلمك علمي وتدبيرك تدبيري كيف

اختار معك وانت مختاري ام كيف اعلم وانت معلمي ام كيف ادبر

وانت مدبري هذا من اعظم الحجب بينك وبيني) تقدم التنبيه على هذا المعنى في اول الكتاب واعاده في مناجاته مكررا كغيره من الجمل رجوعا منه على ما برز منه من العارف فافرغها في قالب التضرع الى الله تعلى والتوسل له عبودية واضطرارا واستكانة واحتقارا كما هي عادتهم في كل احوالهم وحاصل ما ذكره شهود صفات الحق تعلى مدبرا لامر عبيده ومختارا لها وعالما بها سبق تدبيره لشئونهم قبل وجود تدبيرهم وعم تدبيره السابق تدبيرهم اللاحق وتقدم اختياره للامور التي قدرها لهم على اختيارهم لنفوسهم وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة من امرهم كما انه سبق علمه بجميع المعلومات كليها وجزءيها جليلها وحقيرها لعلمه الحادث الكائن بايجاده وامداده على وفق اختياره ومراده دبر امره كما شاء بما شاء فيما شاء ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد لا عن سابق كلامر ينقص ولا هو يزيد فاستبعد المولف ثبوت اوصافه الحادثة اللاحقة قبالة سبحات صفاته القديمة السابقة بل لا ثبوت لها ولا وجود لها من اصلها إلّا بايجاد الحق تعلى وامداده فتدبير الخلق واختيارهم وعلمهم موجود بتدبيره واختياره وعلمه فما لهم والحالة هذه فائدة في الوسائط التي هي حجب ظلمانية ونسبة آثار اشراكية مضادة للعبودية ومناقضة لما تقتضيه الربوبية مع انها لا تغني عنهم شيئا وتقدم قول ابى الحسن الشاذلي ارح نفسك من تعب التدبير والاختيار وان كان ولا بد فدبر

ان لا تدبر واختر ان لا تختر (الاهى مشيئتك سبقت مشيئتي واوليتك

اوليتي وآخريتك آخريتي وظاهريتك ظاهريتي وباطنيتك باطنيتي كيف

تتصور مشيئتي معك وانت الفعال لما شئت ام كيف يكون لي في الامور

ابتداء وانتهاء وانت الاول والاخر فيهما ام كيف يتصور ظهوري معك

وانت مظهري ام كيف يتصور ان ابطن فيك وانت مبطني انت الاول والاخر والظاهر والباطن) الكلام في هذا كالكلام على ما قبله فاوصاف الحق تعلى قديمه سابقة من القدرة والارادة التي هي المشيئة والاولية والآخرية والظاهرية والباطنية ومؤثرة لاوصاف العبد وموجدة لها على حسب ما تقتضيه وعلى الحد الذي يريده ويشاءه او يرتضيه فسبقية مشيئة الحق لجميع مرادات الخلق اقتضت استراحتهم من تعب تدبيرهم واختيارهم بلزوم فاقتهم له ودوام اضطرارهم وسبقية اوليته لاوليتهم اي حيث شهدوا انه امامهم في كل شيء ايجادا وامدادا بوصف اوليته التي لا بداية لها ليضمحل في نظرهم وسم اوليتهم التي لا حقيقة لها من اصلها وتلاشى توهم وجود اضافتها بالنسبة لاوليته وسبقية آخرية الحق لآخرية الخلق تحقق لهم انه الآخر الذي لا نهاية لآخريته الباقي بعد تلاشى مكوناته بقاء تنزه عن ادراك كنه آخريته ديموميته في سرمدية وحدانية احديته المنهلك في عز وجودها كل الكل من خليقته كل شيء هالك إلّا وجهه له الحكم واليه ترجعون وسبقية ظاهريته لظاهريتهم مقو لخشيتهم له وخوفهم منه فيما يبدو من اعمالهم ويظهر من احوالهم لان شهود ظاهريته القديمة سابقة لظاهريتهم الحادثة التي ابداها وعلى حكمة الدلالة به عليه انشاها يقتضى انه هو الظاهر من الظواهر ولولا ظهور ظاهريته منها ما ظهرت ولا لعالم الشهادة برزت فما من ظاهر قابلك إلّا والحق فيه واجهك وسبقية باطنيته تعلى لباطنيتهم وكامن سرائرهم مثبت لعلمه بخفاياها واطلاعه على خباياها اذ بباطنيته بطنت بواطنهم فتجليات هذه الاسماء القديمة الازلية اظهرت ظواهر هذه الكائنات وجودا وابطنت بواطنها شهودا تصرفت في عوالمها بما تقتضيه مشيئته فالعارفون به لا يواجههم من هذه الآثار الظاهرة إلّا شوارق تجليات الواحد القهار ناظرين لها بعين فاينما تولوا فثم وجه الله ولا يلوح لهم في عالم الاسرار الباطنة إلّا باطنية متجلية بشواهد قوله لا تخفى منكم خافية فاستبعاد المولف رضى الله عنه ثبوت اوصافه الحادثة المحققة التلاشى والذهاب عند مكاشفة اوصاف الحق ومصادمتها واضح فاوصافه حق واوصاف

غيره

غيره باطل ولا ثبوت لظل الآثار الخلقية عند مواجهة شموس صفة الانوار الحقية بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق فافهم (الاهي غلب علينا ظهور البشرية بتفرقتها واجمعت فرقها بعظيم صنعك فيها حتى عرفت الامر الذ واطمانت به منك بتحققها باخذ العهد منك عليها في حين الست بربكم و علها الان بقولك وقولك الحق وفي انفسكم افلا تبصرون اجعل فرقي بك مجموعا وجمعي لك مرفوعا واجمع فرقي في جمعك وجمعك في فرقي حتى لا اشاهد فرقا ولا جمعا في جمعيتك) تقدم قريبا تحقيق معنى الجمع والفرق وان الفرق ما نسب اليك والجمع ما سلب عنك الخ وهذا منه هنا تلطف بين يدي سيده بغلبة ظهور البشرية بكثرة فرقيتها وذلك مانع من شهود الجمعية ومضاد لوجوده لان الاول من اوصاف العبودية وكسبها ورويته والالتفات لنسبته تعلق بالاغيار وهو حجاب عن شهود الجمعية التي هي من محض فضل كرم الربوبية ولذلك قال واجمعت فرقها بعظيم صنعك فيها اي وتكرمت بجود احسانك الى من هو في هيكل قفص فرقية البشرية فجمعته بالكشف عن مغيبات عظيم صنعك فيه حتى لاحت له معاليم الهوية السارية في سرائر ملكوت مقدوراتك فاوجب له شهود جمعيته بالحق وفنائه عن الخلق بشهود الفرق ملك وشهود الملكوت جمع اي بقيد شهود تدبيره وتقديره تحريك فعل الحق وتسخيره لا شهود الملكوت المجرد عن روية افعال لله تعلى اذ هو فرق ايضا وهذا يدركه شهودا ذوقيا سالك طريق المقربين حين حلوله في مقام الاسرار الذي هو المقام الثالث عند السادة الخلوتية فيطابق شهوده هذا الاسم الذي يلقنونه له وهو هو هو فتكون الكناية بالاسم اشارة الى شهود بواطن الرسم كما هو معهود عندهم فاذا حققت هذا الشهود الجمعي وفارقت الحجاب الفرقي حصلت لها معرفة ان جميع الامور لشهودها واطمانت به لانه من معبودها شهودا ثانيا انساها ما كانت فيه من الفرقية وغيبها بالفناء عن شهود الجمعية فترقت

لمقام الاطمئنان واستبدلت مكان الشهود الوجود والعيان فسكنت الى اقدار الحق واطمانت بتحقيق رجوعها الى ربها وتذكرها ما كانت فيه من كمالاتها الواردة عليها عند اخذ العهد عليها حين قوله لما اخذ ميثاقهم الست بربكم فاجابوا بلى انت ربنا فكذلك من رجع الى كماله السابق الذي انحط عنه يكون ترقيه بحسب اجابته هنالك وتاقيه فيكون فانيا عن الجمعية والحالة هذه باستهلاكه في قهريته جمعية الجمع فهذا شهوده ارفع لانه اكمل شهودا واجمع لانه فناء عن الاحساس بالكلية عند غلبة شهود الحقية وكما تحققت باخذ العهد عليها سابقا تحققت بعلمها لاحقا ارشادها الى النظر في دواعي الفكرة المشيرة للشهود بقوله وفي انفسكم افلا تبصرون فتشاهد افعاله السارية في مقدوراتها على وفق مراداته فظاهر الاشياء يقود الى باطنها وباطنها يقود الى سرها فظاهرها ملك وباطنها ملكوت وسرها هو شهود تحريك الحق وتسكينه المسمى بالجمع كما مر فطلب المؤلف من سيده ان يجعل فرق بشريته مجموعا بحقيقته جمعيته وجمعه مرفوعا لجمع جمعيته وان تكون فرقيته منقهرة في جمعيته وجمعيته مصطلمة لاصل فرقيته حتى يغيب عن الاحساس بالكلية ويفنى عن تمييزه بين الفرقية والجمعية بغلبة سلطان الجمعية استغراقا في شهود جمع الجمع هذا ما يقتضيه كلامه والله اعلم وفي استدلاله بالآيتين اشارة الى حال البداية وهو شهود الآثار بقوله وفي انفسكم الآية والثانية الترقي الى حال النهاية لان مقام الاطمئنان مقام روحاني شهودي وجودي فاخذها من الظهور اخراج لها من ظلمات الفرقية الى نور الجمعية واخذ العهد عليها بالست بربكم واجابتها له بتوحيده اشهاد لها لجمعية الجمع المطلق من تعريفه وتقييده وافهم قولهم شهدنا فانهم اعترفوا له بالالوهية بقولهم بلى واستغرقوا في جمعية الجمع بقولهم شهدنا من غير مزيد وما ذلك إلّا لعجزهم عن ادراكهم لما شهدوه وغيبهم واستغراقهم في لجج ابحر ما وجدوه وكذا حال الترقي فافهم فانه

دقيق (يا من جعل البشرية دليلا على فرقية الجمع فاستدل السائرون

بظهور البشرية على تحصيل جمعية الجمع بخصوصية فرقية الفرق

اجعل بشريتنا دالة على خصوصية فرقنا في جمعك وجمعك في فرقنا) الاشارة بهذه الجملة الى ما تضمنته الآية من قوله وفي انفسكم افلا تبصرون فانه يستدعي التفكر في آلاء الله ونعمه وعجائب صنعه وحكمه وذلك مود بنور الفكرة في الاثر الى الموثر فتكون البشرية مثلا دالة اولا على الفرقية بوجود اوصافها ثم على الجمعية ثانيا بوجود اوصافه فالسائرون على بساط التدريج دلالتهم الترقي من شهود الآثار الخلقية الى موثرها بالصفات الحقية فنظر بشريتهم اداهم بنور الهداية وسابق العناية الى العثور على مكنون الغيب المودوع في سر روحانيتهم اذ مقام الروح مقام تجليات الحق والخروج عن الخلق فهو جمع بلا فرق ثم جمع الجمع لا احتجاب للفرقية بالجمعية ولا للجمعية بالفرقية لتمكنه في المقام وبقائه بعد الفناء في دار السلام يعطي كل ذي قسط قسطه لقوة حاله لا يغيبه شان عن شان وقد تقدم غير ما مرة ولعذوبة كلامه لا يستطيع المار عليه الصبر على الاقتطاف منه والجنوح اليه فجزاه الله عن الامة خيرا (يا من جعل الموت ميزانا ودليلا على احوال الانسان حتى ان عرضه على نفسه تلاشت اعماله وخجلت اقواله حتى لا يكاد يواجهه بوجه مرضي ويكره ملاقاته حين العرض لما يعلم من استيلاء الباطل على الحق تختطفه المنية على الحالة التي يكرهها من حيث لا يجد بدا من نفسه في ذلك الوطن اجعل اعمالنا عندك مرضية واحوالنا في رضاك مغنية وابداننا في طاعتك محصية ونفوسنا عند حضور آجالنا عليك مقبلة حتى ان قدم علينا الموت تكون انت حاضرنا فيستوي عندنا عدمه ووجوده على حد السواء) تصوره واضح وقد تلقينا هذا الميزان من الاستاذ المولف رضي الله عنه في بعض مذاكرته على عادته يقول ما مضمن كلامه من اراد ان يعرف احواله هل هي سقيمة او مستقيمة فليعرض على نفسه ورود الموت اليه وهجومه في الوقت عليه فان اطمانت به نفسه ورضي معناه به وحسه لانه يخيل له في الحال

ما قدمه من صالح الاعمال وزكي الاحوال فليبشر بما اسلفه وليزد الى امام فيما خلفه فاختطاف منيته له على هذه الحالة جذب تقريب واشتياق حبيب لحبيب وان كان حين عرضه عليه بعكس هذا الاول بان اسودت في وجهه سبل قدومه واظلمت عليه سوابق همومه فتلاشت بالتشتت والتفرق اعماله وانقهرت بالخجل اقواله تلاشيا وخجلا اوجبا له الانهزام وعدم الرضى بالتقدم الى امام لكونه ما اسلف من صالح الاعمال ما يوجب له البشرى والاقبال فيكون كارها للملاقاة من قبيح ما اقترفه من السيآت لعلمه بغلبة سوء عمله على حسنه واستيلاء ظلمات باطله على نور حقه فيختطفه ريب المنون ويتهجم الموت على اكره حالة يكون فيندم حيث لا ينفعه الندم ويتحسر على ما خلف وقدم وليس الموت محبوبا لنفسه ولا مكروها لذاته بل لاجل ما بعده الا ترى الى قوله صلى الله عليه وسلم فان كان صالحا قال قدموني قدموني وان كان غير ذلك قال يا ويلها فالى اين تذهبون به او كما قال وكيف لا يفرح الصالح ويحزن الطالح وقد حان قدومهما على الجليل جل جلاله فاما الصالح فتلوح له لوائح البشرى بالرضى عنه والترحيب به فيشتاق واما غيره فيرى مخائل الطرد ومضان الصد والبعد فينفطر قلبه وتتقطع اوصاله خوفا من سطوة الجبار على من خالفه في هذه الدار قال صلى الله عليه وسلم من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقال له بعض اصحابه كلنا نكره الموت يا رسول الله فقال ليس ذلك بكراهية ولكن اذا كان المومن في قبل من الاخرة وانقطاع عن الدنيا يرى ما يسره فيحب لقاء الله فيحب الله لقاءه والفاجر عكسه او كما قال صلى الله عليه وسلم ويدل لهذا من حيث الاشارة قوله صلى الله عليه وسلم قدم مالك امامك يسرك اللحاق به فظاهره ان المراد به المال على حقيقته بصرفه في وجوه البر وهو كذلك وباطنه يعطي العموم فيكون مامورا بتقديم ما هو له وفي طوق بشريته من اموال واعمال واحوال وغير ذلك فاذا رآه تقدم امامه لا شك وانه يسره اللحوق به وما كره اهل الدنيا الخروج منها الّا لكونهم ما قدموا لآخرتهم ما يسرهم

بل خلفوها بما فيها فلا يكادون يرتحلون على اموالهم الا بتقطع اوصالهم عياذا بالله بخلاف غيرهم وسئل بعضهم ما لنا نكره الموت فقال لانكم خربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم فلم تستطيعوا الارتحال من العمران الى الخراب نعم فلو عكسوا وعمروا دار البقاء بخراب دار الفناء صرفا لها الى ما يليق بحالها لاحبوه وبما قدمناه يتضح كلام المولف وصيرانه كما طلب ان تكون اعماله مرضية عند ربه واحواله مغنية به وبدنه دائبة في اكتساب طاعاته محصية بها ونفسه عند حضور الاجل مقبلة على ربها غير مدبرة فرحا بما امامها واشتياقا الى ما موقدامها فاجب دعاءنا فيما سالناه واقبلنا باجابة ما دعوناه لتكون انت عند الموت حاضرنا وفي تلك الحالة رفيقنا وناصرنا فلا يتكدر علينا موطن حضرته ولا يستوحش من رافقته ونصرته فيستوي لذلك وجود الموت وعدمه وثوقا بك وطمانينة بما عندك كما تفعل بمن احببته (يا من جعل الشريعة والحقيقة ميزانين من اعظم موازين الحق فبهما يعرف ثقل العمل من خفته وبهما تتضح حقيقة الفعل والترك فيدرك صاحبهما ما يناسب الامور الدنيوية والدينية فيهتدي في ليل الشبهات فلا يضل ولا يشقى اجعلنا ممن ميزانه حقيقتك وشريعتك ودلنا بك عليهما في غيهب تلبسات الامور حتى لا يخفى علينا حقك في الباطل ولا الباطل في حقك) الشريعة اقواله صلى الله عليه وسلم والحقيقة احواله والطريقة افعاله فاول مبادي الانسان تلقي عباءة الشريعة بالقبول ثم العمل بها وهي الطريقة مهيع الفحول ثم تفيض عليه مواهب الله ونفحاته وهي الحقيقة مطية الوصول وذكر المولف هنا ان الشريعة والحقيقة ميزانان عظيمان بهما يدرك ظاهر الامر وباطنه فالشريعة تكفلت بتمييز ظاهره والحقيقة بكشف حقيقة باطنه ولا بد منهما معا فاذا وزن العمل بهما عرفت خفته على النفس ونشاطها اليه فيستدل بذلك على انه باطل واذا ثقل عليها فلم تنبسط الى العمل به فهو حق لان الباطل خفيف والحق ثقيل هذا ميزان الحقيقة واما ميزان الشريعة فتنظره بعين الشرع فما ابيح

افعل ودع ما لم يبح وهو مقام علا ميزان الحقيقة فان العامل يراعي اعماله على لسان الشرع فاذا وجد الاذن عاوده بميزان اهل الحق فما خف تركه وما ثقل عمل به كما روي عن بعض اهل المعاملات ان نفسه اشتاقت للجهاد فتغافل عنها فلا زالت به حتى كاد ان يميل الى ما اشتاقت اليه فقال في نفسه النفس مجبولة على الخبث وعلى التسافل في احوالها وقد امرتني بخير فالتجا الى الله ان يكشف له حقيقة مكرها فقيل له انها حصل لها الملل من تعب المجاهدة والرياضة فآثرت الجهاد عسى ان تقتل مرة واحدة فتستريح فازداد يقينا بمكرها ولو في الطاعة وهو كثير مجرب عند اهل هذا الشان نعم فميزان الشرع يتيسر امره بحمل الخلق بخلاف غيره فلا يتصح الا لاهل الحق لان ميزان الشريعة يدور ظاهرا مع ظاهر الامر حيث دار بخلاف الحقيقة فنافذة لباطنه ودائرة معه حيث دار لانه لا يخلو الامر من فعل او ترك فلا تقدم على الفعل حتى تعلم حكم الله فيه كما قال صلى الله عليه وسلم لا يحل لامرئ ان يقدم على امر حتى يعلم حكم الله فيه وحكم الله عند اهل الشرع هو ما تعلق به خطاب من افعال المكلفين فعلا او تركا وعند اهل الحق هو مراعاة العمل بعين السلامة من العلل فما كان فيه للنفس حظ تركوه وما لا حظ فيه لها فعلوه فاعطاؤها حظها يخف عليها وان كان فيه حتفها ومنعها من حظها يثقل عليها وان كان فيه نفعها قال ابن عطاء الله اذا التبس عليك امران فانظر اثقلهما على النفس فانه لا يثقل عليها الا ما هو حق فبان لك بهذا ان ميزاني الشريعة والحقيقة تتضح بهما بواطن الامور وظواهرها خفة وثقلا فعلا وتركا وبهما تدرك حقائق الامور دنيوية ودينية فيحصل الاهتداء للسائر بهما في ليل شبهاته على نور قال تعلى او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس فمن كان غافلا في ضلالته ميتا بجهالته فاحياه الله بالايمان به والعمل بمقتضيات قربه وجعل له في باطنه نور الحقيقة يمشي به في الناس فلا يضل من الهدى في دنياه ولا يشقى بالردى في اخراه ودعاوه واضح المناسبة لما

قدمه كما هو صنيعه راغبا ان يلهم معرفة الميزانين و يدرك حقيقة الحالين به عليهما ليستدل بالحق على الحقيقة وبالشرع على الشريعة عسى ان يامنه من الضلالة في غيهب ظلمات التباسات الامور واشتباهها حتى لا يخفى عليه باطن الحق في ظاهر الباطل ولا عكسه نعم فموازين اهل الشرع فرقية وموازين اهل الحق جمعية وكلاهما ان حققته مضروب في باطل صاحبه فلا يتاتى هذا الا بهذا ولذلك يقولون شريعة بلا حقيقة فسقة وحقيقة بلا شريعة زندقة موازين الشريعة قولية واهل الحقيقة ذوقية مثاله الشريعة كالبصر يدرك ظاهر الامر ويحكم عليه باسمه والحقيقة كالذوق مثلا يعلم باطنه ويقضي عليه بوسمه فيحقق طعمه كما اذا وجدت ليمة عرفتها بظاهرها كذلك ببصرك وغاب عنك باطنها حتى ذقت طعمها حلوة او حامضة فاول ادراكك لها مثال للشريعة

وثانيه للحقيقة فافهم (اللهم انك تعلم منا ما لا نعلمه وتسمع منا ما لا

نسمعه وتبصر منا ما لا نبصره علمنا من العلم ما يلهمنا سر تجليات حضرتك

واسمعنا لذيذ خطاب مناجاتك وابصرنا سر جلال قربك بمنك وكرمك) صفات الله تعالى من العلم والسمع والبصر قديمة تعلقت بحسب ما تقتضيه تعلقا انكشف له كل خفي وانقهر تحته كل جلي فيعلم ويسمع ويبصر من مغيبات خلقه ما لا يعلمونه ولا يسمعونه ولا يبصرونه من انفسهم لان علمهم فرع من علمه وسمعهم وبصرهم كذلك وهو نافذ في جميع خلقه لا يعلمون من امورهم ولا يسمعون ولا يبصرون الا ما علمهم واسمعهم وابصرهم لانه اقرب اليهم منهم لانفسهم كما قال ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد اذ هي بخلقه وايجاده الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير وقال انه بكل شيء عليم انه بكل شيء بصير بل بصره يدرك مادة البصر التي يقع بها الابصار وسمعه وعلمه كذلك ولله المثل الاعلا ثم سال من سيده ان يعلمه من العلم ما يقع به الهام سر تجليات حضرته ويذيقه من كئوس خمرته وان يسمعه في حضراته لذيذ خطابه كما ناجى بخاصة احبابه

وان ينور بصر بصيرته حتى يبصر سر جلال عظمة قربه شهودا حاليا وتجليا متعاليا بمنه وكرم فضله لا باستحقاق منه وهذا تلطف لمولاه بمقتضى اسمائه السابقة قدمها بين يدي نجواه وسيلة منه الى تقبل دعواه

(اللهم من علينا كما مننت على اوليائك وتفضل علينا كما تفضلت

على اصفيائك وتكرم علينا كما تكرمت على شهدئك واعل بناء

منازل المقربين احبائك انك انت المنان ذو الفضل والكرم والجود والاحسان) طلب منه ان ينعم عليه بنعمه الظاهرة والباطنة عما من بها وانعم على اوليائه الذين اختارهم لولايته فوالاهم وقربهم لحضرته وادناهم وان يتكرم عليه بمحض فضله كما تفضل على اصفيائه الذين صافاهم فكانوا صفوته من عباده وخيرته فى بلاده وان يجود عليه بكرمه كما جاد على شهدائه **الذين جعلهم سيوف قهر اعدائه الظاهرة والباطنة حتى يكون من شهداء المحبة اهل الوصلة والقربة ثم خص المقربين الى الحق اهل الصفاء والصدق** بالدعاء لهم برفع منازلهم وتصفية مناهلهم ليتحقق به قربهم ويصفو شربهم والمن لانعام والفضل والكرم والجود ولاحسان الفظ متقاربة المعنى ضمنها اسماؤه بعضها تصريحا وبعضها تلويحا وهي المنان والجواد والكريم والمتفضل والمحسن وغرضه بتعدد الاسماء فى مناجاته لقصد تنوع تجلياته وطرف نفحاته لان لكل اسم تجليا يخصه وسرا مودوعا فيه خاصا به كما ان لاشخاص مختلفوا الحال فنتائج اسماء الله كذلك ليست حاصلة لكل داع بها بل لا بد من عثور الداعي على الاسم المناسب له فيكون مفتاحا لابواب اجابته ولهذا تتعطل اجابة الدعاء على الداعين ويجهلون علة منعهم اللهم إلّا من تخلى وتحلى وعزل عن الفرقية بالجمعية تولى فله الدعاء بجميع الاسماء لتحليه بما تقتضيه وتخليه بما لا يرتضيه وكيف لا وقد صفت عناصره من شوبها وفنت بشريته في قربها بل جميع الاسماء والصفات تناسبه واقفة على ابواب قلبه مراقبة اكراما له واعظاما واصطفاء له وانعاما وسائر اسمائه تعلى تكون له اسما اعظم بايها شاء دعا اجيب لانه هو في نفسه صار اسما اعظم ممتثلا امره مرفعا قدره امره امر الله

ان قال فبه وان دل فعليه وان اشار فاليه سلب الحق عنه صفاته الحادثة والبسه انوار صفاته القديمة كما قال لا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها او كما قال افلا يكون اسما اعظم من كان الحق سمعه وبصره ولسانه بل هو هو فالتقرب وصلة للتحبب والتحبب نتيجة فناء صفات المحب في صفات محبوبه فلا تسأل عن اصحاب الفراديس جعلنا الله منهم بمنه وكرمه (اللهم لا تجعل حظنا منك هذه العبارات فانها منك برزت ونحن فيها اسباب مسخرات فحققها منك اليك لتكون عندك من المكنونات) هذه الجملة كالتي بعدها في نسق واحد سببهما استدراك ما صدر منه من ايداع علوم لدنية واسرار روحانية وتجليات في عبارات رائقة واشارات لائقة رجوعا منه للعبودية ووقوفا عند حد الادب مع الربوبية على بساط ما تقتضيه الجمعية فسأل بلسان خشيته واضطراره هيبة من مكره في مغيبات اقداره ان لا يجعل حظه ونصيبه منه مجرد هذه العبارات التي سبقت له مراعيا ومشاهدا بروزها وظهورها من الحق بواسطة الايجاد والخلق وانما المعبرون مبلغون ومترجمون عنه لا منهم وانما هم محركون بالتسخير في حقائق الاشارات والتعبير كما رغب منه ان يجعل شهوده جمعي الجمع فانيا عن الفرق والجمع حتى يرى ويشاهد ان البارز منه الى غيره انما برز من الحق الى الحق فلا هو الا هو ليسلم له تعبيره من عليل الاغيار الكونية فيجده مكنونا عنده مخزونا لديه كما شاهده منه اليه (اللهم انك تعلم ما برز منا من بعض الكلام هذه الاشارات ان كان منك واليك فزدنا به اعانة منك ورغبة فيما هو لديك وحفظا مما يقطعنا عنك والا فرحمتك سبقت غضبك ووسعت كل شي رحمة وعلما فارحمنا برحمتك الواسعة الجلباب والحقنا بخير منازل الاحباب واعرج بارواحنا الى سدرة منتهى

ذوي الالباب حتى اكون منك قاب قوسين او ادنى متلقيا للخطاب لانك

اهل العفو والصفح لمن تاهب واناب يا غفار يا وهاب) منه بحقيقة شهوده لاحاطة علم الله تعلى لجميع حقائق ما برز منه وانفصل من دقائق الكلام والاشارات عنه واظهار لعجزه عن ادراك حقيقة امرها ومكنون ما اودع في سرها مما هو في علم الله بقصد تفويض امره اليه وتوكله في كل احواله عليه فجعل الخيرة لربه حتى يختار له موجبات قربه ويفنيه عن شهود قربه بقوله ان كان منك اي صدوره وبروزه لا بانفسنا واليك مرجعه لا لغيرك مما تقتضيه تفرقتنا فردنا به اعانة وتقوية منك على تحمله منك واداته اليك ورغبة منا فيما هو مدخر لنا عندك مما اخترته لنا في سابق علمك وزدنا بسبب ما ابرزت من الكلام على ترجمة السنا حفظا منيعا نحفظ به من كل من حضرتك يقطعنا وان لم يكن هذا منك واليك بل بواسطة تسليط انفسنا منك علينا فالتسليم لاقرارك والرضى باختيارك اولى واوجب هذا وان رحمتك سبقت الغضب ووسعت كل الاشياء رحمة غمرته فيها واحاطت علما بها فارحمنا اي تحنن وتلطف بنا برحمتك الواسعة الجلباب التي شملت ما ظهر من خلقك وما غاب والحقنا بارفع منازل احبابك الذين احببتهم فاحبوك ودعوتهم في عالم الارواح فاجابوك واعرج بارواحنا عند الموتين الى منتهى السدرتين كما عرجت بارواح اصحاب الالباب حتى اكون في القرب منك كقاب قوسين او ادنى اي اقرب من ذلك لتكرم بتلقي خطابك كما انعمت به على احبابك سالتك مع اجرامي لانك اهل للعفو والصفح عمن اجرم ثم تاهب وتهيا للرجوع اليك والاقبال عليك واناب اي تاب من هفواته واقلع عن زلاته يا غفار للذنوب وان عظمت فمغفرتك اوسع واعظم يا وهاب للعطايا وان تكاثرت فانت اوسع جودا واكرم واشارتي للموتين والسدرتين اولى من الاختصاص بسدرة المنتهى المعلومة لعلمي باشارة المولف للبواطن غالبا كما هي عادته وقد علمت ان الموت موتتان اختيارية وهي موت النفس فاذا ماتت عن شهواتها وفنيت

عن

عن مراداتها عرج بالروح الذي كان منقهرا تحت ادناسها الى سدرة منتهى حضرة الشهود ومستقر تجليات انوار الوجود فيصافيه وفيها يناجيه فتكون هذه جنته المعجلة كما قال تعلى ولمن خاف مقام ربه جنتان اما جنة فمعجلة وهي جنة المعارف واما جنة فموجلة وهي دار الخلد وهذه المعجلة بالنسبة الى كمال التنعم في تلك الموجلة كالعنوان لان الموجلة دار العيان لما لا يستطيع النطق به اللسان واما الموت الاضطرارية فواضحة وسدرة منتهاها كذلك وفي قوله والّا فرحمتك سبقت الغضب تلطف لان يكون مواجها بالرحمة وان فرض تقصيده كما تقتضيه سبقية الرحمة للغضب واتساعها حتى عمت كل شي (الاهي لك الحمد فيما سلف

والشكر فيما خلف على محض افضال انعامك وسوابغ جود احسانك

ان مننت علينا بتحدث آلائك واطلقت السنتنا لسوال رضاك فتكلمنا

بكلام ليته ارضاك ان قابلتنا فيه بالرضى وحسن الاختيار فيا له

سرور وعليه المدار وان ناشدتنا فيه بمحنة واختبار فلك الحكم فيما تختار

فذلك انت العزيز الغفار) حمد الله وشكره سابقا ولاحقا على خالص انعامه وكوامل جوده واحسانه ان انعم عليه بامتنانه واصطفائه حيث اقامه في مقام التحدث بنعمه وآلائه واطلق عنان لسانه لسوال رضاه فانطلق بكلام عظيم فيا ليته يبشر بانه ارضاه كما الهم الله عبدا الدعاء ويحرمه الاجابة كما قال صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم ما علمك المسالة الّا وهو يريد ان يعطيك واعظم ما يسال منه الرضى عنه ثم رد الامر الى اصله معترفا فيه بجهله ومفوضا امره الى ربه فان قابلتنا وواجهتنا فيما تكلمنا به برضاك عنا وحسن اختيارك لنا فيا له من فرح به وسرور وعليه امرنا يدور وان امتحنتنا فيه بامتحان به واختبار منك لباطن احوالنا فلك الحكم فيما قضيت به واخترته وعلينا الرضى بالقضاء لانك الفاعل المختار تفعل ما تشاء وتختار وانت العزيز الغالب على امره الغفار لخلقه وفي كلامه اشارة لقوله تعلى واما بنعمة ربك فحدث وقوله

صلى الله عليه وسلم التحدث بالنعم شكر (اللهم انك تعلم ما تختاره لنا ولا نعلم ما نختاره لانفسنا فاختر لنا ما تختاره ولا تكلنا لاختيارنا) علم الله تعلى واختياره سابقان وعلم عبيده واختيارهم لاحقان وله العلم النافذ بما يختاره لهم وهم جاهلون لمختارهم فلا يدركون له حالا ولا مآلا فكان الواجب عليهم ان يتبروا من تدبيرهم واختيارهم ويخرجوا من حولهم وقوتهم الى تدبيره لهم واختياره وحوله وقوته لانه لو تركهم لانفسهم في تدبيرهم لادى الى هلاكهم وتدميرهم وقد تقدم مع وضوحه (اللهم انك تعلم حقيقة نفعنا في الضر وضرنا في النفع وعطائنا في المنع ومنعنا في العطاء فحقق لنا منازلهما لكي نتعرف لك في كل منهما يا نافع يا ضار يا معطي يا مانع) وهذا تقدم ايضا ضمنه كالاعتراف لله بثبوت علمه بحقيقة نفع عبيده وضرهم منعهم وعطائهم فربما منعهم من امور صيانة لهم فكانت في الحقيقة عطاء في صورة المنع وربما اعطاهم امورا اهانة لهم فكانت في الحقيقة منعا وكذلك النفع والضر فطلب منه ان يكشف له حقيقة بواطن الامرين ويريه كامن مكنون السرين حتى يعرفه منعا وعطاء نفعا وضرا وتلطف له باسمائه يا نافع يا ضار يا معطي يا مانع وتعريض لان يراعي مسماها فيرضى بما قدر وقضى (اللهم البسنا ثوب تقواك وافن منا حب دنياك وقرب منا نزول اخراك حتى تكون التقوى زادنا والدنيا مرحلتنا والاخرة موطن نزولنا) توسل منه في ان يمكن عليه بالباسه ثوب التقوى فيستبدل به عن ضرر حر المعصية فلا يواقعها وبرد الطاعة فلا يعتمد عليها قال تعلى ولباس التقوى ذلك خير وقال سرابيل تقيكم الحر قالوا اي والبرد وسرابيل تقيكم باسكم فكما ان الدرع سربال باس الحرب فالتقوى اشد وقاية منه لانه يقي باس الاعداء الباطنة فلا تجد مع وجوده مدخلا تدخل عليه ولا محلا ينزلون فيه فالدرع الحسي سربال البدن والمعنوي سربال القلب كما تقدمت الاشارة اليه آنفا وطلب

ان

ان يفني من قلبه حب الدنيا فيعرض عنها لانه سم قاتل وهو راس كل خطيئة كما في الحديث وأن يقرب منه نزول للاخرى فيحب النقلة اليها فيتزود في سفره من الدنيا الى الآخرة بالتقوى كما قال تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى مشاهدا ان الدنيا مرحلة تعبر والآخرة موطن استقرار تعمر قال عيسى عليه السلام مشيرا للدنيا الا انها معبرة فاعبروها ولا تعمروها وقد تقدم ما فيه كفاية (اللهم اجعل حياتنا في تقواك ومماتنا في رضاك وحبب لنا لقاك) طلب ان تكون حياته بوصف العبودية ومماته في الرضى باحكام الربوبية وحبه في النقلة منها شوقا الى لقائه وفيه كالذي قبله من الترقي ما لا يخفى وهذه الحيوة والموت والحب تحتمل ظاهرها وباطنها وهو اقرب كما اشرت له (اللهم اجعل نقلتنا من هذه الدار نقلة السالكين للاخيار وانزلنا منزل السادة الابرار) توسل ان تكون نقلته من هذه الدار بقلبه وقالبه نقلة السالكين الذين نظروها بعين الاعراض وعرفوا انها مارستان العلل والامراض يسكنها السقيم ويعافها السليم ففروا منها هربا واسرعوا اليه طلبا فانزلهم منزل التقريب وواجههم بالاجلال والترحيب واصطفاهم اخيارا وانتخبهم ابرارا فهم له وهو لهم رحلوا من دنياهم وهم فيها وحلوا منازلهم قبل ان يحلوها فنقلة السالكين من هذه الدار امكن من غيرهم ولذلك خصصها ومنزل الابرار يشير به الى ما يقتضيه اسمه البر فيبرهم ويرحب بهم فطلب مثاهم والله اعلم (اللهم اختم لنا بخاتمة المقربين وتول قبض ارواحنا بلطف منك وتلقين واجمعنا بك في ذلك الموطن لنكون في فرقنا من الامنين ويشهد ملك الموت واعوانه لنا في ذلك بالتمكين ويكون سبب حضوره لنزع ارواحنا امتثالا لامرك وزيادة تشريف وتامين وانزلنا منزلا مباركا وانت خير المنزلين يا ارحم الراحمين يا ارحم الراحمين يا ارحم الراحمين يا رب العالمين) خاتمة المقربين هي الاحوال التي ذكرها بقوله وتول الخ كانه يقول

اللهم اجعل خاتمة اعمارنا وآخرية انتقالنا خاتمة خاصتك المقربين الذين قربتهم منك فشاهدوك حق الشهود وادنيتهم منك فوجودك اي وجود خصصتهم بتوليك قبض ارواحهم بلطف بهم وتعطف منك عليهم وتلقين لهم حجة توحيدهم كما كانوا فيه من الانفراد بك والمعية معك والمشاهدة لك والفناء فيك فاعترفوا بالتوحيد المجرد عن الدلائل الفرقية بغلبة الجمعية فانتقلوا منك اليك واقبلوا بك عليك فكانوا عندك في مقعد صدق عند مليك مقتدر واجمعنا بك جمعية اهل الصدق الفانين بالحق في الحق الذين آمنتهم بالغيبة بك والمشاهدة لك عن الاحساس بالفرق لتكون في فرقة من الآمنين من اخطاره الذين خلصتهم من ظلمات اغياره ويكون حضور ملك الموت واعوانه في ذلك الموطن لمجرد الشهادة لنا بالتمكين والحضوة منك فيكون حضوره لنزع الروح لمجرد الامتثال للامر ولنا فيه زيادة تامين وتشريف للقدر وانزلنا برضاك منزلا مباركا فيه وانت خير المنزلين وخير منزول به يا ارحم الراحمين يا ارحم الراحمين يا ارحم الراحمين يا رب العالمين اكدها ثلاثا تلهفا في الطلب واظهارا للفاقة في الرغب عسى ان تفيض عليه مجارى رحماته التي رحم بها الراحمين فرحموا بها من سواهم كما قال صلى الله عليه وسلم الراحمون يرحمهم الرحمان والرحمة صفة اقتضت اوصافا متعددة اندرجت تحتها كالمغفرة والعفو والصفح والحلم والجود والفضل والكرم والاحسان وغير ذلك فالمراد مبا ينشا عنها من الفواضل والنعم المتعدية كما علمت لا ما يقع في الباطن بديهة من انها رقة في القلب لانها وصف الخالق بخلاف نعوت الحق هذه وغيرها فالمراد غايتها بل منتهاها فافهم ثم ختم كتابه بالتوسل بوسيلة الثقلين ونور الدارين محمد صلى الله عليه وسلم اقتباسا من قوله تعلى وخاتم النبيئين واشارة لمقام البقاء اداء لما وجب عليه من الشكر والثناء لانه هو الوسيلة الى هذه الخيرات والنور المزيل لجميع الظلمات قال صلى الله عليه وسلم من لم يشكر الناس لم يشكر الله اي مع شهود المنة للحق والمولف لا زال في التقلب بين حضرات شهود المنة للمنعم من اوله الى آخره كما تقتضيه الحقيقة ورجع لشكر من كان سببا

في الكل اداء لحق الشريعة فقال (اللهم بحق نبيك ورسولك محمد

صلى الله عليه وسلم نور اليقين وسراج الثقلين وعمود الكونين نسالك ان

ان تجعلنا من امته الاحرار وزمرته الاخيار وحزبه الانصار وان تصلي

على سيدنا ومولانا محمد روح الارواح ومصباح الفلاح ومعدن الانفاح

وآله الابدال وصحبه الاشبال وتابعيه الابطال الصادقين في المحبة

والمقال ما تعاقب الليل والنهار وما سالت من السماء قطرات الامطار

وجرت في الارض مياه الانهار وسلم عليه كثيرا اثيرا عميما) توسل بالنبي صلى الله عليه وسلم وصلاة عليه وعلى آله والنبي انسان اوحي اليه بشرع ولم يومر بتبليغه والرسول كذلك مع امره بالتبليغ فهو كالترقي في التوسل من النبوءة التي هي اعم الى الرسالة التي هي اخص ووصفه بنور اليقين لان به استنارت الانوار فهو اقتدح منه نور اليقين فكان سببا في وجوده في قلوب اهل شهوده فشهدوا بنوره المودوع في سر يقينهم ان جميع الاشياء لله بالله غلبت جمعيتهم على فرقيتهم والسراج المصباح فهو مهتدى بنوره في ليالي الشبهات وظلمات الجهالات والثقلان الانس والجن عمهم نوره واظلتهم بركته وظهوره وعمود الكونين الدنيا والآخرة فهو عماد اهلهما ولولا وجوده ما ظهرا على ظهر الوجود واتبع التوسل بالدعاء بلفظ الجمع كما فعل في سائر مناجاته رعاية لما روي ان الدعاء مهمى عم كان للاجابة اقرب وانفع واشارة لما يقتضيه باطن الحال من قوله صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فان اهل الحق لهم رعاية الخلق والولف منهم والحمد لله فقال اجعلنا من امته الاحرار اي من جماعته الذين انتظموا في سلك حبك وضمهم حمى قربك الاحرار من رق الاغيار وزمرته المختارين له وحزبه اشياعه الذين نصروه فنصروا به واظهروا امره فظهروا به جزاء وفاقا وان تصلي بانعامك واعظامك واجلالك على سيدنا ومولانا الذي هو اولى بنا منا من انفسنا كما قلت وقولك الحق النبيء اولى بالمومنين من انفسهم محمد صلى الله

عليه وسلم روح الارواح الذي هو سر الارواح القائمة به المقتبسة نورانيتها منه فهو حياتها التي حصلت لها بها الروحانية في عالم الارواح ومصباح الفلاح لانه يستضاء به في سبل الفلاح الذي هو النجح في المطلوب والفوز بالمرغوب المحمودة عاقبته ومعدن الانفاح اي محل النفحات الرحمانية كما قال صلى الله عليه وسلم ان لله نفحات تعرضوا لنفحات الله فهذه النفحات المشار اليها هو معدنها صلى الله عليه وسلم لانه بابه الاعظم لا يوصل الى الله بدونه ولا يفوز فائز بهما عند الله الّا بواسطته ولا ينفي احد بنفحة رحمانية الّا وهو قاسمها كما قال انما انا قاسم والله يعطي فالعطاء السابق ازلا هو القاسم له والمفرق له على مستحقيه حالا صلى الله عليه وسلم وآله هم اهل بيته أو بنو هاشم المومنون او امته المتقون وصحبه من اجتمع به مومنا ومات على ذلك والاشبال اولاد الاسد فهم ليوث في تقلبهم وهو ابوهم الحامي لهم صلى الله عليه وسلم وتابعيه من ادرك صحابيا الابطال الشجعان. والمراد التابع له في اقواله وافعاله فهو البطل الشديد الشجاعة في حرب النفوس الصادقين في محبتهم له باتباعهم اياه كما قال تعلى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ولا يكون المحب محبا حتى يكون مطيعا لمحبوبه والصادقين ايضا في تبليغ مقالهم عنه فاحباوه من الخلق هم امناء الحق صلاة مقرونة بانعامك ومجللة باعظامك دائمة عليه وعلى آله واصحابه ومن تبعهم باحسان مدة تعاقب الليل والنهار فتكون مستغرقة للزمان وما سالت من السماء قطرات الامطار اى مدة سيلانها مع عددها وقدر مددها قطرة قطرة ومدة جريان مياه الانهار كذلك وسلم عليه وحيه تحية مباركه وتسليما كثيرا لا يعد اثيرا لا يحد عميما لا يحصى ولا يستتبع ولا يستقصى كمل بحمد الله وحسن عونه ولا حول ولا قوة الّا بالله العلي العظيم (قال مولفه

رضي الله عنه وعنا به كملت الحكم المسماة بغاية البداية في سر حكم

النهاية بحول من لا اولية لمبداه وقوة من لا أخرية لمنتهاه في شهر

الله شوال سنة سبع وخمسين ومائتين والف على يد مولفه فقير ربه

ومستغفره

ومستغفره من ذنوبه عبد الحفيظ بن محمد بن احمد الحنفي منشئا ودارا
الوانجني نسبا) تعريف للكتاب بحسب ما يقتضيه وينتهي اليه وقد
وافق الاسم المسمى فجازاه الله عنا وعن سائر الامة خيرا و بيان
لاسمه ونسبه ومحله والكل واضح فلا يحتاج الى تنبيه
والحمد لله اولا وآخرا كمل بحمد الله وحسن عونه
وتاييده وتوفيقه ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي
العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل ثم تبييضه يوم
الاحد اواسط ذي القعدة الحرام عام تسعة
وستين ومائتين والف على يد افقر
العبيد * الى ربه المجيد *
عبده محمد المكي لطف
الله به وعفا عنه
بمنه وكرمه
آميـــن

بالثناء على باري النسم * نستمطر واكف نافع الحكم * و بشكر متواتر النعم * نستزيد من آلائه ونستهديه في غياهب ما ادلهم * احمده حمدا يليق بجلاله * ونشكره شكر مستغرق في بحار جماله * ونصلي ونسلم على من جاء بالهدى ودين الحق * بشيرا ونذيرا لكافة الخلق * منبع الاسرار الربانيه * وامام الطرق العرفانيه * اكسير كيمياء الحقيقه * والسبب في وجود هاته الخليقه * وعلى آله الابرار وصحابته الاخيار * والتابعين لهم الى منتهى الاعصار * صلاة وسلاما دائمين متلازمين ما دام الملوان * واشرقت الغزالة والزبرقان * اما بعد فيقول مصحح دار الطباعه * اخذ الله بيده وجمل طباعه * قد فاتنا في طالعة الكتاب ذكر شارح هاته الحكم البديعه * لسهو وهو للانسان من لوازم الطبيعه * والاعتذار به مقبول * كما جاء عن الرسول * مع انه العلامة المحقق *

والعمدة المدقق * وارث اسرار صاحب هاته الحكم * وتلميذه الحائز من بين اقرانه التقدم * سيدي محمد المكي بن الجهبذ النحرير * والعالم الشهير * سيدي محمد الصديق الحنقي متع الله العالم بوجوده آمين هذا وقد نجز بعون الله طبع هذا الكتاب العذب المستطاب ذي الحكم الفاخره * والتحريرات الشرحية الباهره * بهمة الساعي في نشره بالطبع * وابرازه على احسن منوال وصنع * الصفوة الماجد * سليل الصيد الاماجد * البارع المجيد * انجب نجل وابر حفيد * السيد عبد الحفيظ بن المنعم سيدي محمد الازهري ابن المقدس سيدي عبد الحفيظ الاكبر صاحب الاصل جازاه الله خيرا وكان تمام طبعه وتمثل صنعه يوم الخميس الخامس من شهر صفر الخير من عام اربعة عشر وثلاثمائة والف من هجرة من خلقه الله على اكمل وصف صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه وسلم

http://albordj.blogspot.com